

مراهقون على كرسى الاعتراف

سالم ، زينب .

مراهقون على كرسى الاعتراف : ادمان مخدرات - شنوذ جنسى - قلق -
غضب - خوف / تأليف زينب سالم . - ط1. - القاهرة : عالم الكتب ، 2007

202 ص ، 24 سم

تدمك : 5- 977-232-584

1- ادمان المخدرات

301.4175

أ- العنوان

عالم الكتب

نشر . توزيع . طباعة

❖ الإدارة :

16 شارع جواد حسنى - القاهرة

تليفون : 3924626

فاكس : 002023939027

❖ المكتبة :

38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون : 3926401 - 3959534

ص . ب 66 محمد فريد

الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

❖ رقم الإيداع 16285 / 2007

❖ الترقيم الدولى I.S.B.N

5- 977 - 232 - 584

❖ الموقع على الانترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكتروني : info@alamalkotob.com

مراهقون على كرسي الاعتراف إدمان مخدرات - شدوذ جنسى - قلق - غضب - خوف

دكتورة/ زينب سالم

دكتوراه علم نفس الطفل

عضو الجمعية العالمية للصحة النفسية

عضو الجمعية المصرية العامة لمنع المسكرات

ومكافحة المخدرات

إهداء

إلى أبنائي.. إبراهيم وإسماعيل

متعهما «الله» عز وجل بالصحة والسعادة والحب، وأدام عليهما
نعمة الإيمان به والطاعة له، والسير على خطى الحبيب المصطفى
«رسول الله ﷺ»، داعية الخالق العظيم أن يجنبهما شرور هذا العصر
وفتنه.

د. زينب سالم

القاهرة

٢٠٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

«صدق الله العظيم»

(آية ٤٦ من سورة الكهف)

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	- إهداء
١٣	- تمهيد
٢١	- ما هي مرحلة المراهقة؟
٣١	- أهمية دراسة مرحلة المراهقة
٣٢	- أشكال المراهقة:
٣٣	١- المراهقة المتوافقة
٣٤	٢- المراهقة الانسحابية المنطوية
٣٤	٣- المراهقة العدوانية المتعمدة
٣٥	٤- المراهقة المنحرفة
٣٧	- مراحل تطور المراهقين:
٣٧	١- مرحلة ما قبل المراهقة
٣٧	٢- مرحلة المراهقة المبكرة
٣٨	٣- مرحلة المراهقة الوسطى
٣٨	٤- مرحلة المراهقة المتأخرة
٣٨	- خصائص المراهقين
٤٧	- مشكلات المراهقين:
٤٧	١- مشكلات الصحة والنمو
٤٧	٢- المشكلات الانفعالية
٤٨	٣- مشكلات الأسرة
٤٨	٤- مشكلات المدرسة
٤٩	٥- المشكلات الاجتماعية
٤٩	٦- مشكلات المهنة والعمل

- ٥٠ -٧- المشكلات الجنسية
- ٥٠ -٨- المشكلات الاقتصادية
- ٥١ -٩- مشكلات الدين والأخلاق
- ٥١ * الأسباب
- ٥٢ * الوقاية
- ٥٣ * العلاج
- ٥٥ - حاجات المراهقين
- ٦١ - ميول المراهقين
- ٦٢ - المراهقون ومظاهر النمو:
- ٦٣ ١- النمو الفسيولوجي والجسمي
- ٦٧ ٢- النمو الحركي
- ٦٨ ٣- النمو العقلي
- ٧١ ٤- النمو الانفعالي
- ٧٤ ٥- النمو الجنسي
- ٧٧ ٦- النمو الاجتماعي
- ٨٣ ٧- نمو الشخصية
- ٨٤ ٨- النمو الديني
- ٨٦ ٩- النمو الأخلاقي
- ٨٧ - المراهقون ومطالب النمو
- ٩٠ - المراهقون والحياة الاجتماعية
- ٩٢ - المراهقون ومؤسسات التنشئة الاجتماعية :
- ٩٤ ١- الأسرة
- ٩٥ ٢- المدرسة
- ٩٧ ٣- جماعة الرفاق
- ٩٧ ٤- وسائل الإعلام

- ١٠٠ - المراهقون والغضب
- ١٠٢ - المراهقون والغزو الثقافي
- ١٠٤ - المراهقون المعرضون للخطر
- ١٠٧ - المراهقون وآبائهم
- ١٠٩ - المراهقون والشعور بالوحدة النفسية:
- ١١٠ أ- مظاهر وأعراض الشعور بالوحدة النفسية
- ١١٢ ب- أسباب الشعور بالوحدة النفسية
- ١١٤ ج- أضرار وعواقب الوحدة النفسية
- ١١٦ - المراهقون والقلق والخوف من المستقبل
- ١١٩ - المراهقون وإدمان المخدرات:
- ١٢٥ ١- ماذا يقصد بالمخدرات؟
- ١٢٦ ٢- ما هو الإدمان؟
- ١٢٩ ٣- أنواع المخدرات والمسكرات:
- ١٢٩ أ- أنواع المخدرات
- ١٢٩ ب- أنواع المسكرات
- ١٣٠ * الأفيون ومشتقاته
- ١٣١ * الكوكايين
- ١٣٢ * الحشيش
- ١٣٢ * المهدئات
- ١٣٣ * المنبهات
- ١٣٣ * المهلوسات
- ١٣٤ * القات
- ١٣٤ * التبغ
- ١٣٤ * المذييات
- ١٣٥ * ابتكار المواد الجديدة

- ١٣٥ ————— ٤- كيف تعرف أن ابنك المراهق أصبح مدمنًا؟
- ١٣٦ ————— * في البيت
- ١٣٧ ————— * في المدرسة
- ١٣٧ ————— * بالنسبة للأبوين
- ١٤٢ ————— ٥- لماذا يلتمس المراهقون؟
- ١٤٢ ————— أولاً: الأسباب النفسية:
- ١٤٣ ————— * الشخصية السوية
- ١٤٣ ————— * الشخصية المضطربة نفسياً
- ١٤٣ ————— * الشخصية المضطربة عقلياً
- ١٤٤ ————— * الشخصية الإجرامية
- ١٤٤ ————— ثانياً: الأسباب الاجتماعية:
- ١٤٤ ————— * التفكك الأسرى
- ١٤٥ ————— * الصحة الرديئة
- ١٤٥ ————— * انحسار دور المدرسة التربوى
- ١٤٦ ————— * الفراغ عند الشباب
- ١٤٧ ————— ثالثاً: العوامل الاقتصادية:
- ١٤٩ ————— ٦- ماذا تفعل المخطرات بالمراهقين؟
- ١٥٤ ————— ٧- كيف نجيب مراهقينا تعاطى المخطرات؟
- ١٥٩ ————— ٨- وللمراهق القول .. المخطرات محرمة شرعاً
- ١٦٤ ————— - المراهقون والشذوذ الجنسى:
- ١٦٦ ————— أولاً: البرود الجنسى والارتخاء
- ١٦٧ ————— ثانياً: إدمان العادة السرية
- ١٦٩ ————— ثالثاً: الجنسية المثلية
- ١٧٠ ————— رابعاً: الشذوذ فى حب الإيذاء وحب التأذى
- ١٧١ ————— خامساً: الشذوذ فى العرض والاستعراض

- سادساً: انحرافات أخرى
- ١٧٢ _____
- ١٧٢ _____ * الأعراض
- ١٧٣ _____ * الأسباب
- ١٧٤ _____ * العلاج
- ١٧٦ _____ - المراهقون والتربية الجنسية :
- ١٧٩ _____ * أهداف التربية الجنسية
- ١٨٠ _____ * من يقوم بالتربية الجنسية؟
- ١٨٠ _____ * صفات من يقوم بالتربية الجنسية؟
- ١٨٢ _____ * ماذا يقدم من معلومات جنسية؟
- ١٨٥ _____ * التربية الجنسية والتربية الدينية
- ١٨٧ _____ - هؤلاء يجب الاقتداء بهم (نماذج من شباب الإسلام) :
- ١٨٩ _____ * على بن أبي طالب
- ١٨٩ _____ * أسامة بن زيد
- ١٩٠ _____ * سعد بن أبي وقاص
- ١٩٠ _____ * عبد الله بن عباس
- ١٩٠ _____ * عبد الله بن أبي بكر
- ١٩١ _____ * عامر بن فهيرة
- ١٩١ _____ * أسماء بنت أبي بكر
- ١٩١ _____ * معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء
- ١٩١ _____ * مصعب بن عمير
- ١٩٢ _____ * أبو دجانة
- ١٩٢ _____ * الخنساء وأبناؤها
- ١٩٣ _____ - وأخيراً . للآباء أقول
- ١٩٨ _____ - المراجع

تهييد

مرحلة المراهقة فترة انتقال من الطفولة إلى الرشد، فيها يكافح المراهق وسط متغيرات ومتناقضات ثقافية واجتماعية؛ مما يسبب له كثيراً من الإحباط والصراع والقلق، فالمرهق يصير في هذه المرحلة على انتزاع اعتراف عالم الكبار به وبقيمه الاجتماعية، ومن ثم يدخل في صراع بينه وبينهم يتمثل في أشكال من التناقض الفكرى تبرز من خلاله عدوانية المراهق وتمرده على جيل الآباء، رغبة منه في محاولة تثبيت تلك الصورة الرجولية ونفى تلك الصورة الطفولية وفكرة الاعتماد على الأم والتي تتمثل في تلك المرحلة الأولى أو الطور الأول من الوجود، ففي الطفولة يتعلق الطفل تعلق التابع المعتمد على الأم، أما في المراهقة فرفض مبالغ فيه لهذا الاعتماد.

وهناك صعوبات تكتنف التحديد الدقيق للمراهقة من حيث بدايتها ونهايتها وتكمن هذه الصعوبات في اختلافها من فرد لآخر أو من مجتمع لآخر وتأثير عملية التحديد بالسلالة والجنس والنوع والبيئة والثقافة ومن هنا كان اختلاف علماء النفس في تحديدهم للمراهقة؛ فمنهم من جعل بدايتها في العاشرة، ومنهم من جعل بدايتها في الثالثة عشرة، ومنهم من جعل نهايتها في التاسعة عشرة، ومنهم من يصل بهذه النهاية إلى الواحدة والعشرين.

وتمتاز المراهقة عن مرحلة الطفولة قبلها والرشد بعدها بكبر حجمها واتساع مساحتها السيكلولوجية، وثقل أعبائها الاجتماعية رغم أنها تقع على امتداد بعدى واحد من هاتين المرحلتين، ولكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث على هذا الامتداد البعدى حجم مناسب لها، ويتحدد هذا الحجم على أساس سرعة النمو فيها وطبيعته ودلالته الاجتماعية ومتطلباته أو الأعباء الملقاة على الفرد من جرائه، وعلى أساس هذا المحك تكون مرحلة الطفولة المتأخرة (ما قبل المراهقة مباشرة) حيث الكمون والاعتمادية والاستقرار... إلخ، ومرحلة الرشد حيث الانتهاء من

أعباء النمو والتفرغ لمواجهة أعباء الحياة ... إلخ، وكلاهما وإن اختلفا في حجمهما يكونان أقل من مرحلة المراهق ففيهما نمو سريع وشامل وتغيرات اجتماعية وظهور لون جديد من الاتجاهات العقائدية.

ومن خلال هذا التصور لاتساع مرحلة المراهقة وتضخم حجمها وما تحتاج إليه من مطالب نمائية متزايدة، تتكشف لنا أهمية هذه المرحلة بالنسبة للمجتمع بصفة عامة؛ إذ إن من رحمها تندفع الإنسانية قدماً إلى الأمام في طريق التقدم كما تبدو أهميتها أيضاً بالنسبة للمراهق؛ ففي عملية الاستقلال يتلخص الهدف النهائي لجهود المراهق وصراعاته مع الكبار وما يتحمله في سبيل هذا التحرر، وفيها أيضاً كينونته ووجوده كله فيما بعد.

من هنا فمن المقومات الأساسية للصحة النفسية أن ندرس بدقة وإمعان سيكولوجية المراهق لما لها من تأثير فعال في حياة المجتمع الإنساني وتطوره نحو الأكمل والأفضل والأحسن.

وقد ميز (حامد زهران) بين المراهقة المبكرة والمراهقة المتأخرة؛ فالمراهقة المبكرة تمتد من بداية النمو السريع المصاحب للبلوغ إلى حين استقرار التغيرات البيولوجية الطارئة على جسم الكائن الفرد أى إلى استكمال البلوغ ثم يلي ذلك المراهقة المتأخرة.

وكما يقرر (أحمد زكي صالح): أن مرحلة المراهقة مرحلة فاصلة من الناحية الاجتماعية؛ إذ يتعلم فيها الناشءون تحمل المسئوليات الاجتماعية وواجباتهم كمواطنين في المجتمع، كما أنهم يكونون أفكارهم عن الزواج والحياة الأسرية، وبالزواج يكتمل جزء كبير من دورة النمو النفسى العام؛ حيث يندشأ منزل جديد وتتكون أسرة جديدة، ومن ثم يولد طفل وبالتالي تبدأ دورة جديدة لحياة شخص آخر تسير من المهد إلى الطفولة إلى المراهقة إلى الرشد، وهكذا تستمر الدورة في الوجود، ويستمر الإنسان في الحياة.

ويرى «عزیز حنا» أن المراهقة تقع فى الفترة بين البلوغ الجنسى والرشد؛ حيث تلى مرحلة الطفولة وتسبق الرشد، ومن هنا فهى تقع بين الثانية عشرة والتاسعة عشرة وتختلف بداية هذه المرحلة ونهايتها باختلاف الأفراد والجماعات اختلافات كبيرة، كذلك تختلف من دولة إلى أخرى ومن الريف إلى الحضر، وتتأخر هذه المرحلة فى الظهور فى المجتمعات المتحضرة والمجتمعات الأكثر تحديثاً، وكذلك فى المجتمعات الأكثر برودة؛ فقد يبدأ المراهق فى شمال أوروبا فى حوالى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة بينما يبدأ زميله فى دول الشرق عامة فى حوالى الثالثة عشرة وكذلك قد يراهق الفتى الريفى فى حوالى الثانية عشرة بينما يبدأ زميله فى المدينة مراهقته بعده بحوالى عام.

ويركز «صموئيل مفار يوسى» على صور وأنماط المراهقة وارتباطها بالوضع الحضارى للمجتمع؛ فيذكر أنها مرحلة معقدة نسبياً وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع الحضارى السائد فى المجتمع الذى ينتمى إليه المراهق وعليه تتخذ المراهقة صوراً وأنماطاً متعددة من بلد لآخر وفق الثقافات الموجودة والعادات المتبعة، هذا بالإضافة إلى اختلافات الفردية بين المراهقين فى البلد الواحد ذى الثقافة الواحدة والعادات المشتركة باختلاف الأسرة ووسطها الاجتماعى والاقتصادى وثقافة الأبوين والإخوة، كل ذلك له أثر واضح فى صورة المراهقة.

ولا شك أن دراسة سيكولوجية المراهقة تزودنا بدلالات نفسية واجتماعية وانفعالية فى حالة تفاعلها مع بعضها لتعطى فى النهاية صورة ميلادية جديدة لكيان فريد يعمل على تخطى حدود صورته الطفلية الماضية فى ضوء تحديات الحاضر والرغبة فى تحقيق الدور فى المستقبل.

وتعد مرحلة المراهقة (Adolescence) من المراحل المهمة فى حياة الفرد؛ حيث تعد مرحلة انتقال من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية متوسط مرحلتى الطفولة والرشد؛ ولهذا المرحلة أهميتها فى تكوين شخصية الإنسان وحياته المستقبلية.

ومن ثم لقيت مرحلة المراهقة عناية كثير من علماء النفس والباحثين من حيث الدراسة والبحث وخاصة مظاهر النمو ومطالبه بشتى أبعادها، وكذلك شخصية المراهقين ومشكلاتهم.

ويؤكد كثير من الباحثين وعلماء النفس والاجتماع والسياسة على أهمية مرحلة المراهقة وهي المرحلة التي يكتمل فيها النضج الجسمي والفسولوجي والعقلي والاجتماعي والانفعالي؛ حيث يبدأ معظم الأفراد خلال هذه المرحلة تعلم قيم وأفكار ومعتقدات جديدة يمكن أن تنفى ما تعلمه في المراحل السابقة من النمو، وفيها يتحدد الطريق الذي يسلكه الفتى المراهق والفتاة المراهقة، ويتحمل خلال هذه المرحلة بعض المسؤوليات الاجتماعية والسياسية من خلال عملية التصويت وتولى المناصب السياسية.

ومن ثم ينظر علماء النفس إلى مرحلة المراهقة على أنها مرحلة فيها الكثير من النمو وفي نفس الوقت فيها الكثير من التذبذب والاضطراب والمحاولة والخطأ. ويشبه «بيكونان والبرشت Pikunan and Albrecht» حياة المراهق بحلم طويل في ليل مظلم تتخلله أضواء ساطعة تخطف البصر أكثر مما تضيء الطريق، فيشعر المراهق بالضيق لفترة تنتهي بأن يجد نفسه ويعرف طريقه عندما يصل إلى مرحلة النضج.

ويرجع «كينستون Kenston» صعوبة هذه المرحلة وما تسببه من مشاكل إلى عدم الملاءمة بين ما يشعر به المراهق في هذه المرحلة وبين ما يشعر أن المجتمع يطالبه به، ويؤكد على أن الصراع الحقيقي لدى المراهق ليس نتيجة ضغوط الدوافع الجنسية وزيادة الرغبة في التحكم بالذات، بل هي نتيجة لطبيعته علاقته مع أفراد المجتمع من جانب، وضرورة تنمية وظائفه المعرفية بسرعة كبيرة من جانب آخر.

ويصف «صلاح مخيمر» المراهقة بأنها الميلاد النفسى وهى الميلاد الوجودى للعالم الجنسى، وهى الميلاد الحقيقى للفرد كذات فردية وهى مزيج من شىء فى سبيله إلى الخلع والانتهاه هو الطفولة، ونقيض فى سبيله إلى النماء هو الرشد وإذا نظرنا إلى الأجيال فى تعاقبها لرأيناها تتواصل يقطعها بين الجيل والجيل مفصل المراهقة وهو مفصل واصل فاصل معاً، والمراهق فى مرحلته الانفعالية هذه يتحدى طفولته فى ثقة؛ فيرفع الاستقلالية المسرفة فى وجه التبعية والتسلطية ليصل إلى تبعية متبادلة، والبلوغ فى نظره تدفق هائل لمدد من الطاقة الجنسية التى تصبغ العالم بالجنسية، ومن ثم فهو صدمة تحكم الاتزان النفسى وينشأ عصاب صدمى يبرز عدة أعراض انفعالية مثل سرعة القابلية للتهيج، ونوبات الغضب، وسرعة القابلية للتعب دون جهد يذكر، وعدم القدرة على تركيز الانتباه والجهد، ونوبات القلق، وأحلام اليقظة، ويحاول المراهق إقامة الاتزان النفسى من جديد مجرباً كل الإمكانيات وكافة الحلول، وينابذ الدفاع والإشباع فيمر بمرحلة من التوافق المتخبط بين السطحية والضخالة والندبة.

ولذلك تعتبر المراهقة انتقالاً هاماً وتغييراً كبير الأثر فى حياة الفرد تحدث فيها تغيرات فسيولوجية هامة من أهمها: حدوث البلوغ الذى يدل على النضوج الجنسى، ويتحدد البلوغ الجنسى عند البنين بحدوث أول قذف منوى أثناء الاحتلام، وظهور الخصائص الجنسية الثانوية وهى نمو شعر العانة، وشعر الشارب، واللحية، وتحت الإبطين، وتغير الصوت إلى الغلظة، ويحدد البلوغ الجنسى عند البنات بحدوث أول حيض، وظهور الخصائص الجنسية الثانوية وأهمها نمو الصدر والشدين، وظهور شعر العانة، وتحت الإبطين واتساع الحوض والردفين واستدارة الفخذين، وتغير الصوت وميله إلى الانخفاض والعمق.

وتتميز مرحلة المراهقة بظهور مشكلات عديدة فى جوانب النمو المختلفة؛ حيث إن الكبار الذين يتحملون مسئولية التوجيه والإشراف على المراهقين يجدون هذه الفترة هى عمر المشاكل لهم.

وتأكيداً على ما سبق، يصف «ستانلى هول Stanly Hall» المراهقة بأنها فترة عواصف وتوتر وشدة تميزها الأزمات النفسية وتسودها المعاناة والإحباط والصراع والقلق والمشكلات وصعوبات التوافق أى إنه الدور الذى تنحل فيه الميول الإنسانية التى تكونت فى الدور السابق وتعدل ثم تلتئم ثانية فكأن دور المراهقة هذا دور ظهور ميول وصفات إنسانية كثيرة إن لم يكن لأول مرة فبشكل جديد لم يعهده الفرد من قبل؛ فهذا الدور الذى يدخل فيه الفرد ويخوض غمار الحياة الإنسانية على حقيقتها أى ينقلب من الكائن الفردى المحب للدائه إلى كائن اجتماعي - توجه ميوله نحو المجموع الذى يعيش فيه والذى لا يكون هو نفسه إلا جزءاً منه ويصبح شعوره مواجهاً نحو الخارج بعد أن كان موجهاً نحو الداخل، وبعبارة أخرى فى هذا الدور تولد شخصية الإنسان.

ويعلق المراهق أهمية كبيرة على جسمه النامى وتزداد أهمية مفهوم الجسم «Body concept» أو الذات الجسمية «Physical self» وتعتبر عنصراً هاماً فى مفهوم الذات؛ حيث ينظر المراهق إلى جسمه كرمز للذات، ويلاحظ هنا شدة اهتمام المراهق بجسمه والحساسية للنقد فيما يتعلق بالتغيرات الجسمية الملحوظة السريعة المعقدة الجوانب، ويكون المراهق صورة ذهنية للجسم «body image» تتغير بطبيعة الحال مع التغيرات التى طرأت على الجسم وتتطلب نوعاً من التوافق وتكوين مفهوم موجب عن الجسم النامى، ويسهم الآخرون فى نمو مفهوم الجسم عند المراهق، وهكذا تنعكس أهمية مفهوم الجسم فى الوظيفة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى للمراهق.

ولذلك يهتم المراهق بمظهره الجسمى وصحته الجسمية وقوة عضلاته ومهاراته الحركية، ويعلم المراهق أن نموه الجسمى السوى وقوة جسمه ومهاراته الحركية ومظهره الخارجى العام له أهمية فى التوافق الاجتماعى وشعبته الاجتماعية خاصة مع أعضاء الجنس الآخر، وإذا لاحظ المراهق أى انحراف فى مظهره الشخصى عن المتوسط أو الواقعى أو المتخيل فإنه يبذل قصارى جهده لتصحيح الوضع،

وإذا أخفق ينتابه الضيق والقلق، وقد يؤدي ذلك إلى الانطواء والانسحاب من النشاط الاجتماعي خشية التعرض للتعليقات أو الشعور بالنقص.

وتختلف انفعالات المراهق في نواح كثيرة عن انفعالات الطفل، يشمل هذا الاختلاف النواحي الآتية:

١- تمتاز الفترة الأولى من مرحلة المراهقة بأنها فترة انفعالات عنيفة ونجد المراهق في هذه السنوات يثور لأتفه الأسباب شأنه في ذلك شأن الأطفال الصغار وترجع هذه الظاهرة إلى النمو الجسمي والتغيرات المفاجئة التي تصحب البلوغ.

٢- وفي أوائل مرحلة المراهقة إذا أثير أو غضب لا يستطيع التحكم في المظاهر الخارجية لحالته الانفعالية، ونفس الظاهرة تبدو عليه عندما يشعر بالفرح فإنه يقوم بحركات لا تدل على الاتزان الانفعالي؛ حيث نجد أنه أثناء حالة سروره يقوم بحركات هستيرية أو ببعض اللزمات التي تدل على حركات عصبية.

٣- يتعرض بعض المراهقين لحالات من اليأس والقنوط والحزن والآلام النفسية نتيجة لما يلاقونه من إحباط (Frustration) بسبب تقاليد المجتمع التي تحول بينهم وبين تحقيق أمنيتهم، وينشأ عن هذا الإحباط انفعالات متضاربة تدفع بعضهم إلى التفكير في الانتحار.

ولكي تتعرف عزيزي القارئ - بشيء أكثر تفصيلاً - على من هو المراهق؟ ميموله، مشكلاته، أزماته، .. إلخ. عليك بقراءة السطور القادمة والتي تتضمن المحاور التالية:

- ما هي مرحلة المراهقة؟

- أهمية دراسة مرحلة المراهقة.

- أشكال المراهقة.

- مراحل تطور المراهقين.

- خصائص المراهقين.
- مشكلات المراهقين.
- حاجات المراهقين.
- ميل المراهقين.
- المراهقون ومظاهر النمو.
- المراهقون ومطالب النمو.
- المراهقون والحياة الاجتماعية.
- المراهقون ومؤسسات التنشئة الاجتماعية.
- المراهقون والغضب.
- المراهقون والغزو الثقافي.
- المراهقون المعرضون للخطر.
- المراهقون وآبائهم.
- المراهقون والشعور بالوحدة النفسية.
- المراهقون والقلق والخوف من المستقبل.
- المراهقون وادمان المخدرات.
- المراهقون والشذوذ الجنسي.
- المراهقون والتربية الجنسية.
- هؤلاء يجب الاقتداء بهم (نماذج من شباب الإسلام).
- وأخيراً .. للآباء أقول.

ماهى مرحلة المراهقة؟

هى مرحلة انتقال بين الطفولة والرشد، هى قنطرة عبور، وعملية بيولوجية وتحول اجتماعى وثقافى فى حياة الإنسان، أمور تسير كلها معاً جنباً إلى جنب بتناغم واتساق والأهل عاجزون فى غالب الأحيان عن فهم طبيعة وحقيقة هذه المرحلة، أو ظاهرة النمو الجديدة، فى الوقت الذى يجب عليهم فيه مساعدة الفتى أو الفتاة على اجتيازها بأمن وسلام، ويشار إليها أحياناً بـ«مرحلة البلوغ» والبلوغ هو التطور الجسدى الذى يجعل الفتى قادراً على أن ينجب والفتاة قادرة على أن تحمّل، وسبب البلوغ هو نمو الجسد، ولاسيما الغدد الجنسية وعمل الغدد الجنسية بدوره مرتبط بعمل بقية الغدد الصماء، ومن هنا كانت ضرورة تبصير كل من الفتى والفتاة وهما على أبواب مرحلة البلوغ بما سيحدث لهما؛ حتى لا تكون هذه التغيرات بالنسبة لهما مفاجئة، بحيث تترك ردود فعل نفسية قاسية وخاصة عند الفتيات.

فمرحلة المراهقة كما يراها «ستانلى هول» مولد جديد للفرد، وهى فترة عواصف وتوتر وشدة، تظهر فيها إلى الوجود أعلى السمات الإنسانية وأقواها.

من أجل ذلك أطلق عليها لفظ العاصفة، أو الأزمة، إنها مرحلة حتمية من عمر الإنسان، لا يمكن إلغاؤها، ولا يمكن قمعها، أو إزالة آثارها، لكن يأتى علم «الانثروبولوجيا» ليغير من نظرتنا هذه إلى المراهقة ويجعلنا نتحفظ فى رد أسبابها إلى الناحية البيولوجية والنفسية؛ فنحن نجد عند الشعوب البدائية أن فترة الانتقال من الطفولة إلى المراهقة هى سهلة وخالية تقريباً من المشكلات، وهذا ما يشير إلى أن الأزمات الناتجة عن المراهقة فى مجتمعنا هى نتاج القيود التى تفرضها الحضارة.

وعلم النفس القديم كان ينظر إلى المراهقة باعتبارها بالفعل عاصفة هوجاء، يجب العمل على تجنبها بإقامة الحواجز المضادة، وكان يراها مستقلة عن باقى

مراحل العمر، فى حين ينظر علم النفس الحديث إلى المسألة نظرة أخرى فيراها غير مستقلة، بل هى مرتبطة تماماً مع المرحلة التى سبقتها ومع تلك التى تليها، وينظر إليها على أنها صلة الوصل أو القنطرة أو المعبر ما بين عالم الطفولة وعالم الرشد.

أى إن علم النفس الحديث يرفض مقولة أن المراهقة ثورة وعاصفة غالباً ما تكون مصحوبة بمظاهر سلوكية تدل على الانحراف أو سوء التوافق، ويرى أنها حالات عارضة، وما يلاحظ من تمرد وثورة ليس سوى نتيجة لما يصادفه الفتى من مواقف صلبة من الأهل والمدرسين، تصطدم برغباته وتحول دون تحقيقها، وبذلك تكون هذه العاصفة نتيجة مواقف إجاباتية من البيت والمدرسة والمجتمع.

ولقد كشف علم النفس الحديث عن يمكن استغلال طاقة النمو فى هذه المرحلة لصالح المراهق نفسه واستخدامها فى تنمية قدراته وكيانه وشخصيته.

ومرحلة المراهقة وما يصاحبها من تغيرات يمكن تشبيهها بعاصفة تحمل الكثير من الأتربة والرمال أو بثورة بركان هو مزيج من عوالم متعددة يمكن تحليلها إلى عناصر أربعة تتفاعل بعضها مع بعض وهى العنصر الانفعالى، والعنصر الاجتماعى، والعنصر العقلى، والعنصر الجنىسى، ولا شك أن هذه العوامل مجتمعة هى وراء ظهور هذه العاصفة المشار إليها فهى تتفاعل مع بعضها البعض، وتتحد، لتصل بالمراهق إلى قمة هذه المرحلة فتقول لقد وصل إلى نقطة البلوغ.

وأول ما تتجه إليه ثورة المراهق، هم أقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه الأم، والأب، والإخوة وخاصة إذا أحاطوه بمزيد من الرعاية والعطف والحب، فإنه يثور؛ لأنهم يذكرونه بالطفولة التى لم يعد يرتضيها مكانة له، وغالباً ما نسمع المراهقين من أبنائنا يرددون العبارة المألوفة (إنى لم أعد طفلاً .. إنى رجل ولى موقفى) وذلك عند كل تعارض لرغبته مع رغبات الأهل وفى ذلك عملية من عمليات إثبات الذات، وانتزاع اعتراف الآخرين وعلى رأسهم الأهل برجولته الاجتماعية واجتيازه لمرحلة الطفولة.

وقد يشور لأمر نراها نحن الكبار تافهة، لكنه يراها مهمة؛ فهو يشور لتأخر الطعام، أو لنوعيته أو للتدخل في شئون دراسته، وغالبًا ما تكون هذه الثورة غير متناسبة مع أهمية الموقف، وهنا يبدأ التعارض بين ما نراه تافها لا يستحق الثورة وما يراه هامًا جدًا وموجهًا ضده في نفس الوقت، وغالبًا ما يفكر المراهق أمام هذه المشكلات بالهرب من جو الأسرة، إذا كانت متشددة، يغادرها رغبة منه في تحطيم القيود المفروضة عليه من قبل الأسرة والمجتمع.

كذلك ينفر المراهق من الأسرة المتساهلة جدًا والتي لا تحمله المسئولية وتدله، ولا تعتمد عليه، وكأنها تريد أن يبقى طفلاً وهذا ما يرفضه المراهق فيتجه إلى ناحية يثبت فيها عكس ذلك، ومن أكثر المشكلات حدوثًا بين المراهق والديه سؤاله الدائم عن سبب تأخره خارج البيت، والتدخل في شئون اختياره لأصدقائه وفرض أصدقاء معينين عليه؛ فهو بحاجة إلى الأصدقاء ليمضى معهم أوقات فراغه، وهو يتخير لنفسه صديقًا أو أكثر، أو قد يتخلص من بعض أصدقائه القدامى الذين يجدهم غير جديرين بما بلغه من نضج ونمو، وتتميز الصداقة في مرحلة المراهقة بالحب الشديد والولاء، وقد يأتى المراهق رفاقه على الكثير من أسراره، ويميل إلى تكوين الصداقات مع الجنس الآخر، وللأصدقاء في مرحلة المراهقة أهمية أكبر مما لهم في أى مرحلة أخرى من مراحل حياة الفرد؛ فهم يفهمونه الفهم الكافى، وهذه العلاقات الشديدة بين المراهقين من نفس الجنس توجد لدى البنات أكثر مما هي لدى الصبيان؛ بحيث لا تترك لديهن وقتًا أو ميلاً لعلاقات اجتماعية أخرى خارج إطار هذه الصداقة.

والسلطة على المراهق فى الريف أقوى منها فى المدن؛ حيث يجد المراهق المجالات الرحبة لقضاء وقت فراغه وممارسة نشاطاته وهواياته الخاصة مع مجموعات الرفاق.

ومن المرغوب فيه أن يتخلل وقت المراهق قدر معين من العمل؛ لأن العمل الملائم الذى لا إجهاد فيه، يُعوِّد الفرد الجهد والاجتهاد وينمى لديه الإحساس بالمسؤولية؛ فمشاركة المراهق فى تحمل الأعباء يحوله إلى عضو نشط، منتج فى حياة الأسرة، وليس مجرد مستهلك، وإذا دُرِّبَ على الأعمال البسيطة منذ الطفولة أصبح فيما بعد، وفى المراحل اللاحقة أكثر قدرة على القيام بأعمال أكثر صعوبة وفائدة.

ويختلف علماء النفس فى تحديد مرحلة المراهقة؛ فبعضهم يتجه إلى التوسع فى تحديدها؛ فيرون أن فترة المراهقة يمكن أن يضم إليها الفترة التى تسبق البلوغ، وهم بذلك يعتبرونها بين العاشرة والحادية والعشرين بينما يحصرها بعض العلماء فى الفترة ما بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة (١٣-١٩) سنة.

وعلى الجانب الآخر، يؤكد بعض الباحثين على تعدد التعريفات الخاصة بتلك المرحلة والاتفاق فيما بينها على تحديد المرحلة سنيًا؛ حيث قسمت المرحلة إلى ثلاث مراحل فرعية: مراهقة مبكرة (١٢-١٤) سنة، مراهقة متوسطة (١٥-١٧) سنة، ومراهقة متأخرة من (١٨-٢١) سنة، كما اتفقت أيضًا فى أنها (مرحلة المراهقة) تبدأ بالبلوغ، الجنسي حتى الوصول إلى النضج؛ فهى مرحلة نمو جسمى وعقلى سريعين؛ مما ينتج عنه اضطرابات انفعالية وبعض المشكلات المعقدة من أعنف ما يواجه الإنسان فى مراحل تطوره؛ فالجسد يعود مرة أخرى ليقحم نفسه على الوجود من خلال نموه المفاجئ فى الحجم والشكل.

ومن التعريفات الخاصة بمرحلة المراهقة:

- تعريف (فريد جبرائيل): المراهقة هى فترة من حياة الإنسان تتميز بنضج أعضاء ووظائف التناسل عنده، تمتد من سن البلوغ وحتى سن الرشد أى من (١٣-١٨) سنة.

- تعريف (جلين Glenn): المراهقة هي مرحلة تقع ما بين كل من مرحلة الطفولة ومرحلة الرشد.

- تعريف (معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية): المراهقة هي مرحلة النمو التي تبدأ من سن البلوغ، أى من سن (١٣) سنة وتنتهى فى سن النضوج أى من سن (١٨-٢٠) سنة حتى سن النضوج العقلى والانفعالى والاجتماعى.

- تعريف (قاموس ويبستر Webster): المراهقة مرحلة انتقالية فى الحياة بين الطفولة والنضج.

- تعريف (جوزيف Joseph): المراهقة هي فترة انتقالية يترك خلالها المراهق منطقة نفسية معينة ليدخل فترة أخرى.

- تعريف (جوج joyg): المراهقة يحدث فيها تغيرات جسمية وانفعالية وغيرها، والمراهقون يعانون من مشكلات مثل العنف والاكتئاب والإهمال.

- تعريف (موسوعة برتيانكا): المراهقة هي عبارة عن مرحلة الطفولة والشباب معاً، ورغم أى بعض المؤلفين يعتبرون المراهقة مساوية للبلوغ الجنسي والتغيرات العضوية التي تختم بالنضج وبالقدرة على التماسل، إلا أنها تكون فى الغالب مرادفة للمفهوم النفسى والاجتماعى، فمثلاً تتزامن بدايتها ونهايتها الغامضة وغير المشخصة مع البلوغ الجنسي ومرحلة الشباب، وتعد هذه اللفظة وصفاً مناسباً لمرحلة تمتد من سن (١٢-٢٠) سنة فى حياة الشخص؛ حيث إنها لا تنطوى على أى قيد، أو تعريف معين حول خصائص نمو المراهقين أو أسباب خاصة بالمراهقة، وبالإمكان تشخيص أى مرحلة من مراحل الحياة طبقاً لبعض المسائل الخاصة بالنمو كالتطورات البيولوجية والنفسية والاجتماعية، ومنها ما يبرز بشكل واضح، ولكن ليس بالضرورة دائماً فى العقد الثانى من العمر فى مجالات الاتصال بالجنس الآخر والوعى المهنى ونمو القيم والأنا المستقلة.

- تعريف «قاموس أطلس الموسوعي»: المراهقة هي مرحلة التطور من البلوغ إلى الإدراك، وهي مرحلة النمو الممتدة بين الطفولة والإدراك.

- تعريف «jann Gumbiner»: المراهقة هي مرحلة انتقالية بين الطفولة والبلوغ تنتهي عند البلوغ، وحتى الاستقلال بالذات.

- ويعرفها «صلاح مخير»: بأنها الميلاد الوجودي للكائن البشري؛ حيث إنه يعى نفسه لأول مرة ذاتاً تريد أن تتحد في مواجهة الذوات الأخرى، ووجوداً يتلمس ماهيته الخاصة ويتأهب للمسيرة الأولى في رحلة تحديد المصير التي تمتد امتداد الحياة.

- وتعرف «أنا فرويد»: فترة المراهقة بأنها فترة الاضطراب في الاتزان النفسى، وهي تنشأ عن النضج الجنسي وما يستتبعه من صحوة القوى الليبيدية أو الشهوانية وعودة نشاطها، وقد تتعرض الأنا الأعلى في بعض الأوقات لصد انقباضات الهى أو هجماتنا الضاربة.

- ويعرفها «عبد الرحمن عيسوى»: بأنها تلك الفترة التي تبدأ من البلوغ الجنسي حتى الوصول إلى النضج، ويرجع لفظ المراهقة إلى الفعل العربى (راهق) الذى يعنى الاقتراب من كذا، والمعنى هنا يشير إلى الاقتراب من النضج الجسمى والعقلى والنفسى والاجتماعى، ولكن ليس النضج نفسه، والذى لا يصل إليه المراهق إلا بعد سنوات عديدة قد تصل إلى تسع سنوات.

- ويعرفها «عادل الأشول»: بأنها التغيرات الجسمية والعقلية والانفعالية التي تتم فى فترة العقد الثانى من العمر.

- ويعرفها «محمد شعلان»: بأنها أعنف ما يواجه الإنسان فى مراحل تطوره؛ فالجسد يعود مرة أخرى ليقيم نفسه على الوجود من خلال نموه المفاجئ فى الجسم والشكل علاوة على التغيرات الكيميائية؛ مما يصيبه بهزة فى كيانه تجعله

يكاد يفقد التعرف على نفسه؛ فيسأل بإلحاح وبعمق (من أنا؟) وهنا تبرز أهمية الهوية التي تكون جوهر هذه المرحلة في حياة الإنسان.

ويعرفها كل من (عبد العزيز القوصي) و(سيد غنيم) بأنها على النقيض من مرحلة النمو الهادئة التي تسبقها، ويطلق عليها أحياناً مرحلة الكمون، وهي مرحلة نمو جسمي وعقلي سريعين، الأمر الذي تنتج عنه بعض الاضطرابات الانفعالية وبعض المشكلات المعقدة فلا يستطيع الآباء والمربون والمشرفون توجيه المراهقين.

ويعرفها (إبراهيم فشقوش): بأنها تمثل فترة حرجة في حياة الفرد، بمعنى أنها تحتاج إلى تكيف من نوع جديد يختلف تماماً عما كان الفرد قد تعود عليه من قبل وهي تبدأ عادة بنهاية مرحلة الطفولة وتنتهي بانتهاء مرحلة الرشد أو النضج ويتراوح مداها الزمني بين الطول والقصر حسب نوعية الأسرة ونيتها ومستواها الاجتماعي والاقتصادي وثقافتها، بل إن طول هذه الفترة يتذبذب في المجتمع الواحد من وقت لآخر وفق الظروف الاقتصادية أو غير ذلك من الظروف.

- وتعرفها (كاميليا عبد الفتاح): بأنها من أصعب مراحل عمر الإنسان، ولا نغالي إذا قلنا إنها فترة تخلو من السعادة من كثرة ما فيها من معاناة وخاصة في المجتمعات الحضرية التي تضع قيوداً على سلوك الفرد ورغباته كما تحدد مستويات لطموحه؛ إنها مرحلة اضطراب وتمرد، تزداد فيها العواصف كلما ازداد ضغط الكبار وكلما زاد في شتى صوره.

- ويعرف (عباس عوض): المراهقة بأنها فترة يمر بها كل فرد، وهي تبدأ بنهاية مرحلة الطفولة المتأخرة طويلة أو قصيرة، وطولها أو قصرها يختلف أيضاً من مجتمع لمجتمع، ومن طبقة اجتماعية لأخرى، بل وتختلف أيضاً في المجتمع الواحد تبعاً للظروف الاقتصادية.

- ويعرف (على خضر): المراهقة بأنها لغة تفيد الاقتراب والذنو من الحلم، يقال رهق إذا لحق أو دنا، والمراهق بهذا هو الفتى الذي يدنو من الحلم واكتمال

الرشد، ولفظ المراهقة هو ترجمة كلمة «Adolescence»، وتبدأ المراهقة بالبلوغ ومعناه العلمى هو بدء ظهور المميزات الجنسية الأولية والثانوية نتيجة لنضج الغدد التناسلية.

أما كل من «منصور حسين» و«محمد مصطفى زيدان»: فيعرفان المراهقة بأنها مرحلة العمر التى تتوسط الطفولة واكتمال الرجولة أو الأنوثة بمعنى النمو الجسمى وتحسب بدايتها عادة من بداية البلوغ الجنسى الذى يتفاوت الأفراد فيه تفاوتًا يصل فى الأحوال العادية إلى نحو خمس سنوات بين المبكرين وآخر المتأخرين وبوجه عام فإن فترة المراهقة تقابل مرحلة التعليم الإعدادى والثانوى وهى مرحلة موحدة تمثل فترة الانتقال من الطفولة إلى الرجولة والأنوثة.

ويعرفها «حامد زهران»: بأنها مرحلة المراهقة الوسطى التى تتمثل فى الأفراد الذين تقع أعمارهم الزمنية فى الفترة الممتدة ما بين (١٥-١٨) سنة وهى المرحلة الثانوية، ويرى «حامد زهران» أن مرحلة المراهقة الوسطى أو مرحلة التعليم الثانوى هى المرحلة التى يقصدها عموماً من يتكلم عن مرحلة المراهقة.
فى ضوء ما سبق يمكن استنتاج أن المراهقة هى:

أ- الفترة التى يحدث فيها طفرة من التغييرات الجسمية والانفعالية السريعة تسودها عدة مشكلات مثل العنف والاكتئاب والإهمال.

ب- مرحلة من مراحل التطور «Development» تبدأ من البلوغ وتسم بحشد من التغييرات الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية بجوانبها المختلفة وتدخل فى إطار علم نفس النمو، وهى تقع بين الطفولة والرشد، وأصلها فى اللاتينية الفعل «Adolescent» والذى يعنى التدرج نحو النضج والرشد بكافة أوجهه بينما يأتى فى اللغة العربية من الفعل «رهن» وهو لا يعنى الحرق والجهل بقدر ما يعنى دخول الوقت، والدنو، واللحاق، والقرب، ويقال رهن الغلام أى قارب الحلم.

ج- فترة التحول الفيزيقي نحو النضج، وتقع بين مرحلة البلوغ وبداية سن النضج، ويحددها بعض علماء النفس عادة في سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وتختلف الاتجاهات نحو المراهقة باختلاف الثقافات، كما أن الأثر الاجتماعي والسيكولوجي للمراهقة يختلف أيضاً طبقاً لاختلاف الأنماط الثقافية.

د- مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الرشد والنضج، وتمتد من سن الثالثة عشرة إلى سن التاسعة عشرة، أو قبل ذلك بعامين أو بعد ذلك بعامين.

وفترة المراهقة هي من أصعب المراحل التي يمر بها الفرد؛ لأنه قد يتخبط أثناء محاولة تحديد هويته وتأكيد ذاته بين المحيطين به والمخالطين له ولاسمياً أعضاء أسرته الذين قد يخطئون في تفسير خصائص نموه العضوي والانفعالي والاجتماعي، وقد يلجأ أفراد الأسرة إلى أساليب غير تربوية في تعاملهم مع المراهق مثل اللوم أو التوبيخ أو التهديد والوعيد بسبب سلوكياته التي تبدر منه ولا ترضيهم، دون أن يحاول أى منهم مساعدته على تعديلها أو تبديلها بما هو أفضل منها؛ مما يتسبب في النيل من كرامته وجرح مشاعره وطمث معالم هويته؛ لذلك يجد المراهق سلوكياته دائماً مرفوضة في رؤية الآباء، بينما يجد سلوكيات أقرانه المماثلة لها مقبولة في رؤية الرفقاء؛ مما يجعله يميل إليهم من أجل اكتساب الاعتراف بذاته في إطار جماعتهم.

وإذا كانت المراهقة مرحلة تعترىها تغيرات بيولوجية عاصفة حسب كتابات رواد التحليل النفسي فهي أيضاً تتميز بحشد من التغيرات المعرفية والنفسية وتغيرات في الأدوار الاجتماعية، وعلى الرغم من أن توقيت وطبيعة هذه التغيرات تختلف باختلاف الثقافات، إلا أنه ينظر إليها كعملية وأنها تحدث بشكل مؤقت وسابق للتغيرات الأخرى، والتي تميز بشكل نمطي مرحلة المراهقة، على سبيل المثال التغيرات في نمو الهوية، والاستقلالية، ... إلخ.

عموماً فمرحلة المراهقة هي الجسر الذي يصل الطفولة بالرشد؛ فهي التي تمتد حتى تصل بالفرد إلى اكتمال النضج في سن الرشد: حوالي العشرين من العمر؛ ففيها يبلغ الفرد كمال نضجه الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي أيضاً، فالمراهقة التي تبدأ بالبلوغ وتنتهي بالرشد، هي عملية حيوية في بدنها، ولكنها اجتماعية في نهايتها؛ فمرحلة المراهقة هي المرحلة التي تجعل الطفل إنساناً اجتماعياً وكائناً راشداً، ومواطناً يخضع خضوعاً مباشراً لنظم المجتمع ومعاييره؛ فهي مرحلة تصطبغ بشعائر الجماعة التي تنشأ في إطارها؛ لذا تعتبر المراهقة المرحلة الحاسمة في تكوين السلوك الاجتماعي للفرد (سياسي، ثقافي، اجتماعي،... إلخ) وتكوين الاتجاهات والمعايير والقيم التي نريدها في مواطننا.

ومن ثم فقد لاقت ظاهرة المراهقة اهتمام الباحثين؛ فقد جمّد (فرويد) على نمط الطفولة الأولى التي ركز عليها نظريته في التحليل النفسي، وفسرها «هول» على أساس بيولوجي، وأرجعتها «ميد» إلى الظروف الحضارية، ولكن «ليفين» ربطها بالقوى الاجتماعية والحضارية عندما تعتبر هذه القوى جزءاً من المجال النفسي للمراهق بطريقة شعورية أو غير شعورية.

فالمراهقة ليست مجرد تغير كمي في حجم الجسم ووظائفه، بل هي ميلاد لمنظومة إدراك، وحلم، واتصالات، كلها مختلفة عن منظومة الطفل الذي كان، والمراهقة تمثل مرحلة اكتشاف الأشياء في ضوء جديد، وهي فترة انتقالية بين الطفولة والرشد يرافقها انتقال في أسلوب العلاقات إلى جانب التغيرات الجسدية، ومن الجوانب النفسية في هذه المرحلة: بناء الفردية المستقلة، وتعزيز الإحساس الثابت بالهوية، والاهتمام بالأفكار المثالية والتجريدية.

أهمية دراسة مرحلة المراهقة

تعود أهمية دراسة مرحلة المراهقة إلى أنها مرحلة دقيقة خاصة من الناحية الاجتماعية؛ إذ يتعلم فيها الناشئون تحمل المسؤوليات الاجتماعية وواجباتهم كمواطنين في المجتمع، كما أنهم يكونون أفكارهم عن الزواج والحياة الأسرية.

ولا شك أن دراسة سيكولوجية المراهقة مفيدة ليس فقط للمراهقين بل أيضاً للوالدين والمربين ولكل من يتعامل مع الشباب، وبما لا جدال فيه أن الصحة النفسية للفرد طفلاً فمراهقاً ذات أهمية بالغة في حياته وصحته النفسية راشداً فشيخاً.

كما تتضح أهمية دراسة مرحلة المراهقة من التعرف على ميول المراهق واتجاهاته في هذه المرحلة؛ مما يترتب عليه دور الأسرة في توجيه ميوله واهتماماته التوجيه الأمثل.

حيث تتميز هذه الفترة بأنها فترة تغير شامل في جميع جوانب النمو، واجتياز الشباب لهذه المرحلة بسلام يؤذن بأنه سوف يكون في حياته صحيح النفس، قوى الشخصية، أما إذا لم يخرج منها الشباب سليماً فإن ذلك يؤذن بأوخم العواقب على تكوينه النفسي وسلوكه الاجتماعي في المستقبل.

ولأهمية مرحلة المراهقة فقد اهتم بدراستها العديد من العلماء والباحثين وعلى رأسهم «أرنولد جيزل A. Gessell» ومعاونوه، كما اهتم بها أيضاً عالم كبير من علماء النفس هو «ستانلى هول Stanly Hall»، وينظر «هول» لمرحلة المراهقة على أنها مولد جديد للفرد؛ فهي فترة عواصف وتوتر وشدة لما تتضمنه من تغيرات ضخمة في الحياة؛ فهي إذن نوع جديد من الميلاد مصحوب بتوترات ومشكلات وضغوط اجتماعية تحيط بالفرد.

حيث يمر المراهق بمراحل شتى يتمثل فيها التمرد والعناد أحياناً وهو يماثل سلوك طفل ما قبل الثامنة، ويصحبها نمو واضح في الجوانب البدنية والجنسية والنفسية والعقلية وترتبط بها ظواهر انفعالية حادة قد تؤدي إلى مشكلات

وأعراض اجتماعية، ولهذا نجد على سبيل المثال أن الدراسات تشير إلى أن معدل الإجمام في مرحلة المراهقة يبلغ عشرة أضعاف معدل الإجمام في مرحلة الطفولة. وتمثل مرحلة المراهقة فترة حرجة في حياة الفرد؛ بمعنى أنها تحتاج إلى تكيف من نوع جديد يختلف تمامًا عما كان الفرد قد تعود عليه من قبل، وهي - كما سبق أن ذكرنا - يتراوح مداها الزمني - أي مرحلة المراهقة - بين الطول والقصر حسب نوعية الأسرة وبيئتها ومستواها الاجتماعي والاقتصادي وثقافتها، بل إن طول هذه الفترة قد يتذبذب في المجتمع الواحد من وقت لآخر وفق الظروف الاقتصادية أو غير ذلك من ظروف.

وهو ما تؤكد الأحداث اليومية المتلاحقة في العديد من دول العالم، ولعل أبرزها ما قام به طالبان من إحدى المدارس الثانوية عام ١٩٩٩ بالولايات المتحدة الأمريكية من إطلاق النار على زملائهما داخل المدرسة مما أودى بحياة ٢٥ طالبًا وطالبة وإصابة ٤٠ آخرين، وقد أرجع الرئيس الأمريكي - آنذاك - «بيل كلينتون»- هذا الحادث إلى طبيعة العنف السائد في المجتمع الأمريكي بفعل وسائل الإعلام وزيادة نشرها لأخبار العنف والجريمة.

ولتمر هذه المرحلة بسلام دون أن تترك آثارًا ضارة على الشخصية، لا بد أن يفهم الوالدان والمربون طبيعة هذه المرحلة، كما يجب أن تتعاون المؤسسات التعليمية والدينية والإعلامية في توجيه ورعاية المراهقين.

ونتيجة لهذه الأهمية، فقد حدث تطور كبير في دراسة المراهقة وأصبحت دراستها تتناول جميع جوانب النمو بعد أن كانت تركز على الجوانب الجنسية فقط حتى يستطيع أن يتكيف المراهق مع الأوضاع الاجتماعية الجديدة.

أشكال المراهقة

الواقع أنه ليس هناك نوع واحد من المراهقة، فلكل فرد نوع خاص حسب ظروفه الجسمية والاجتماعية والنفسية والمادية وحسب استعداداته الطبيعية؛ فالمراهقة تختلف من فرد إلى فرد، ومن بيئة جغرافية إلى أخرى.

والانتقال من الطفولة للرجولة فى المجتمعات البدائية انتقال مباشر، أما فى المجتمعات المتحضرة فقد أسفرت الأبحاث عن أن المراهقة قد تتخذ أشكالاً مختلفة حسب الظروف الاجتماعية والثقافية التى يعيش فى وسطها المراهق، وعلى هذا فهناك أربعة أشكال عامة للمراهقة فى مصر على النحو التالى.

(١) المراهقة المتوافقة،

وتتمثل سماتها العامة فى: الاعتدال والهدوء النسبى والميل إلى الاستقرار والإشباع المتزن والالتزان العاطفى والحلو من العنف والتوترات الانفعالية الحادة، والتوافق مع الوالدين والأسرة، والتوافق الاجتماعى، والرضا عن النفس، وتوافر الخبرات فى حياة المراهق والاعتدال فى أحلام اليقظة، وعدم المعاناة من الشكوك الدينية.

أما بالنسبة للعوامل المؤثرة فى المراهقة المتوافقة فهى تتمثل فى: المعاملة الأسرية السليمة التى تتسم بالحرية والفهم واحترام رغبات المراهق وتوفير جو الاختلاط بالجنس الآخر فى حدود الأخلاق والدين وحرية التصرف فى الأمور الخاصة والاستقلال النسبى وعدم تدخل الأسرة فى شؤونه الخاصة، وإشباع الهوايات، وتوفير جو من الثقة والصراحة بين الوالدين والمراهق فى مناقشة مشكلاته، وشعور المراهق بتقدير والديه واعتزازهما به وشعوره بتقدير أقرانه وأصدقائه ومدرسيه وأهله، ويسر الحال وارتفاع المستوى الاقتصادى الاجتماعى للأسرة، وشغل وقت الفراغ بالنشاط الاجتماعى والرياضى، وسلامة التكوين الجسمى والصحة العامة، والتفوق الأكاديمى والنجاح الدراسى، والتدين والشعور بالأمن والاستقرار والاستقامة والرضا عن النفس والراحة النفسية، والشعور بالمسئولية الاجتماعية وممارستها، وحرية التصرف والاعتماد على النفس، والتأثر بشخصيات رياضية، وإعلاء النواحي الجنسية والانصراف بالطاقة إلى الرياضة والثقافة الأدبية والدينية.

(٢) المراهقة الانسحابية المنطوية:

وتتمثل سماتها العامة فى: الانطواء والاكتماب والعزلة والسلبية والتردد واخجل والشعور بالنقص، ونقص المجالات الخارجية والاقتصار على أنواع النشاط الانطوائى وكتابة المذكرات التى يدور معظمها حول النقد والتفكير المتمركز حول الذات ومشكلات الحياة ونقد النظم الاجتماعية والثورة على تربية الوالدين، ومحاولة النجاح الدراسى، والاستغراق فى أحلام اليقظة التى تدور حول موضوعات الحرمان والحاجات غير المشبعة، والإسراف فى الجنسية الذاتية، والاتجاه إلى النزعة الدينية المتطرفة بحثًا عن الراحة النفسية واخلاص من مشاعر الذنب.

وتتمثل العوامل المؤثرة فى المراهقة الاسحابية المنطوية فى: اضطراب الجو النفسى فى الأسرة، والأخطاء الأسرية التى منها التسلط وسيطرة الوالدين والحماية الزائدة وما يصاحب ذلك من إنكار لشخصية المراهق، وتركيز قيم الأسرة حول النجاح الدراسى مما يثير قلق الأسرة وقلق المراهق، وجهل الوالدين وتوجيههما السئى، وضعف المستوى الاقتصادى الاجتماعى، ونقص ممارسة النشاط الرياضى، والتزمت والرجعية والمغالاة فى اتجاهات الأسرة، والفشل الدراسى، والتخلف فى التكوين الجسمى وسوء الحالة الصحية، ونقص إشباع الحاجة إلى التقدير وتحمل المسئولية.

(٣) المراهقة العلوانية المتمردة:

وتتمثل سماتها العامة فى: التمرد والثورة ضد الأسرة والمدرسة والسلطة عموماً والانحرافات الجنسية، والعدوان على الإخوة والزملاء، والعناد بقصد الانتقام خاصة من الوالدين، وتحطيم أدوات المنزل، والإسراف الشديد فى الإنفاق، والتعلق الزائد بروايات المغامرات، والحملات ضد رجال الدين وإعلان الإلحاد والشكوك الدينية، والشعور بالظلم ونقص التقدير، والاستغراق فى أحلام اليقظة، والتأخر الدراسى.

وتتمثل العوامل المؤثرة فيها - أى المراهقة العدوانية المتمردة - فى: التربية الضاغطة المتزمتة وتسلط وقسوة وصرامة القائمين على تربية المراهق، والصحة السيئة، وتركيز الأسرة على النواحي الدراسية فحسب، ونبذ الرياضة والنشاط الترفيهي، وقلة الأصدقاء، وضعف المستوى الاقتصادى والاجتماعي، والعاهات الجسمية وضآلة وتأخر النمو الجسمي، والتأخر الدراسي، خطأ الوالدين فى توجيههم، ونقص إشباع الحاجات والميول.

(٤) المراهقة المنحرفة:

وتتمثل سماتها العامة فى: الانحلال الخلقى التام، والانهياب النفسى الشامل، والجناح والسلوك المضاد للمجتمع، والانحرافات الجنسية، وسوء الأخلاق والفوضى والاستهتار، وبلوغ الذروة فى سوء التوافق، والبعد عن المعايير الاجتماعية فى السلوك.

وتتمثل العوامل المؤثرة فى المراهقة المنحرفة فى: المرور بخبرات شاذة مريرة، والصدمات العاطفية العنيفة، وقصور الرقابة الأسرية أو تخاذلها وضعفها، والقسوة الشديدة فى معاملة المراهق فى الأسرة وتجاهل رغباته وحاجات نموه أو التدليل الزائد من ناحية أخرى، والصحة المنحرفة، والنقص الجسمي أو الضعف البدني والشعور بالنقص والفشل الدراسي، وسوء الحالة الاقتصادية للأسرة، والعوامل العصبية أو الاختلال فى التكوين الغددى.

وتعقياً على أشكال المراهقة السابق عرضها فقد وجد ما يدل على اختلاط أشكال المراهقة بمعنى تطور المراهقة من أحد أشكالها إلى شكل آخر وجمع بعض الحالات بين ملامح شكلين أو أكثر من الأشكال السابق تحديدها.

ولكن شكل المراهقة يتغير بتغير الظروف والعوامل المؤثرة فيها كما يوضح «عزیز حنا» عدم الثبات الانفعالي فى المراهقة بتأرجحها بين متناقضات عديدة بين النشاط والكسل والغمول، وبين السعادة والانقباض والحزن، وبين الثقة بالنفس والاعتدال وبين عدم الثقة بالنفس.

كذلك يتأرجح المراهق بين الأنانية وبين التضحية والإيثار، وبين الاجتماعية والفردية وبين الحساسية المرهفة والتبلد، وبين التحمس للعمل والتعلم وبين عدم الاهتمام، ولا غرابة في ذلك؛ فالمراهق يعاني من مرحلة انتقال بين الطفولة والرجولة ولم يصل بعد إلى تكوين البناء الشخصي المتكامل.

وعليه يجب على المعلم والأب أن يتحاشوا له فرص النمو السوى وأن لا يسلكا أنماطاً من السلوك تزيد من حدة هذه الانفعالات كما تزيد من تناقضها، بل تكون المعاملة الهادئة المتزنة والمعقولة، وتقدير وجهة نظر المراهق ومحاولة تفهمها عاملاً هاماً في مروره من هذه الفترة القلقة إلى الثبات والاستقرار.

وإذا أردنا أن نفهم شيئاً عن تلك الفترة العصبية التي يمر بها المراهق فنجد أنها تتسم بصفتين أساسيتين هما:

١- التغيرات الجوهرية.

٢- التمرد على السلطة.

بالنسبة للتغيرات الجوهرية:

نجد فترة المراهقة هي فترة نضال وكفاح من المراهق؛ حيث إنه يحاول أن يكيف نفسه مع التغيرات التي تطرأ عليه؛ لأن هذه التغيرات تأتي دفعة واحدة وتطرأ عليه فجأة.

فلا بد أن يكون مستعداً لها ويحاول أن يتكيف معها حتى يستطيع أن يعبر هذه المرحلة بنجاح إلى المرحلة التي تليها؛ فنجد أن في هذه المرحلة يبلغ المراهق النضج الجسمي والجنسي، وقد يصاحب ذلك اضطرابات انفعالية، ونجد أنه لا يستطيع التكيف مع الكبار لأن الآباء والقائمين على تربيته وتمشعته يتكفرون لحاجاته وورغباته.

بالنسبة للتمرد على السلطة؛

نجد أن المراهقين يشعرون بالعدوان لنفس الأسباب التي من أجلها يتولد العدوان في نفوس الأطفال أى الاستياء والحمران والألم.

وكذلك لأن المراهقين يجاهدون فى سبيل الحصول على قدر أكبر من الحرية، وكذلك لأن المراهقين بقدر حاجاتهم إلى الاستقلال فهم يحتاجون أيضاً إلى الضبط الاجتماعى، وتسم هذه المرحلة بالتمرد على السلطة فنجدهم يطالبون بالحرية وعدم التقيد.

مراحل تطور المراهقين

يرى بعض الباحثين - كما سبق أن ذكرنا - أن هناك صعوبة فى تحديد بدء مرحلة المراهقة ونهايتها لأنها تختلف من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر، ويطلق الباحثون على المراهقة مصطلح «The Teen years»، ويقسمها البعض إلى عدة مراحل هي:

(١) مرحلة ما قبل المراهقة Pre Adolescence :

يطلق عليها مرحلة التحفز والمقاومة، وتمتد بين العاشرة والثانية عشرة (١٠-١٢) تقريباً؛ حيث تظهر لدى الفرد عملية التحفز تمهيداً للانتقال إلى المرحلة التالية من النمو، وكذلك تبدو مقاومة نفسية تبذلها الذات ضد تحفز الميول الجنسية، كما يزداد إحساس الفرد بجنسه فيحدث نفور الفتى من الفتاة ويتعد عنها وكذلك تتجنب الفتاة الفتى.

(٢) مرحلة المراهقة المبكرة Early Adolescence :

تبدأ من سن (١٢-١٤) سنة، وتمتد من بداية النمو السريع الذى يصاحب البلوغ عند استقرار التغيرات البيولوجية الجديدة عند الفرد، ويتميز سلوك الفرد المراهق خلال هذه المرحلة بالسعى إلى الاستقلال والرغبة فى التخلص من القيود والسيطرة، والمراهقة المبكرة تقابل مرحلة الدراسة المتوسطة (الإعدادية).

(٢) مرحلة المراهقة الوسطى Middle Adolescence:

وهي ما تعادل (المرحلة الثانوية) من (١٥-١٧) سنة، والمراهقة الوسطى هي قلب مرحلة المراهقة وفيها تتضح كل المظاهر المميزة لمرحلة المراهقة بصفة عامة.

(٤) مرحلة المراهقة المتأخرة Late Adolescence:

من (١٨-٢١) سنة، وتمتد منذ استقرار التغيرات البيولوجية وحتى بداية سن الرشد والنضج، وتتميز هذه المرحلة بتكيف المراهق مع المجتمع الذي يعيش فيه والابتعاد عن العزلة والانطواء تحت لواء الجماعة فتقل نزعاته الفردية وتتحدد اتجاهاته نحو الشؤون السياسية والاجتماعية والعمل، والمراهقة المتأخرة تقابل مرحلة الدراسة الجامعية.

ويقسم (مصطفى فهمي) المراهقة تقسيماً آخر إلى المراحل التالية:

أولاً: مرحلة ما قبل المراهقة: وتبدأ عادة من سن العاشرة وتنتهي في الثانية عشرة.

ثانياً: المراهقة المبكرة: وتمتد من (١٣-١٦) عاماً.

ثالثاً: المراهقة المتأخرة: من (١٧-٢١) عاماً.

أى إن مرحلة المراهقة تنتهى عند ٢١ سنة حين يصبح المراهق ناضجاً جسمياً وفسولوجياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً، والمراهقة كحلقة من الحلقات فى دورة النمو النفسى تتأثر بالحلقات السابقة عليها كما تؤثر بدورها فى المراحل اللاحقة لها.

خصائص المراهقين

اهتم علماء النفس بدراسة مرحلة المراهقة - كما سبق أن ذكرنا - حيث إن هذه المرحلة تعد من أخطر المراحل التى يمر بها الفرد فى حياته.

ومع ما للمراهقة من أهمية فإنها تتميز منذ بدايتها بالعديد من الخصائص الهامة التي تميزها عن سنوات الطفولة وعن المراحل التي تليها؛ فالمراهقة ذات طبيعة بيولوجية واجتماعية خاصة؛ إذ تتميز بدايتها بحدوث تغيرات بيولوجية عند البنات والأولاد، ويتواكب مع هذه التغيرات ويصاحبها تغيرات نفسية، واجتماعية، وانفعالية، ... إلخ، وهي من الوجهة الزمنية تضم الأفراد الذين تقع أعمارهم الزمنية في الفترة الممتدة ما بين (١٢ - ١٨) سنة ومن الوجهة النفسية تضم الأفراد الذين أنهوا أو اجتازوا مراحل الطفولة.

ففترة المراهقة لها خصائصها ومزاياها التي تميزها عن أى فترة أخرى من حياة الفرد نظراً للتغيرات السيكولوجية (النفسية) التي تطرأ على الفرد؛ فهي مرحلة المرونة ويكون المراهق فيها على استعداد للتشكيل وتخلخل القديم وتقبل الجديد، ويؤدى ذلك بدوره لاضطرابات لدى الأفراد، وبندهم لمعتقداتهم السياسية والدينية؛ فقد يتخبطون في آرائهم تجاه ما يواجههم من آونة لأخرى.

ويلاحظ أن التغيرات النفسية عند المراهق ليست بالضرورة ناتجة عن التغيرات الجسمية في المراهقة فحسب، بل هي نتيجة للثقافة الموجودة في البيئة التي يعيش فيها الفرد؛ ففي المجتمعات البدائية نجد فترة المراهقة قصيرة، بعدها يتكيف الفرد مع مجتمع الناضجين، أما في المجتمعات المتحضرة فواضح أن مرحلة المراهقة فيها تطول حسب ثقافة المجتمع وتحضره، وبالتالي فإن بداية المراهقة ونهايتها تختلف من فرد إلى آخر، ومن نوع لآخر ومن سلالة لأخرى، ومن جنس لآخر.

والمراهقة المبكرة والمتوسطة يمكن وصفها بأنها فترة المحاولة للهروب من النفوذ الأبوي (Parental influence) وبالانفصال المتكرر عن أفراد الأسرة الآخرين، ومع هذا ففي الوقت الذي يصل فيه الشباب إلى نهاية سنوات المراهقة فعادة ما يطورون الوعي الذاتي والذي شكلته الحقائق البيئية.

فالمراهق يشعر دائماً بحاجته إلى التحرر من سلطة الوالدين بهدف التفرد وإبراز ذاته وفي نفس الوقت يسعى لتكوين علاقات جديدة مع الأصدقاء والزملاء

تمكنه من التعبير عن نفسه كفرد وحصوله على التقدير أو الاعتراف الاجتماعي من خلال مشاركته في الأعمال الجماعية؛ فترة المراهقة إنما تمثل على حد تعبير «ميوشن وكونجر وكاجن» شدة الفردية وشدة الاجتماعية؛ فالمراهق يشعر دائماً بحاجته إلى الآخرين من الأصدقاء والزملاء، كما أن لديه العديد من الجوانب والأنشطة التي يفضل التفرد بها.

وبذلك فخصائص المراهق، كما يؤكد «Muss» تحتاج إلى مزيد من الحوار الذي يسمح له أن يعبر عن ذاته وأن يحقق استقلاله ويشعره بالمسئولية ويشبع رغبته في النقد واكتشاف الحقيقة والبحث عنها، كما أن هذا الحوار الفكري والعقلي يمكن أن يحقق نضجاً انفعالياً فيجعله لا يثور بسرعة ولا يبدو متهوراً أو متردداً، فالنضج الوجداني يتحدد بأسلوب التفكير والعمل والسلوك الذي يقوم به المراهق.

ويرى «مصطفى سويف» أن التغيرات التي تتم في مرحلة المراهقة ما هي إلا تغيرات ارتقائية تتبعية تهدف نحو تحقيق النضج، ويترتب عليها نتائج سيكلوجية وأنماط سلوكية عند الأفراد، وإن كان هناك اختلاف في شدتها يشير إلى أهمية المجال الاجتماعي للفرد، والاتجاه السائد في كثير من البحوث الحديثة يوضح بمختلف الظروف التجريبية من اختبارات ودراسات تتبعية آثار التغيرات الفسيولوجية التي لا يمكن إغفالها والتي تتضح في ظهور أنماط سلوكية متشابهة في بعض جوانبه الأخرى؛ بحيث تكشف عن آثار البيئة الاجتماعية في تشكيل خصائص هذا المستوى وإبرازه في صورة معينة.

وذلك أن محور الاهتمام في مرحلة المراهقة كما يراها «إريكسون Erikson» هو الهوية في مقابل الغموض؛ حيث يكون على المراهق أن يحدد هويته ويجد له دوراً اجتماعياً ووظيفياً في المجتمع الذي ينتمى إليه؛ فقد أصبح على المراهق تحديات لا بد أن يواجهها وهي: أن يتحكم في طاقته الجنسية وعدوانه، وأن يجد لهما مخرجاً يتفق وتوقعات بيئته الثقافية والاجتماعية، وأن يرتبط بواحد من أفراد

الجنس الآخر، وأن يححر نفسه من الاعتماد المفرط اجتماعياً وعاطفياً واقتصادياً، على والديه، وأن يختار عملاً، وأن ينمو لديه شعور ناضج بالهوية، هذه التحديات يعيها المراهق فيما يعرف بـ «أزمة الهوية» (Identity crisis) وهي تتبلور فى سؤالين هما: من أنا؟ وماذا أريد؟

كما أنها مرحلة طبيعية يعاد فيها تنظيم القوى النفسية والعقلية كى تجابه مطالب الحياة الراشدة، فإن وجد المراهق التوجيه السليم خلت حياته من الاضطراب والفوضى النفسية والانهماك فى المشاكل الجنسية والعدوان المدمر والتمرد الهدام، أما إذا كانت معاملتنا للمراهق تقوم على الكبت والإحباط فإن هذا يدعو إلى العناد والسلبية وعدم الاستقرار أو الالتجاء إلى بيئات أخرى يجد فيها منفذاً للتعبير عن ذاته.

فالعناد يعتبر من أهم سمات المراهق، فإذا اهتم الوالدان بالنظافة رغبة فى أن يعودها فإنه يقاوم ويتخذ النقيض بإهمال مظهره وملبسه والعزوف عن نظافة غرفته، بل ويجد لذة فى أن يظهر بمظهر القذارة والإهمال، وإذا اهتمت الأسرة بالتمسك بالأخلاق الحميدة فإنه يجنح نحو السلوك الذى لا ترضى عنه، فهو يثير المشكلات مع الناس ويحطم الهدوء المنشود فى الحياة المنزلية، وإذا أظهر الوالدان اهتماماً بفدائه انصرف هو عن الغذاء حتى لو وقع فريسة المرض والهزال، وهكذا الحال بالنسبة للدراسة يقاوم إلى درجة أن يهبط إلى مستوى التأخر الدراسى وخاصة إذا أملت الأسرة تفوقه.

وفى ضوء ذلك نؤكد على مسألة هامة كأحد أشكال العناد تقلق الوالدين وتجعلهما فى عراك دائمًا مع المراهق وهى عادة تدخين السجائر - والتي تعد البوابة الرئيسية التى يعبر منها المراهق لإدمان المخدرات كعادة، فإذا أبدى الوالدان عدم الرضا عنها كعادة سيئة لما تسببه من أضرار صحية ونفسية ومادية، فإن المراهق يسرع وينغمس فى التمسك بهذه العادة، ومن ثم إدمانه للمخدرات.

من ناحية أخرى، فإن هذه الفترة - المراهقة - هي مرحلة النضج الجنسي ودخول المراهق عالمًا جديدًا فيه لذة وإثبات لرجولته، إلا أنه يجد نفسه أمام القيود الأخلاقية التي تحول بينه وبين هذا العالم المحيط به، وهذا يحتاج بدوره لإشباع لآتمآهاته وقرآنزه بوازع قوى وليس هناك أقوى من الوازع الدينى فى توجيههم الوجهة الصحيحة.

وفى هذا الإطار، يشير «فيليب ريس Philip Rice» إلى مرحلة المراهقة على اعتبار أنها مرحلة ذات طبيعة بيولوجية واجتماعية على السواء تبدأ بالبلوغ الجنسى للجنسين وتنتهى بالنضوج والاستقلالية فى الرشد وانطلاقاً من ذلك فهناك العديد من الخصائص والسمات التى تميز مرحلة المراهقة ومنها:

(١) التطلع والرغبة فى الاستقلال والتحرر من السلطة الأبوية والأسرة.

(٢) الشعور بالانتماء إلى الأصدقاء فى نهاية الفترة.

(٣) الميل إلى التحرر من العرف والتقاليد.

(٤) البحث والمناقشة فى الموضوعات والظواهر غير الملموسة مثل الفلسفة، السياسة، الاقتصاد، الدين، ... إلخ.

(٥) قد تظهر فى أواخر فترة المراهقة أعراض عدم الاستقرار، والانطواء، أو التصرفات الشاذة التى تثير قلق الكبار على المراهق.

وعلى الرغم من الاتفاق حول وجود اختلاف بين سلوك المراهقين وفقاً لاختلاف الوسط الثقافى والاجتماعى إلا أن ذلك لا ينفى أن هناك خصائص عامة ومظاهر مشتركة لتلك المرحلة، من تلك الخصائص والمظاهر، اهتمام المراهق بذاته وما طرأ عليه من تغيرات مختلفة، أيضاً التقلبات الانفعالية التى تجمله يتخبط بين الإيمان والإحاد، الشك واليقين، الاستقلال والتبعية، العناد والطاعة، الحب والكراهية، الاحترام والاحتقار، ... إلخ، وهو دائماً يقوم بتقييم علاقته بالآخرين وبنفسه، كما أنه يتجه إلى النقد والتمرد، وفى بعض الأحيان إلى الثورة على القيم والمعايير السائدة.

فمن الشائع أن نجد المراهق يبحث فى أخطاء الآخرين مع ميله إلى نقد تصرفات الغير، ونجد أن روح النقد شاملة فهى تتوجه ضد الأسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة، كما أن النزعة الاستقلالية تنمو بشكل ملحوظ فنجده يرفض أن يسيطر عليه الآخرون، ويميل إلى التمرد وتحمل المسئولية، وفى بعض الأحيان يتجه إلى العصيان وتحدى عالم الكبار والمخرج عن أى قوانين أو تقاليد وفى نفس الوقت يميل إلى توجيه الآخرين.

كما نرى أن النمو العقلى واللغوى للمراهق، يجعله لا يأخذ الأمور على أنها قضايا مسلم بها وإنما يقوم بعملية فحص وتحليل، والحوار يتفق وتلك الخصائص لأنه يسهم فى التفتح ذهنى والانتباه والإدراك، كما أن المراهق يمكن أن يكسب قدرة على معالجة المسائل الاجتماعية بطريقة جدية ويقوم بتحليل المواقف تحليلاً دقيقاً.

فالمراهقون عموماً، يهتمون بالمشكلات الفردية والقضايا السياسية والاجتماعية أكثر من اهتمامهم بالمناهج الدراسية، ويساعدهم فى ذلك نمو القدرة الاستقرائية التى تبدو فى سهولة اكتشاف القاعدة من جزئياتها، والقدرة الاستبطائية التى تبدو فى سهولة معرفة الجزئيات تحت لواء قاعدة عامة، والقدرة على إقامة الأحكام وهى من الملامح الأساسية للنمو العقلى للمراهق.

من خلال العرض السابق يمكن تحديد خصائص المراهقين فى النقاط التالية:

- (١) التقدم الواضح المستمر نحو النضج فى كافة مظاهر وجوانب الشخصية.
- (٢) التقدم نحو النضج الجسمى (أقصى طول).
- (٣) التقدم نحو النضج الجنسى.
- (٤) التقدم نحو النضج العقلى؛ حيث يتحقق الفرد واقعياً من قدراته من خلال الخبرات والمواقف والفرص التى يتوافر فيها الكثير من المحكات التى تظهر قدراته وتعرفه حدودها؛ فقد نجح وفشل وقيم نفسه وقيمة الآخرون وهكذا.

(٥) التقدم نحو النضج الاجتماعى والتطبع الاجتماعى واكتساب المعايير السلوكية والاجتماعية والاستقلال الاجتماعى وتحمل المسؤوليات وتكوين علاقات اجتماعية جديدة والقيام بالاختيارات واتخاذ القرارات فيما يتعلق بالتعليم والمهنة والزواج.

(٦) التقدم نحو النضج الانفعالى والاستقلال الانفعالى.

(٧) تحمل مسؤولية توجيه الذات وذلك بتعرف المراهق على قدراته وامكانياته، وتمكنه من التفكير واتخاذ القرارات بنفسه لنفسه.

(٨) اتخاذ فلسفة فى الحياة ومواجهة نفسه والحياة والحاضر والتخطيط للمستقبل.

(٩) الميل إلى الجنس الآخر والرغبة فى تكوين علاقات صداقة معه.

(١٠) كثرة الشرود وأحلام اليقظة.

(١١) القدرة على تداخل القديم وتقبل الجديد.

(١٢) مناقشة الموضوعات الدينية والسياسية.

(١٣) اهتمام المراهق بذاته وما طرأ عليه من تغييرات مختلفة.

(١٤) النقد والتمرد.

(١٥) الثورة على القيم والمعايير السائدة.

(١٦) العصيان وتحدى عالم الكبار.

(١٧) الخروج عن القوانين والتقاليد.

(١٨) الرغبة فى التحرر من سلطة الوالدين.

(١٩) الرغبة فى إبداء الرأى والتعبير عن الذات.

(٢٠) البحث فى أخطاء الآخرين.

(٢١) السعى لتكوين علاقات جديدة مع الأصدقاء.

(٢٢) الميل لتحمل المسئولية وتحقيق الذات.

(٢٣) شدة الحساسية لدى المراهق لكل ما يسمعه وما يراه وسرعة استجابته.

(٢٤) الانطواء والعزلة والشعور بالإحباط أحيانا نتيجة ما يحس به من انفعالات متقاربة.

(٢٥) الصراع النفسى الذى يتجلى فى تطرفه الانفعالى بسبب عدم فهمه لنفسه وبسبب نظرة الآخرين له على أنه غير ناضج.

(٢٦) زيادة الوعى الدينى نتيجة نمو مستوياته الإدراكية العقلية.

(٢٧) الشعور بالقلق واحوف بالنسبة للأمور الغامضة المتعلقة بالفرد أو المجتمع.

غير أنه ليس من الضرورى أن تصف انفعالات كل فرد من الذين يمرون بمرحلة المراهقة بهذه الخصائص؛ ذلك أن المراهقة دائما خبرة شخصية اجتماعية تختلف خصائص النمو فيها من فرد لفرد ومن مجتمع لآخر فى ضوء استعداداته الوراثية وإمكاناته البيئية.

لكل مرحلة من مراحل الحياة خصوصيتها الخاصة بها من التكوين العقلى والجسدى والأمراض الجسمية والمشاكل النفسية والممارسات السلوكية.

فلكل من مرحلة الطفولة، ومرحلة ما قبل المراهقة، ومرحلة المراهقة، وكذا الكهولة والشيخوخة خصوصيتها، وأن الفرد يحمل معه فى كل مرحلة بعضا من آثار المرحلة السابقة.

ولعل المشاكل التى تنشأ فى مرحلة المراهقة هى من أخطر المشاكل وأكثرها أهمية، ومن المفيد أن نذكر أبرز تلك المشاكل والقضايا الخاصة بهم.

والتأمل فى المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين يجد أنه قد تعرض لكثير من التغيرات والتى قد يكون لها تأثير فى ظهور العديد من قضايا ومشكلات المراهقين، ومنها الانفتاح الاقتصادى، والتطور التكنولوجى

والعلمى وزيادة قوة القيم الاستهلاكية، وطفيان الماديات على الحياة وازدياد نسبة البطالة مع ارتفاع الأسعار وأزمة الإسكان.

وليست الأوضاع الحالية التى يحيها المراهق المصرى وما تنطوى عليه من مظاهر العنف والجريمة والاعتراب والعزلة والإدمان... إلخ، إلا انعكاساً للأوضاع والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ونتيجة للتباعد بينهم وبين الكبار من حولهم.

حيث شهدت السنوات الأخيرة، نمواً مطرداً فى انتشار العديد من الظواهر الجديدة على المجتمع المصرى، والقضايا الغريبة، كالانحراف نحو الإدمان تجارة وتهريباً وتعاطياً ونحو الجرائم الشاذة بدءاً بالاغتصاب وانتهاء بقتل الآباء والأمهات ونحو التستر فى عباءة الدين لممارسة التطرف.

ومن ثم نقول إذا سارت جميع الجوانب المحيطة بالمراهق بصورة طبيعية وجيدة وكان المناخ الانفعالى مليئاً بالحب، وتمت عملية الفطام النفسى بدون صعوبات، واعترفت كل من الأسرة والمدرسة والمحيطين بالمراهق بما طرأ عليه من نضج، وبأنه فرد له ذاتية، وساعدت على إشباع حاجاته ومتطلبات النمو لديه، فإن فترة المراهقة ستتم بسلام.

أما إذا لم تتم عملية الإشباع لحاجات المراهق ولم تتقبله الأسرة ولم تعترف بما ظهر عليه من نضج، فإن مرحلة المراهقة ستصبح مليئة بالعديد من المشكلات وتنشأ هذه المشكلات نتيجة لعدم تكيف المراهق.

ومن هنا نجد من الواجب على الوالدين والمربين والأخصائيين النفسيين معاونة الشباب على اجتياز المرحلة اجتيازاً يقوى ثقتهم بأنفسهم وبمن حولهم فى الحاضر والمستقبل.

وكثيراً ما تقف مشكلات الكبار الخاصة حائلاً أمام مساعدتهم للمراهق - إن فاقده الشئ لا يعطيه - وليست المشكلات كلها مشكلات المراهقين، ولكنها أيضاً

مشكلات الآباء الذين يضيّقون ذرعاً بأولادهم الذين تختلف أفكارهم عن أفكار الوالدين، وهى أيضاً مشكلات المدرسين الذين يريدون تعليم المراهقين أشياء لا يريد المراهقون تعلمها، وهى أيضاً مشكلات المجتمع الذى يفرض على المراهقين قيوداً جامدة يشورون عليها أو يخضعون لها، وتتفاوت المشكلات فى حدتها وخطورتها؛ فبعضها سهل الحل وبعضها عسير الحل، وبعضها يتناول موقفاً محدداً وبعضها يتعلق بمستقبل حياة الفرد.

وقد لاحظنا تنوع المشكلات التى يعانى منها المراهقون والمراهقات، فقد قسمها العديد من المتخصصين أمثال: Kathleen، Milton، Lawrance، حامد زهران، وآخرون، إلى مجالات مختلفة، ورغم تعدد تقسيمات هذه المشكلات إلا أنه قد تشابه بعض التقسيمات الخاصة بتلك المشكلات، كما أن المشكلة الواحدة لا تقوم منفردة، ولكنها عادة تتصل بمجموعة أخرى من المشاكل.

وفى ضوء تلك التقسيمات المختلفة، نستخلص أهم مشكلات المراهقين على النحو التالى:

(١) مشكلات الصحة والنمو؛

قصور الرعاية الصحية، صعوبة الحصول على العلاج والدواء، الشعور بالتعب الزائد بسرعة، الكسل، عدم القدرة على الاسترخاء، الشكل غير المناسب، سوء التغذية، نقص الشهية، المعاناة من القيء، الانحراف عن المعايير من الناحية الجسمية، كبر الحجم أو صغره عن العادى، زيادة الوزن أو نقصه عن العادى، الإصابة بالصداع والدوار، اضطراب النوم.

(٢) المشكلات الانفعالية؛

الشعور بتأنيب الضمير، القلق والتوتر، الانقباض وعدم السعادة، تقلب الحالة الانفعالية، الشعور بالنقص، الشعور بالخجل، الارتباك، نقص القدرة على تحمل المسؤولية، نقص الثقة فى النفس، الشعور بالفراغ والضياع، الخوف من الخضوع

والإهانة، الخوف من النقد، المعاناة من الاندفاعات المزاجية، العناد، نقص الاستقرار، سهولة الاستثارة العصبية والحساسية الانفعالية، الأزمات العصبية، الإهمال، ضعف العزيمة والإرادة، نقص القدرة على التصرف وقت الطوارئ، أخذ الأشياء بجدية زائدة، الاستهتار واللامبالاة، الاستغراق في أحلام اليقظة، الأحلام المزعجة والكابوس، الشعور بالإثم، الرغبة في التخلص من الحياة.

(٣) مشكلات الأسرة:

اغلافات والانفصال أو الطلاق بين الوالدين موت الوالدين أو أحدهما، رجعية الوالدين الشعور بالبعد عن الوالدين في الميول، عدم القدرة على مناقشة الموضوعات الشخصية مثل المسائل الجنسية مع الوالدين، اللوم والتأنيب، العقاب بالضرب وغيره، الرد على الوالدين، الخوف من إخبار الوالدين عندما يخطئ؛ عدم القدرة على اعتبار الوالدين كصديقين، الشعور بأن الوالدين يتوقعان منه أكبر من طاقته، تدخل الوالدين في اختيار الأصدقاء، عدم السماح له باخروج ليلاً أيام الدراسة، إلزامه بالتواجد في البيت في ساعة محددة، اعتباره غير مسئول، زيادة الرقابة في الأسرة، معاملته كطفل في الأسرة، التفرقة بين الإخوة، العراك مع الإخوة، النزاع الدائم بخصوص النقود، قلة المصروف والملابس، نقص التمتع بالحرية في الأسرة، عدم حرية إبداء الرأي، الشعور بالحرمان من أشياء كثيرة، نقص الخصوصية، عدم وجود مكان للاستذكار، عدم وجود غرفة خاصة، شعوره أنه عبء على الوالدين، مشكلات تكوين أسرة جديدة.

(٤) مشكلات المدرسة:

صعوبة تركيز الانتباه والسرحان، النسيان وضعف الذاكرة، الطريقة الخاطئة في الاستذكار، نقص القدرة على تخطيط وتنظيم الوقت، إضاعة الوقت، نقص القدرة على استخدام المكتبة، نقص المثابرة، أحلام اليقظة أثناء الدراسة، الصعوبة في التلخيص والحفظ، نقص القدرة على التعبير عن النفس في الكلام والكتابة،

نقص الضبط والربط في المدرسة، نقص الانضباط في الفصل، التأخر الدراسي في مادة أو أكثر، نقص القدرة على القراءة الجيدة، الحصول على درجات ضعيفة، نقص التجاوب مع المدرسين، عدم عدل المدرسين، نقص تشجيع المدرسين له، تهكم المدرسين، تمييز المدرسين لبعض التلاميذ دون الآخرين، الشك في قيمة المواد التي تدرس له، القلق واخوف من الامتحانات، عدم معرفة كيفية الاستعداد للامتحانات، اخوف من الفشل والرسوب، الغش في الامتحانات، الملل وكره المدرسة، الشك في قدرته على التحصيل المدرسي، الشك في قدرته على التعليم العالي، الحاجة إلى المساعدة في اختيار الدراسة، كثرة أوجه النشاط التي تعطل الدراسة، مشاهدة التليفزيون أو سماع الراديو أكثر من اللازم، نقص الإرشاد التربوي.

(5) المشكلات الاجتماعية:

نقص القدرة والارتباك في المسائل والمواقف الاجتماعية، اخوف من ارتكاب الأخطاء الاجتماعية، اخوف من مقابلة الناس، نقص القدرة على الاتصال بالآخرين، قلة الأصدقاء، نقص القدرة على إقامة صداقات جديدة، الرغبة في الاشتراك في نواد أكثر، القلق بخصوص السلوك الاجتماعي السليم، نقص معرفة أصول السلوك في المسائل الاجتماعية، عدم فهم الآخرين، عدم اللياقة، الوحدة ونقص الشعبية ورفض الجماعة له، الرغبة في أن يكون أكثر شعبية، الرغبة في أن يصبح قائداً، الرغبة في أن ينتخبه الآخرون، قلة اشتراكه في الشؤون الاجتماعية، قلة أوجه النشاط التربوي، اعتقاد الوالدين أن التربوي لا فائدة فيه، عدم وجود من يناقش مشكلاته الشخصية معه، القلق بخصوص التعصب الاجتماعي وعدم التسامح.

(6) مشكلات المهنة والعمل:

نقص الإرشاد المهني، قلة المساعدة في اكتشاف قدرات الفرد، الحاجة إلى المساعدة في اختيار مواد الدراسة، قلة المساعدة في معرفة الفرص المتاحة في

المجالات المختلفة، قلة المساعدة في اختيار المهنة، نقص الخبرة في الأعمال المختلفة، نقص معرفة كيف وأين يبحث عن عمل، عدم وجود ميل لخط معين في العمل، الحاجة إلى الكسب المادى الآن، الحاجة إلى كسب المال حتى يتمكن من إكمال تعليمه العالى، الحاجة إلى معرفة كيف يستثمر المال ويعمل له ميزانية، عدم معرفة كيف يكتب طلب استخدام، عدم معرفة كيف يسلك أثناء مقابلة شخصية، القلق بخصوص متى وأين يتسلم العمل، القلق بخصوص هل سيوضع فى مكانه المناسب أم لا، قلة توافر فرص العمل المناسب، نقص التدريب والإعداد المهني، سوء التوافق فى المهنة.

(٧) المشكلات الجنسية:

نقص المعلومات الجنسية الصحيحة، مشكلات النمو الجنسي، مشكلات النضج الجنسي المبكر والنضج المتأخر، عدم وجود معارف من الجنس الآخر، الكبت الجنسي، الوقوع فى الحب واخروج منه، عدم معرفة السلوك السوى مع الجنس الآخر، القلق بخصوص الزواج من الشخص المناسب، القلق بخصوص الأضرار لتأجيل الزواج لظروف خارجة عن إرادته، الرغبة فى الزواج الآن، الرغبة فى أن يصبح أكثر لفتاً لأنظار أفراد الجنس الآخر، الاستغراق فى حكاية النكت الجنسية، الاستغراق فى قراءة الكتب الجنسية، الاستغراق فكرياً فى الجنس، القلق بخصوص العادة السرية، الاستسلام بسهولة للإغراء والتورط فى خبرات والشعور بالإثم.

(٨) المشكلات الاقتصادية:

وتشمل العجز المادى الذى يعانى منه المراهق، والإحساس بأنه أقل من زملائه من الناحية الاقتصادية، فلا يستطيع إشباع رغباته فى شراء ما يلزمه، وقد أوضح بعض العلماء أن المشكلات لدى المراهقين تزداد كلما قل المستوى الاقتصادى للأسرة.

(٩) مشكلات الدين والأخلاق:

الحاجة إلى الإرشاد الديني، الحيرة بخصوص المعتقدات، الشك الديني، الضلال وعدم إقامة الشعائر الدينية، عدم التمسك بالتعاليم الدينية، عدم احترام القيم الأخلاقية، نقص معرفة المعايير التي تحدد الحلال والحرام والصواب والخطأ، الصراع بين المحافظة والتحرر، محاولة التغلب على عادات سيئة، الشعور بالذنب وتأييب الضمير، القلق بخصوص التعصب الديني، القلق بخصوص عدم التسامح.

وحول الأسباب الكامنة وراء مشكلات المراهقين السابق عرضها وكيفية الوقاية والعلاج يشير أستاذ الصحة النفسية الدكتور/ (حامد زهران) في كتابه (علم نفس النمو) للآتي:

أولاً: الأسباب:

- قد تكون الأسباب عميقة الجذور وترجع إلى مرحلة الطفولة.
- قد يعاني المراهق من الصراعات مع نفسه وهو يحاول التوافق مع جسمه الذي يتغير ودوافعه التي تتطور ومطامحه التي تتبلور.
- الإحباطات المتعددة ومطالب البيئة أو نقص إمكانياتها.
- صعوبة إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية.
- نقص الخبرات الجديدة اللازمة لتطبيق القدرات والمهارات الجديدة.
- عدم وجود فلسفة واضحة للحياة وعدم الرضا عن الروتين اليومي والمواقف الرتيبة في الحياة اليومية؛ مما قد يدفع المراهق إلى الاندفاع واخطارته ومخالفة القانون والعرف أحياناً.
- الرغبة القوية للارتباط برفاق السن قد تؤدي إلى تكوين شلل؛ مما قد يعارض مع المسئوليات في المدرسة والأسرة.

- إشباع الدافع الجنسي قبل الزواج والحمل قبل الزواج، وهذا يتعارض مع المبادئ الدينية والأخلاقية.

- الضغوط الأسرية والاجتماعية قد يقابلها ثورة وعقوق من جانب المراهق.

- قد يرفع المراهق درع الدفاع عن النفس بحيله المعروفة مثل التبرير والنكوص والكبت والعدوان والإسقاط ... إلخ.

- عدم النضج الانفعالي ونقص التوازن الانفعالي، وتدبذب الروح المعنوية بين الارتفاع والانخفاض، والميول الاستعراضية، وعدم الاستقرار مما يساعد على تبلور الصراعات.

- المواقف اغمارجية مثل سوء التوافق الأسرى بين الوالدين أو مع الإخوة وسوء التوافق فى المدرسة وسوء التوافق الاجتماعى ورفض الجماعة له؛ مما يزيد نار الصراع اشتعالاً ويؤجج التوتر النفسى.

- سوء التوافق الشخصى والاجتماعى والانطواء ونقص الميول والاهتمامات الاجتماعية والرياضية وغيرها.

- فساد التوجيه وقلة الرعاية فى الأسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة.

ثانياً: الوقاية:

لا شك فى أن وقاية المراهقين من الوقوع فى المشكلات خير من العلاج، ولذلك يجب مراعاة تنفيذ التطبيقات التربوية التالية، وهى على سبيل المثال لا الحصر:

(١) ضرورة بذل الجهود لتهيئة البيئة الصالحة التى ينمو فيها المراهق.

(٢) إتاحة الجو النفسى لنمو الشخصية السوية.

(٣) ضرب المثل الصالح والقُدوة الحسنة أمام المراهقين.

(٤) مساعدة المراهق على فهم نفسه وتقبل ذاته وتقبل التغييرات التى تطرأ فى مرحلة المراهقة وتنمية ذاته.

(٥) تحسين علاقة المراهق بأسرته ومعهدته العلمي وأقرانه.

(٦) تحمل المسؤولية بخصوص تنمية مفهوم موجب للذات لدى المراهقين.

(٧) الاهتمام بالإرشاد العلاجي والتربوي والمهني وإرشاد المراهقين خاصة في المدارس الإعدادية والثانوية.

ثالثاً: العلاج؛

* اكتشاف المشكلات العامة التي يعاني منها المراهقون ومعرفة أسبابها والعمل على إزالة هذه الأسباب أو التخفيف من حدتها والاستعانة بالأخصائيين النفسيين واستشارتهم ضماناً لنجاح علاج مشكلات المراهقين.

* مساعدة المراهقين على أن يتعلموا الشيء الكثير عن أجسامهم ومشكلات النمو الجسمي وكيفية علاجها، ومساعدتهم على تنمية المهارات التي تحول اهتمامهم عن مظهرهم، وتوفير الرعاية الصحية، وتشجيع المراهقين على أن يتناولوا غذاءً مناسباً متوازناً، وتشجيعهم على أن يعرضوا أنفسهم للفحص الطبي والنفسى.

* علاج مخاوف المراهقين والاضطرابات العصبية التي يعانون منها وكل ما ينقص حياتهم الانفعالية، وتجنب نقد المراهق أو السخرية منه، وتوجيه المراهقين إلى التعود على نسيان الإساءة بسرعة واستخدام النشاط المتولد عن الغضب فى عمل ناجح والتعبير عن العواطف بحكمة.

* توجيه المراهقين توجيهاً سليماً واتباع الطرق التربوية الصحيحة مع مراعاة اللياقة وحسن المدخل، وعلاج مشكلات الأسرة، وإرشاد الوالدين وتعريفهم بمرحلة المراهقة ومطالب النمو فيها ودورهم فى تحقيقها، وضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المراهقين.

* إعداد برامج منظمة لخدمات الإرشاد النفسى بالمدرسة، وأن يحقق الجو المدرسى التوافق النفسى السليم للمراهق، وضرورة مقابلة الدراسة لمشكلات

وحاجات المراهقين، وتيسير الحصول على المواد التي تساعد على الدراسة والنجاح فيها، وتوضيح أهمية الدراسة ومساعدة المراهقين على فهم أهمية النجاح الدراسي، والتخطيط الذكي للمستقبل، ومناقشة أساليب الاستذكار والتحصيل مع الطلاب، وإعادة النظر في نظم الامتحانات الحالية وتفادي عيوبها، ومساعدة المراهق على أن يكون فكرة دقيقة عن قدراته واستغلالها إلى أقصى حد ممكن، والمساعدة في تحسين اتجاهات المراهقين نحو المدرسة والمدرسين، والتعاون الكامل مع الأسرة لعلاج المشكلات المشتركة بين المنزل والمدرسة ومساعدة المراهقين في الإعداد لمستوى أرقى من التعليم واستمرار الثقافة العامة.

* المساعدة في عملية التنشئة الاجتماعية وتعليم المعايير السلوكية الاجتماعية السليمة والسلوك الاجتماعي السوي والمهارات الاجتماعية والقواعد الأخلاقية، وتهيئة الفرص للمناقشات الجماعية حول مشكلات المراهقين وشغل أوقات فراغهم بطريقة مفيدة ومدروسة واستغلال الميول والهوايات ومساعدة المراهقين في اختيار الأصدقاء على ألا يكونوا منحرفين.

* مساعدة المراهقين في الإرشاد المهني والإعداد للمهنة، وإدراك الفرص المتاحة بالفعل في ميدان العمل، ومدّهم بأدق المعلومات المهنية، ومساعدتهم في إدراك قيمة جميع أنواع العمل وأهميتها.

* الاهتمام بالتربية الجنسية العلمية للمراهقين ومساعدتهم على تقبل النمو الجنسي والسعادة والفخر بالنضج الجنسي وتقبل هذا التطور الجديد في حياة الفرد قبولاً حسنًا، والحرص بخصوص المثبرات الجنسية والأفلام الجنسية، والتوجيه اللازم بخصوص الزواج وإمداد المراهقين بالحقائق عن الحياة الزوجية والأسرية ومسئولياتهما.

* توجيه عناية خاصة إلى التربية الدينية للمراهقين وتوجيههم إلى ممارسة الشعائر الدينية وتعليم المعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية ونمو الضمير وال ضبط الذاتي للسلوك، ومساعدة المراهقين في تكوين فلسفة ناضجة للحياة والعمل على تحقيقها بمهارة ودبلوماسية حتى يتحقق النجاح في الحياة بصفة عامة.

حاجات المراهقين

يصاحب التغيرات التي تحدث مع البلوغ تغيرات فى حاجات المراهقين، ولأول وهلة تبدو حاجات المراهقين قريبة من حاجات الراشدين، إلا أن المدقق يجد فروقا واضحة خاصة بمرحلة المراهقة، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الحاجة والميول والرغبات تصل فى مرحلة المراهقة إلى أقصى درجة من التعقيد.

ويلاحظ أن المراهق المعوق قد يجد من الصعب أو من المستحيل فى بعض الأحيان رغم جهوده ومحاولاته إشباع بعض حاجاته.

وقد أشار العديد من العلماء إلى حاجات المراهقين وعلى الرغم من وجود اختلاف فى تصنيف تلك الحاجات، إلا أن هذا الاختلاف يقتصر فقط على الشكل وليس المضمون.

وليما يلي عرض لبعض تلك التصنيفات:

توصلت «هيرلوك» (Hurlock) من خلال عدة أبحاث أن الحاجات الأساسية للمراهق يمكن تصنيفها إلى ثلاث فئات هى:

(أ) الحاجات العضوية (organic Needs): كالحاجة إلى الطعام والماء والراحة والجنس، وهى أمور ضرورية لاستمرار حياة الإنسان ويقانه.

(ب) الحاجات النفسية (Psychological Needs): كالحاجة للشعور بالأمن النفسى، الحاجة لأن يكون مستقلاً غير تابع، الحاجة إلى التحصيل أى أن يحقق الفرد شيئاً معيناً.

(ج) الحاجات الاجتماعية (social Needs): كالحاجة إلى الانتماء، الحاجة إلى العطف والحب، الحاجة إلى الرفاق، الحاجة إلى المكانة الاجتماعية.

كما استطاعت «كول (Cole): أن تجمع عدة أبحاث أجريت لدراسة مشكلات المراهقين، ووفقت بينها، واستخلصت منها الحاجات الإنسانية الضرورية التي تبرز في فترة المراهقة، وتتضمن قائمة (كول)، الحاجات التالية التي يتطلع إليها المراهق وهي:

(أ) الحاجة للمحافظة على الذات وتشمل: الحاجة للمحافظة على حياته وتجنب الأخطار، الحاجة للراحة والاستجمام، الحاجة للشفاء من الآلام والأمراض.

(ب) الحاجة للإشباع الجنسي وتشمل: الحاجة لتكوين ميل نحو الجنس الآخر، الحاجة لتقبل النضج الجنسي دون خوف أو زهو به، الحاجة للتفيس عن رغباته الجنسية.

(ج) الحاجة للعطف والقبول من الآخرين وتشمل: الحاجة لأن يكون محبوباً من الآخرين ويمتدح من قبلهم، الحاجة إلى تكوين أصدقاء يثق بهم ويتحدث إليهم، الحاجة للشعور بالأمن في وسطه الاجتماعي، الحاجة للانضمام إلى مجموعات والعمل معها بصورة إيجابية.

(د) الحاجة للمكانة والمركز وتشمل: الحاجة لأن يمتلك أشياء كثيرة، الحاجة لأن يكون له سمعة طيبة، الحاجة لأن يحتل مكانة في العالم.

(هـ) الحاجة للحياة الفكرية والقدرة على الإبداع والابتكار وتشمل: حاجته للمعرفة، حاجته للبحث عن الحقائق، حاجته للتعبير عن نفسه وإظهارها.

(و) الحاجة لتأكيد الذات وتمييزها وتشمل: حاجته لأن يتغلب على عيوبه، حاجته للاعتماد على نفسه وتنمية ثقته بنفسه، حاجته لإثبات نفسه وتحقيق نزغته للاستقلال، الحاجة للعمل من أجل تحقيق هدفه.

وفي هذا الإطار، تتفق مع هيرلوك وكول Hurlock and Cole على أهمية الحاجات التالية للمراهقين:

(١) الحاجة إلى الأمن والطمأنينة: وتمثل هذه الحاجة رغبة الفرد في التخلص من كل المخاطر والتهديدات التي قد يواجهها في حياته.

(٢) الحاجة إلى المكانة وتحقيق الذات: وتمثل هذه الحاجة رغبة الفرد في الاستقلال عن الأهل والاعتماد على النفس.

(٣) الحاجة إلى الانتماء وتحمل المسؤولية: وتمثل هذه الحاجة رغبة الفرد في الانتماء إلى الجماعة والعمل معها ومن خلالها، فيندمج مع الكبار فيتعرف على حقوقه وواجباته ويتحمل المسؤولية المنوطة به.

(٤) الحاجة إلى استغلال أوقات الفراغ: بصورة أنفع، وتذوقه لعالم الجمال في الطبيعة والفن والأدب، ويمثل هذه الحاجة رغبة الفرد في إعلاء دوافعه ونوازعه وترقية أحاسيسه ومشاعره.

وعلى الجانب الآخر، استطاع بعض الباحثين النفسيين والاجتماعيين وضع تصور لأهم حاجات المراهقين على النحو التالي:

(١) الحاجة للمركز والقبول الاجتماعي: وهي تتصل بالحاجة إلى الأمن والحاجة إلى الانتماء، والشعور بالأمن يتوقف على وجود علاقات اجتماعية تتضمن العطف والثقة والاحترام، وخاصة من أفراد الأسرة وجماعة الأصدقاء، ويتطلب أيضاً التحرر من الإحباط والتهديد، والقبول الاجتماعي الذي يشبع حاجة الفرد إلى الانتماء وبالتالي يحقق له الأمن والاطمئنان، لذلك يجب على الراشدين مساعدة المراهق في تكوين شخصية متزنة ومعاملته معاملة الكبار وإشعاره بالمسؤولية وإحاطته بجو يشبع فيه الوفاء والعطف والتكف.

(٢) الرغبة في الاستقلال والتحرر من الأسرة: تظهر الرغبة في الاستقلال واضحة في مرحلة المراهقة لأن المراهق يجد فيه تأكيداً لذاته وإثباتاً بأنه قد ترك عالم الطفولة ولم يعد يمت له بصلة ويزداد ذلك الشعور عنده نتيجة التغيرات الجسمية والنفسية، وتظهر رغبته في الاستقلال في سعيه الدائب نحو تكوين صداقات مع من هم في سنه خارج الأسرة ومشاركتهم نشاطاتهم، ويحاول إرغام الكبار على الاعتراف به كرجل، الأمر الذي قد يؤدي أحياناً إلى إغلاف مع والديه اللذين ينظران إليه كطفل، وواجب الوالدين الابتعاد عن العنف والقسوة

والإهمال في معاملة المراهق، ومساعدته على بناء ثقته بنفسه وإعطاؤه حق إبداء الرأي وتدريبه على تحمل المسؤوليات وتدريب أموره بنفسه والتعلم من أخطائه.

(٣) **الرهبة في الاستقلال المادي:** يتطلع المراهق إلى الاستقلال في وقت مبكر فيبدأ في التفكير في مهنة المستقبل متأثراً في ذلك بمدى تقديره لذاته واتجاهات مجتمعه نحو المهن المختلفة ويساوره القلق في اختيار نوع التعليم الذي يحق له آماله، لذلك يجب على الوالدين والراشدين المحيطين به توجيهه نحو الحياة المهنية التي ينشدها والتي تتفق مع ميوله واستعداداته العقلية؛ وذلك من خلال فهمه لذاته وإمكاناته الواقعية حتى لا يتعرض للفشل الذي يؤثر على ثقته بنفسه وتقديره لذاته ويدفعه إلى السلوك التعويضي غير السوي.

(٤) **الحاجة إلى المثل والمعايير:** يتجه المراهق إلى تخير مجموعة من القيم والمثل العليا التي يتخذها كمعايير سلوكية يحكم بها على نفسه وعلى غيره من الأفراد وتعتبر الأسرة أول وأهم مصدر لهذه القيم والمعايير؛ فالطفل يتعلمها من خلال علاقاته الأسرية، وفي مرحلة المراهقة يبدأ في مقارنة ما اكتسبه من الأسرة بتلك القيم والمعايير السائدة في المجتمع الخارجي، ويجب على الوالدين والمحيطين به مساعدته على تفهم المعايير السائدة في المجتمع كقوانين سلوكية تنظم حياة الجماعة وتوجه سلوكه.

(٥) **الحاجة إلى الفهم الكامل:** يساعد النمو العقلي للمراهق على الاستدلال والتجريد وحب الاستطلاع ومعرفة أسباب الأشياء وعلاقتها، لذلك يبدأ في مناقشة ما أخذه في طفولته كقضية مسلمة ويظهر ذلك واضحاً في المسائل الدينية التي آمن بها في طفولته لذلك يجب على الوالدين إتاحة الفرصة أمامه لكي يناقش ويفكر ويزيل شكوكه بنفسه لكي يعرف أن الشك خطوة أساسية نحو المعرفة الصحيحة.

(٦) **الحاجات البيولوجية والجنسية:** تعتبر الحاجة الجنسية من أكثر الدوافع في مرحلة المراهقة، ويظهر هذا الدافع في سلوك المراهق وميوله واهتماماته، ويرجع

ظهور هذا الدافع إلى النمو الجنسي في المراهقة؛ حيث يبدأ بشعور غير واضح يتمثل في اتجاه مشاعر المراهق نحو العواطف الرومانسية والمثل والقيم الأخلاقية إذا قدمت له بطريقة تخلو من التزمت والعنف، وحتى لا يتورط المراهق في أنواع السلوك غير السوي، يجب على الوالدين والمحيطين به مساعدته على صرف الطاقة الانفعالية الناتجة عن الدافع الجنسي بطريقة يقرها المجتمع في حالات النشاط المختلفة، كالنشاط الرياضي والإبداع الفني والخدمات الاجتماعية.

وفي ضوء ما سبق يمكن تلخيص حاجات المراهقين الأساسية فيما يلي:

الحاجة إلى الأمن: وتتضمن الحاجة إلى الأمن الجسمي والصحة الجسمية، الحاجة إلى الشعور بالأمن الداخلي، الحاجة إلى البقاء حيًا، الحاجة إلى تجنب الخطر والألم، الحاجة إلى الاسترخاء والراحة، الحاجة إلى الشفاء عند المرض أو الجرح، الحاجة إلى الحياة الأسرية الآمنة المستقرة السعيدة، الحاجة إلى الحماية ضد الحرمان من إشباع الدوافع، والحاجة إلى المساعدة في حل المشكلات الشخصية.

الحاجة إلى الحب والقبول: وتتضمن الحاجة إلى الحب والمحبة، الحاجة إلى القبول والتقبل الاجتماعي، الحاجة إلى الأصدقاء، الحاجة إلى الانتماء إلى الجماعات، الحاجة إلى الشعبية، والحاجة إلى إسعاد الآخرين.

الحاجة إلى مكانة الذات: وتتضمن الحاجة إلى الانتماء إلى جماعة الرفاق، الحاجة إلى المركز والقيم الاجتماعية، الحاجة إلى الشعور بالعدالة في المعاملة، الحاجة إلى الاعتراف من الآخرين، الحاجة إلى أن يكون قائدًا، الحاجة إلى اتباع قائد، الحاجة إلى أن يحمى الآخرين، الحاجة إلى تقليد الآخرين، الحاجة إلى المساواة مع رفاق السن والزملاء في المظهر والملابس والمصروف والمكانة الاجتماعية، الحاجة إلى تجنب اللوم، والحاجة إلى المعاملة العادلة، الحاجة إلى التقبل من الآخرين، الحاجة إلى النجاح الاجتماعي، الحاجة إلى الاقتناء والامتلاك.

الحاجة إلى الإشباع الجنسي: وتتضمن الحاجة إلى التربية الجنسية، الحاجة إلى اهتمام الجنس الآخر وحبه، الحاجة إلى التخلص من التوتر، الحاجة إلى التوافق الجنسي الغيرى.

الحاجة إلى النمو العقلى والابكار: وتتضمن الحاجة إلى التفكير وتوسيع قاعدة الفكر والسلوك، الحاجة إلى تحصيل الحقائق، الحاجة إلى تفسير الحقائق، الحاجة إلى التنظيم، الحاجة إلى الخبرات الجديدة والتنوع، الحاجة إلى إشباع الذات عن طريق العمل، الحاجة إلى النجاح والتقدم الدراسى، الحاجة إلى التعبير عن النفس، الحاجة إلى السعى وراء الإثارة، الحاجة إلى المعلومات ونمو القدرات، والحاجة إلى التوجيه والإرشاد العلاجى والتربوى والمهنى والأسرى والزواجى.

الحاجة إلى تحقيق وتأكيد وتحسين الذات: وتتضمن الحاجة إلى النمو، الحاجة إلى أن يصبح سويًا وعاديًا، الحاجة إلى التغلب على العوائق والمعوقات، الحاجة إلى العمل نحو هدف، الحاجة إلى معارضته للآخرين، الحاجة إلى معرفة الذات والحاجة إلى توجيه الذات.

ومن ثم نجد أنه أثناء النمو فى مرحلة المراهقة تزداد الحاجة إلى الإرشاد النفسى لمواجهة مطالب وتحديات هذه المرحلة، وإشباع حاجات المراهقين الأساسية، ويؤدى إشباع حاجات المراهق إلى تحقيق الأمن النفسى له Psychological security.

انطلاقًا من ذلك يتضح أن إشباع الحاجات الأساسية للمراهقين هى الوسيلة الرئيسية لكى ينمو المراهق نموًا سليمًا يشمل كافة أبعاد شخصيته؛ فعدم إشباع تلك الحاجات بطريقة مباشرة سوية يدفع المراهق للبحث عن البديل، وهنا نؤكد على أنه فى معظم الأحيان يلجأ المراهق إلى طرق غير مشروعة وأساليب غير سوية؛ حتى يتمكن من إشباع حاجاته، مما يؤدى به فى النهاية إلى: الجريمة، الإدمان، التطرف، الإرهاب، ... إلخ.

ميول المراهقين

أكثر مشكلات المراهقة تقع تبعثها على الآباء لعدم معرفتهم بطبيعة المراهقة ومتطلباتها في هذه المرحلة الحرجة من حياة المراهق، وعلى الأهل أن يتعاملوا مع الميول التي تدل على الانحراف بالعلاج والترويض بدلاً من الشدة والقسوة.
ومن أهم ميول المراهقين؛

١- الميل الديني: ويعد من أهم الميول لدى المراهقين، ويتمثل في البحث عن القيم الدينية اللازمة للحياة وقراءة الكتب والقصص وصولاً إلى تبنى فلسفة ترشد السلوك وتوجه الحياة.

٢- الميل إلى اغضوع والانتماء إلى جماعة، يُفضى بأسراره لها؛ حيث يتحول ولاؤه من الولاء للأسرة إلى الولاء لها (للجماعة).

٣- الميل إلى الجنس الآخر.

٤- الميل إلى مساعدة الآخرين.

٥- الميل إلى النقد والرغبة في إصلاح المجتمع.

٦- الميل إلى تأكيد الذات.

٧- الميل إلى الزعامة في الناحية الرياضية، والاجتماعية، والعلمية، وهذا يتطلب من المراهق: خصائص جسمية، وشخصية سليمة سوية، ومظهر خارجي يتمثل في الملابس والزينة والتألق.

٨- الميل إلى التفاخر، بأسرته، بوالديه، بمركز والده الاجتماعي والعلمي أو السياسي، وهذا الميل يغذيه البيت السعيد المطمئن، المستقر.

٩- الميل إلى الجنوح ورفض الطاعة واغضوع، وهنا يستوجب الأمر بذل المزيد من العطف والتقدير للمراهق.

١٠- الميل إلى القراءة، وتختلف في هذا المجال قراءات المراهقين بحسب الجنس والسن؛ فكل من قراءات البنين والبنات تدرج من القصص الفكاهية

والتاريخية ومشاهير العظماء فى السنوات الأولى وتنتهى بالقصص العاطفية (وقصص البطولة عند البنين) والأزياء والقصص العاطفية، الميلودراما عند البنات).

١١- الميل للمهنة، ويتمثل فى الحرص على اختيار مهنة تناسب قدراته وتشبع حاجته إلى الاستقلال والقيام بدوره فى المجتمع.

١٢- الميل للترويح واللعب، ويتمثل فى الاهتمام بالرياضة والألعاب التى تتطلب طاقة جسمية كبيرة، ويصل هذا الميل إلى قمته فى المراهقة المبكرة، كما يتمثل هذا الميل فى مشاهدة الأفلام السينمائية والعروض المسرحية والمباريات الرياضية... إلخ، هذا بالإضافة للحفلات التى يخططون لها ويقومون بها فى المنازل أو المدارس، أو الرحلات للحدائق والمباريات كمشتركين، وأنشطة اللعب المختلفة فى النوادى والساحات تبعاً لميولهم ومواهبهم، وكذلك تبادل الزيارات وغيرها.

١٣- الميل لجمع الصور، وهذا الميل يميز لصغار الفتيات المراهقات، ولكنه لا يصل لنفس الدرجة بين كبار الفتيات، ويكون ذا أهمية قليلة للبنين وتعتبر مجلات السينما والفن مصدراً غنياً لهذه المواد.

المراهقون ومظاهر النمو

تفتقر نسبة كبيرة من المراهقين اليوم إلى الفرص الملائمة ووسائل الدعم لكى يصبحوا راشدين ناضجين يمكنهم المبادأة والمنافسة فى المجتمع الذى يعيشون فيه، كما أن ظروف المجتمعات حالياً تتسم بعدم الثبات النسبى أكثر مما سبق، ويفتقر المجتمع إلى التأكد مما يجب وما لا يجب، وأحياناً ما تكون القواعد التى يضعها الكبار فى موضوعات الاستقلال والجنسية والقيم والمعايير مصادر مشاكل بالنسبة للمراهقين.

إن دراسة حياة المراهق تكشف عن تعقد نمو المراهق، وبسبب هذا التعقد فليس هناك نموذج واحد يمكن أن يناسب كل المراهقين، والاهتمام اليوم يركز على المحيط الذى ينمو فيه المراهق، وخاصة المحيط الاجتماعى الثقافى للحضارة.

ولكى نفهم طبيعة النمو والبيولوجيا والعمليات الاجتماعية نقول إن النمو هو نمط من الحركة أو التغير الذى يبدأ مع الحمل ويستمر خلال دورة حياة الإنسان وهو يتضمن النمو والانحدار.

والنمو يتضمن التفاعل بين العمليات البيولوجية والمعرفية والاجتماعية وهو يبدأ من فترة الحمل التى هى فترة نضج هامة.

وخلال السطور التالية سنوضح أهم مظاهر النمو فى مرحلة المراهقة:

(١) النمو الفسيولوجى والجسمى:

النمو الجسمى فى بداية مرحلة المراهقة المبكرة تزداد سرعته ويحدث ما يسمى بطفرة النمو (Growth Spurt)؛ وذلك لمدة ثلاث سنوات تختلف من الإناث للذكور، فشتكون من عشر سنوات إلى أربع عشرة سنة عند الإناث ومن اثنتى عشرة سنة إلى ست عشرة سنة عند الذكور.

ويزداد نمو العضلات ويزداد المراهق من فترة الكمون إلى فترة البلوغ، ويزداد الطول زيادة سريعة ويبدو الأنف كبيراً بالنسبة للوجه، ويكون النمو الجسمى غير متناسق؛ مما يقلق المراهق ويجعله يعانى من النقص ويزداد حرجه بخصوص شكله.

فمن الناحية الجسمية يقوم المراهق بعملية توافق مزدوجة مع جسده الجديد وتوافق مع أقرانه وأفراد المجتمع الآخرين الذين يتعامل معهم، ونتيجة غياب الثقافة التربوية لإدراك حقيقة مرحلة المراهقة، يقابل هذا النمو عند المراهق ببعض مظاهر السخرية من قبل الكبار الذين يعتقدون أن فى ذلك نوعاً من الملاطفة للمراهق، ولا يدركون ما تترك فى نفسه هذه الانتقادات من نقمة على هذه المرحلة الهامة من حياته والتي يجب أن ينظر إليها بكثير من التقدير.

فلو كانت التغيرات الجسمية والفسيولوجية التى يمر بها الإنسان فى المراهقة مسألة تغير فى التكوين فحسب لهان الأمر، ولاقتصر الإنسان على الوصف والتسجيل وترك الأمور دون تفسير أو تطبيق، ولكن الأمر ليس كذلك، ولا يمكن

أن ننظر إليه هذه النظرة البسيطة السهلة، إذ إن التغيير البنائي (Metabolic) والتغيير الوظيفي (Functional) الذي يحدث في المراهقة إن هو إلا نقطة البدء التي ينبعث منها السلوك الاجتماعي والتي ينشأ منها الاتجاه نحو الذات، والاتجاه نحو الآخرين.

وبصاحب النمو السريع والتغيرات الجسمية في هذه الفترة بعض الأعراض كالتعب والكسل، وعادة ما يقع الآباء في خطأ أن يتصوروا أنه مادام الطفل أصبح كبيراً جسيماً، فإنه يمكنه القيام بمسؤوليات أكبر مما كان يستطيع في طفولته، وقد يؤدي ذلك إلى العصبية والتوتر والانفعال.

وعادة ما تحدث في هذه الفترة اضطرابات في الجهاز الهضمي ينتج عنها تذبذب في سرعة التحول الغذائي، والسبب في ذلك التغيرات الغذائية، والتغيرات في حجم الأعضاء الداخلية في الجسم، وهذه التغيرات قد تتداخل مع وظائف الهضم كما أن فقر الدم «الأنيميا» شائع الحدوث في هذه السن، ليس بسبب التغيرات الملحوظة في كيمياء الدم، وإنما يكون ذلك بسبب عادات الطعام غير المستقرة لدى المراهق، وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة الشعور بالتعب والكسل، ويعانى المراهق على فترات متقطعة من آلام الصداع وآلام الظهر والهزال، وعموماً إذا كانت طفولة المراهق أكثر صحة وخاصة من حيث التوازن الغذائي، وتكوين عادات جيدة للنوم، فإن فترة البلوغ تمر بسلام أكبر من ناحية الصحة الجسمية، ولا تظهر إلا التغيرات النفسية المصاحبة للتغيرات الجسمية والفسولوجية.

وتلك التغيرات التي تطرأ على سلوك المراهق واتجاهاته إزاء البلوغ هي في جوهرها نتاج تغيرات اجتماعية أكثر منها نتاج التغيرات الغذائية، وكلما كانت البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها المراهق أقل تعاطفاً، وكان الآباء والإخوة والمعلمون والأقران أقل تفهماً لأحواله، وكانت التوقعات الاجتماعية منه في هذا الوقت أكبر من حدود قدرته - كانت الآثار النفسية للتغيرات الفسيولوجية والجسمية بالغة، وهذا يعنى إنكار أهمية التغيرات الفسيولوجية في التوازن الجسمي.

ويعتمد مقدار وعمق هذه التأثيرات للبلوغ على سرعة النضج وتأثيره على التكوين الجسمي العام للفرد من ناحية، وعلى المعلومات السابقة المتوفرة لديه والإعدادات السيكلوجي اللاحق لهذه التغيرات من ناحية أخرى، وحينما يكون هذا الإعداد في صورة معلومات غير دقيقة أو غير كاملة فإن ذلك يؤدي إلى تكوين اتجاهات غير صحيحة، وحينئذ تكون تأثيرات البلوغ على السلوك بالغة السوء.

ومن هذه التأثيرات:

(أ) الرغبة في التفرد والانعزال؛

يحدث للمراهق ميل إلى الانعزال والابتعاد عن الجماعة، ويقضى معظم وقته وحده، إلى جانب أنه يبعد بصورة مفاجئة عن نشاط الأسرة، وهذه العزلة ينتج عنها القلق الذي يؤدي بدوره إلى المشكلات النفسية خاصة في مرحلة المراهقة ومع بداية تكوين اتجاهات متناقضة نحو الآخرين.

(ب) الملل؛

يظهر على المراهق ملل من اللعب بالألعاب التي كان يستمتع بها في المراحل السابقة سواء كانت مع أقران المدرسة أو في الحياة الاجتماعية العامة، ويظهر ذلك في رفضه الاشتراك في الأنشطة التي يصفها بأنها (طفلية) وعندما لا يقابل سلوكه بالتقبل من الآخرين يظهر عليه اللامبالاة أو الإحساس بالنبذ والرفض.

(ج) الانفعال الشديد؛

يؤدي التوتر والاضطراب الناتجان عن الاتجاهات والميول المتغيرة من ناحية وعن التغيرات الجسمية من ناحية أخرى إلى حدة الانفعالات التي تظهر في فترة البلوغ، ويكون المراهق شديد الحساسية ويفسر معظم ما يسمعه من الكبار أو الأقران على أنه موجه إليه وتزداد حساسيته بالنسبة للإخوة كما تزداد في هذه الفترة المخاوف المتوهمة فيشعر المراهق بالقلق من المشكلات التي تتعلق بكفاءته الشخصية والاجتماعية، ويتحول من المرح إلى الكآبة، وقد تكون حالته الانفعالية موضع تعليق الكبار ونقدتهم.

(د) نقصان الثقة بالنفس،

يصبح المراهق أقل كفاءة من الناحية الشخصية والاجتماعية لأنه يصبح أقل ثقة بنفسه فيشك في قدراته، وأيضاً يصبح مفهوم الذات عنده غير مستقر، وقد يقود أحياناً إلى وقوع بعض المراهقين في جناح الأحداث؛ فالقيام بالأعمال التي توقعه تحت طائلة العقاب من الوالدين أو المعلمين أو السلطة الجنائية مثل الشرطة أو القضاء تعد أحياناً من قبل تأكيد الذات المفتقدة في هذه الفترة.

(هـ) الرومانسية؛

وتتميز الرومانسية بعناصر ثلاث هي: تحليل الذات ووصف المشاعر، التمرد على الأوضاع القائمة والتقاليد الموروثة.

هذه الأمور التي يتكون منها جوهر الروح الرومانسية تظهر واضحة في حياة المراهق فإن اكتشافه لذاته سرعان ما يولد في نفسه الرغبة في تحليلها وتأملها وقد يلجأ إلى كتابة خواتمه؛ فكتابة المذكرات الخاصة هي ظاهرة نفسية من أهم الظواهر في حياة المراهق؛ فهي تشير إلى رغبته في العزلة والانطواء ورغبته في الهروب من القلق النفسى، ويحاول المراهق التحرر من نزعاته الطفلية والتي يهدف من ورائها إلى التحرر من التبعية وتحقيق الاستقلال الوجدانى الذى هو غاية التطور النفسى وسمة النضج واكتمال النمو.

ومن ثم وفي ضوء ما سبق يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى:

* تجنب التركيز على النمو العقلي على حساب النمو الجسمى.

* العمل على استثمار طاقة المراهقين فى أوجه النشاط الرياضى والكشفى والصحى والثقافى والفنى والعلمى والاجتماعى داخل وخارج المدرسة.

* العمل على نشر الثقافة الصحية بين المراهقين وتنمية اهتمام المراهقين بالتعرف على نواحي الضعف عنده، وأن يساعد نفسه مسترشداً بالخبراء والمختصين، مع الاهتمام بوضع وتنفيذ برامج لتحسين النمو الجسمى فى المدارس الثانوية، تنفيذاً لمبدأ «العقل السليم فى الجسم السليم».

* الحرص التام بالنسبة لنمو مفهوم الجسم ومفهوم الذات الموجب بصفة عامة.

(٢) النمو الحركي:

تتميز هذه المرحلة بإتقان المهارات الحركية؛ حيث تصبح حركات المراهق أكثر توافقاً وانسجاماً، ويزداد نشاطه وقوته، ويزداد إتقان المهارات الحركية مثل العزف على الآلات الموسيقية والكتابة على الآلة الكاتبة والألعاب الرياضية.

وتزداد سرعة زمن الرجوع (Reaction time) وهو الزمن الذى يمضى بين المثير وبين الاستجابة لهذا المثير.

ويلحق الذكور بالإناث من حيث نمو القوة والمهارات الحركية ويسبقونهم ويتفوقون عليهم، ويظل الحال كذلك بعد ذلك، ويتأثر النمو الحركي تأثراً سلباً في حالة وجود إعاقة جسمية أو إعاقة حسية.

ومن الملاحظ أن نقص الرغبة ونقص القدرة على المشاركة في برامج التربية الرياضية ترتبط بسمات مثل الخجل والحساسية وعدم تحمل الإحباط أو الهزيمة.

ومن ثم يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلي:

* تشجيع ورعاية النمو الحركي المتزايد عن طريق النشاط الرياضي، والاستفادة من برامج التربية الرياضية في مساعدة المراهقين المنطوين؛ مما يزيد في تقبلهم الاجتماعي وتحسين اتجاهاتهم نحو أنفسهم ونحو الآخرين.

* العناية بالمراهقين الذين يجدون أنفسهم بعيداً عن النشاط الحركي بسبب الإعاقة الجسمية وإشراكهم في أوجه نشاط حركي يناسب إعاقاتهم، وتنمية مهارات أخرى يجيدونها حتى لا نضيف إلى الإعاقة الجسمية اضطرابات اجتماعية.

* تجنب دفع المراهقين غير المتكافئين في النمو الجسمي والحركي إلى التنافس رياضياً تجنباً للمشكلات النفسية.

(٣) النمو العقلي،

ملاحظة النمو العقلي عند المراهق أصعب من ملاحظة النمو الجسمي؛ إذ يمكن للنمو الجسمي أن يلاحظ بالعين المجردة، ومن الشباب التي لم تعد تتسع للفتاة أو الفتى المراهقين، لكن ليس لدينا نحن الأهل المقاييس لقياس النمو العقلي، وإن كان الأب يدرك أحياناً أن نظرة ابنه للحياة قد تغيرت وازدادت نضجاً، وأصبح أكثر إحساساً بالمسؤولية إلى ما شابه ذلك من ملاحظات أخرى.

وقد وجد أنه بينما تزداد أنواع كثيرة من النشاط خلال فترة المراهقة، إلا أن بعض هذه الأنواع يبقى على حاله، بينما يتناقص البعض الآخر، ويمضى النمو العقلي خلال الحياة دون توقف طالما أن الفرد يضيف إليه خبرة ومعرفة واستبصاراً.

ونظراً للصلة الوثيقة بين الجسم والعقل؛ حيث يصعب الفصل بين الحياة الفسيولوجية والحياة العقلية، كما يصعب الفصل بين الفاكهة وطعمها، وفصل الشيء عن لونه، من ذلك نقول إن البلوغ الفيزيقي لا بد أن يسير مع البلوغ العقلي.

ومن خلال النمو العقلي يلاحظ قدرة المراهق على الانتباه من حيث المدة والطول والعمق، ويبدو ذلك في متابعته لفيلم سينمائي أو لمباراة أو لقصة طويلة يطالعها، وفي القدرة على التخيل، والتذكر، والقدرة على استنتاج العلاقات الجديدة، ويعرف المراهق بخصوصية خياله، وباستغراقه في أحلام اليقظة، وما أكثرها في هذه المرحلة.

فالنمو العقلي يتضمن نمو القدرة العقلية التي تشمل الاستعداد والقدرات الخاصة فتصبح القدرات العقلية أكثر دقة، وتكون التغيرات العقلية في المراهقة كمية أكثر منها نوعية، وتؤثر إمكانات البيئة على النمو العقلي للمراهق، كما تؤثر الوراثة في وجود الفروق الفردية في القدرات العقلية لدى المراهقين، وتؤثر أيضاً الوراثة في تنمية هذه القدرات العقلية، كما أن وسائل الإعلام قد تضيف للمراهقين بعض الأفكار.

ويستمر النمو العقلي في المراهقة سواء من الوجة الكمية أو الكيفية؛ فالتغير يكون كميًا بمعنى أن المراهق يصبح أكثر قدرة على إنجاز المهام العقلية على نحو أكثر سهولة وسرعة وكفاءة من الطفل، كما أن التغير يكون كميًا بمعنى أنه تحدث في المراهقة تغيرات في طبيعة العمليات المعرفية، فمع بداية مرحلة المراهقة تنمو في الفرد القدرة على التفكير باستخدام العمليات الصورية أو الشكلية For-mal operation كما يسميه «بياجيه»، وبعد ظهور هذه القدرة في رأيه المرحلة الرابعة والأخيرة في النمو العقلي والمعرفي عند الإنسان، وعندئذ يستطيع المراهق - الراشد بعد ذلك - أن يفكر بدرجة كافية من المرونة، ويتناول العموميات المجردة من حوله كمفاهيم الحرية والعدالة، كما يدرك الخصائص الداخلية للأشياء ولا يقتصر التفكير عند حدود الخصائص الخارجية التي يحكمها الإدراك الحسي.

وبذلك يكون المراهق قادرًا على معالجة جميع ما يحتمل أن يوجد وليس فقط صور الأشياء التي توجد بالفعل، وهذا يعني إمكانية التفكير الفرضي الاستنباطي، وتعتمد جوانب أخرى كثيرة من نمو المراهق على التقدم المعرفي الذي يحوزه في هذه المرحلة؛ فالتغير في علاقات المراهق بوالديه من سمات الشخصية في هذه المرحلة، وفي التخطيط للمستقبل التعليمي والمهني وفي زيادة الاهتمام بالمسائل الاجتماعية والسياسية والدينية والشخصية، بل وفي نمو الشعور بالهوية الشخصية؛ حيث إن كلها أمور تتأثر بالتغيرات العقلية والمعرفية في هذه المرحلة.

وانصراف المراهق إلى المسائل العقلية قد يستخدمه كحيل نفسية للتعامل مع مشاعر القلق التي يعانها، ويتمثل ذلك في اهتمام المراهق بالمسائل المجردة الفلسفية غير الشخصية؛ مثل مسائل الدين والحرية وطبيعة الصداقة، وبصفة عامة فإن «العقلانية» - كحيلة دفاعية - تستخدم من قبل المراهق الذكي المثقف من أبناء المستويات الاقتصادية الاجتماعية المتوسطة.

وهذا يوضح مدى تأثير التسهيلات البيئية والخبرة والتدريب في تنمية استثمار القدرة العقلية، إلى جانب أن القدرة العقلية تتأثر بمدى التوافق الانفعالي، الذي إذا ما توفر تيسر الوصول إلى الثقة وإلى مفهوم الذات الموجب المطلوب لتحقيق النضج العقلي.

ومن ثم وفي ضوء ما سبق يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلي:

* تطوير أسلوب التعليم بحيث يشجع الطلاب على التعلم الذاتي؛ مما يساعد المواطن على استمرار التعليم خارج المدرسة مدى الحياة.

* تطوير أسلوب التعليم بحيث يدرّب الطلاب على استخدام الأسلوب العلمى فى التفكير وينمى لديهم القدرة على التجديد والابتكار.

* العمل على التوسع فى إنشاء قصور الثقافة وغيرها من مؤسسات الثقافة الشعبية.

* ملاءمة طبيعة وطريقة التدريس والمعلومات حسب مستوى النمو العقلى للطلاب والتأكد من أن قدرات المراهق دائماً إنما تنتظر الإثارة وهى إذا لم تستثر فلن تنمو كما ينبغى، ويساعد فى ذلك تكليف الطلاب بأعمال ومشكلات تتطلب استخدام ذكائهم وقدراتهم الخاصة النامية.

* تنظيم مناهج واسعة شاملة للقدرات العقلية والميول المختلفة تهدف إلى تحقيق النمو العقلى للمراهقين إلى أقصى درجة ممكنة، جنباً إلى جنب مع النمو الجسمى والانفعالى والاجتماعى والروحى، والاستمرار فى إعداد المراهق للحياة العملية، والاستمرار فى إعداده كإنسان صالح فى المجتمع.

* الاهتمام بالمراهقين المتفوقين عقلياً والمتكرين وتنمية قدراتهم ومواهبهم.

* تنظيم برامج علاجية لتصحيح أى تخلف فى أى مظهر من مظاهر النمو العقلى.

* إتاحة حرية التفكير واستخدام الطرق الجديدة لحل المشكلات وتشجيع ذلك.

* جعل مستوى التطلع ممكن التحقيق ومتناسباً مع قدرات المراهق والعمل على تقليل عوامل ومواقف الإحباط التى تعوق تحقيق مستوى التطلع وتعويد الفرد على تجنبها والتغلب عليها بطريقة بناءة.

* لا يعنى نقص تمكن المراهق من دراسة مادة من مواد التخصص أو سوء توفيقه فيها نقص طاقته العقلية، ولكن قد يرجع هذا إلى قصور القدرة اللازمة لها أو تأخر ظهورها لديه، ويبدو ذلك فى قدرات مثل القدرة الرياضية والقدرة الميكانيكية ... وهكذا.

* الاهتمام بالإرشاد النفسى التربوى والمهنى عن طريق الأخصائيين فى الإرشاد على أن يساعد فى ذلك الوالد الواعى والمدرس المرشد Teacher counsellor .

* الاهتمام بالتأهيل المهنى لمن يتركون المدرسة وحل مشكلاتهم.

(٤) النمو الانفعالى:

التعبير الانفعالى عند المراهق يكون شديداً، بشكل يفوق الواقع؛ فالمثير البسيط يثير فى المراهقين عاصفة من الضحك أو يثير ثورة عارمة، وقد وصفت «هيرلوك» انفعالات المراهقين بهذه الصفات:

أ- الشدة والكثافة.

ب- عدم الضبط والتحكم.

ج- عدم الثبات والدوام.

د- نمو عواطف إنسانية نبيلة، مثل الوطنية، ونمو النزعات الدينية.

ويلقى المراهق مضايقات كثيرة من الراشدين الذين يتوقعون منه نضجاً فى التفكير والسلوك الاجتماعى يعادل نضجه الجسمى، وهذا ما يؤدى إلى قلقه وتمرده وارتبائه ويؤدى به إلى رفض السلطة بشكل عام ومن أية جهة أتت.

و غالباً ما يلجأ إلى أحلام اليقظة للتفيس عن مكبوتاته وانفعالاته، ويجد فى الدين مخرجاً يحقق له الشعور بالأمن الذى فقدته بسبب ما يعانى من الأزمات النفسية وتسهم دور العبادة والجمعيات الثقافية والخيرية والنوادر الرياضية والفنية فى دعم المراهق النفسى والاجتماعى، بالإضافة إلى توجيه المجتمع المتمثل بوسائل الإعلام المرئية والسمعية، والكتب والمجلات الصالحة، وهذه كلها لها أثرها على شخصيته وسلوكه.

ومن ثم يوجد اتفاق عام على أن مرحلة المراهقة هي مرحلة «أزمة» ولعل «ستانلى هول» كان أول من أطلق هذا الوصف في عبارته الشهيرة «مرحلة المراهقة هي مرحلة الضغوط والعواصف»، وهو وصف يتضمن المعنى التقليدى وهو أن المراهقة مرحلة توتر انفعالى شديد مصدره التغيرات الجسمية والنفسية التى تحدث فى هذه المرحلة.

وقد توصل علماء الأجناس البشرية فى دراساتهم حول مرحلة المراهقة إلى أن المظاهر الاجتماعية للمراهقة تختلف من حضارة لحضارة، وأن المراهقين يعكسون هذه المظاهر الاجتماعية فيما يتخذون من اتجاهات وما يسلكون من طرق فمظاهر المراهقة إذن لا تكون استجابة لتغيرات داخل المراهق نفسه، وإنما تكون استجابة لظروف المجتمع الذى يعيش فيه المراهق.

ويمكن تفسير أزمة المراهقة بأنها مرتبطة بالظروف الاجتماعية التى تحيط بالمراهق، مثل توقعات وضغوط الجماعة على الفرد الذى لم يزود طوال سنوات الطفولة بأى أعداد لمواجهة تلك الظروف المتغيرة التى يتعرض لها خلال مرحلة المراهقة، وفى ضوء هذا نقول إننا نتوقع لمعظم المراهقين أن يمروا بخبرة «الضغوط والعواصف» التى أشار إليها «ستانلى هول» وأزمة المراهقة فى نظر «فرويد» تحدها عوامل ماضية من الطفولة المبكرة.

وعلى الرغم من انفعالات المراهقة التى تكون فى العادة حادة، والتعبير عنها لا يخضع للتحكم، وبالرغم من ظهور بعض أعراض سوء التوافق إلا أننا عادة ما نلاحظ تحسناً فى السلوك الانفعالى عاماً بعد عام، ومرة أخرى نجد النمو الانفعالى يتجه تدريجياً نحو الاستقرار مع الاقتراب من مرحلة الرشد، شأنه فى ذلك شأن النمو العقلى والجسمى.

ومن مظاهر النمو الانفعالى فى هذه المرحلة، أن المراهق قد لا يستطيع التحكم فى انفعالاته وضبطها، كما أن سلوك المراهق يكون متقلباً بين سلوك الأطفال وتصرفات الكبار، ويسعى نحو تحقيق الفطام النفسى، والاستقلال عن الوالدين وتكوين شخصية مستقلة، كما يلاحظ عليه التردد نتيجة لعدم الثقة بالنفس.

وكذلك قد يرجع الاضطراب الانفعالي إلى عدم قدرة المراهق على الملاءمة مع البيئة التي يعيش فيها، وأن هذه البيئة الخارجية الممثلة في الأسرة والمدرسة لا تعترف بما طرأ عليه من نضج ولا تقرر رجولته؛ مما يجعل المراهق يفسر كل مساعدة من والديه على أنها تدخل في شئونه، ويأخذ الاعتراض على سلوك والديه أشكالاً متعددة منها: العناد والسلبية، كما يرجع هذا الاضطراب إلى عجز المراهق المالي الذي قد يقف ضد تحقيق رغباته.

بينما يجد نفسه - أي المراهق - وسط جماعة من رفاقه ينفقون على سعة وهو في نفس الوقت عاجز عن مجاراتهم؛ مما يسبب له الضيق، ويزيد من حدة التوتر الانفعالي له.

ومن هنا يتضح أن المناخ الانفعالي يلعب دوراً كبيراً في النمو الانفعالي للمراهق؛ فالمناخ الانفعالي المليء بالحب والفهم والرعاية ضروري جداً بل ومن الأمور الهامة للنمو الانفعالي السوي للمراهق، ويتأثر النمو الانفعالي بالتغيرات الجسمية الداخلية والخارجية والقدرات العقلية والمعايير الاجتماعية.

وقد تصنف مظاهر النمو الانفعالي إلى: انفعالات الخوف مثل (الخوف الصحية، والخوف المدرسية)، انفعالات الحب التي تعتبر من أهم مظاهر الحياة الانفعالية للمراهق، وعلى الوالدين مساعدة المراهق على إشباع حاجته إلى الحب، وعلى أن تتم عملية الفطام النفسي بدون أية صعوبات، وأن يكون المناخ الانفعالي مناسباً.

أما إذا كان المناخ الانفعالي للمراهق مليئاً بالصعوبات ولم تساعد الأسرة المراهق في تحقيق الاستقلال الانفعالي فإن الاضطرابات الانفعالية تكون كثيرة، وهنا يشير العلماء إلى أن الطفل الذي حقق قدرًا كبيرًا من التوافق خلال فترة الطفولة سيلاقي قليلاً من المصاعب التي تقابله أثناء المراهقة، أما الطفل الذي لاقى عجزًا في التوافق خلال فترة الطفولة فإنه سيعاني من الأمراض خلال مراهقته؛ مما قد يسبب له كثيرًا من المشكلات.

ومن ثم وفي ضوء ما سبق يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلي:

* تربية الانفعالات وترويضها من أجل تحقيق التوافق الانفعالي، وذلك عن طريق تنمية الثقة في النفس والتغلب على المخاوف وتحقيق مرونة الاستجابات الانفعالية وضبط الانفعالات.

* العمل على التخلص من الحساسية الانفعالية وشعور المراهق بذاته وتعزيز ثقته في ذاته وإشعاره أنه مثل الآخرين.

* الاهتمام بقياس المستوى الانفعالي الذي وصل إليه المراهق في نموه حتى يمكن معرفة عمره الانفعالي حتى نعامله على أساسه ونسترشد به في توجيهه.

* العمل على شغل وقت الفراغ بالمفيد من الأعمال والهوايات.

* مساعدة المراهق في تحديد فلسفة ناجحة في الحياة.

(5) النمو الجنسي:

النمو الجنسي له أهميته في مرحلة المراهقة؛ فيشعر المراهق بالدافع الجنسي في أوائل هذه المرحلة، ويهتم المراهق بالجنس الآخر، فيتعلق الفتى بإحدى الجارات أو الصديقات وتفاعل الفتاة مثل ذلك مع أفراد الجنس الآخر، ويلاحظ أن هذه الاهتمامات الجنسية المبكرة في مرحلة المراهقة المبكرة تكون قليلة حيث يكون لدى الذكور اهتمام ضعيل بالإناث وأنه عند العمل في مجموعات فإن المراهقين يفضلون التجمع من نفس الجنس عن التجمع من الجنس الآخر.

ثم يتجه النمو الجنسي بسرعة نحو النضج، وتتمثل مظاهره في استمرار واستكمال التغيرات التي حدثت في المراهقة المبكرة، ويزداد نبض قلب المراهق بالحُب، وتزداد الانفعالات الجنسية في شدتها، وتكون موجهة عادة نحو الجنس الآخر، ويلاحظ الإكثار من الأحاديث والقراءات والمشاهدات الجنسية والشغف والطرب بالنكت الجنسية.

ويزداد التعرض للمثيرات الجنسية، ومن المثيرات الجنسية للمراهق في هذه المرحلة المحادثات الجنسية والصور الجنسية والكتابات الجنسية والأفلام الجنسية والملامسة للجنس الآخر وأحلام اليقظة، وهذه يجب تجنبها.

وقد يمر المراهق بمرحلة انتقال من الجنسية المثلية إلى الجنسية الغيرية وقد يكون ذلك في شكل تجريب مبدئي مبكر لها، وعادة ما يتجه المراهق بسرعة بعاطفته إلى أول من يصادف من الجنس الآخر في الجيرة أو من ذوى القربى.

ويلاحظ الاتجاه إلى الجنسية الغيرية (Heterosxuality) حيث تتغير نظرة المراهق إلى الميول الجنسية فيصبح شديد الميل والاهتمام بأعضاء الجنس الآخر والحديث عنهم والاطلاع على حياتهم الخاصة والالتقاء معهم والتحدث إليهم والتسامر معهم، ويلون هذا كله الرغبة الجنسية، ويميل الفتى إلى النظر إلى مفاتيح المرأة وإلى أعضاء جسمها، وتكون نظرتة كلها رغبة وشهوة، وفي هذه المرحلة يلاحظ الحب المتعدد والاهتمام بالجمال، والرغبة في جذب انتباه أفراد الجنس الآخر، والمعاكسة، وحب الاستطلاع الجنسي.

وتلاحظ محاولة أخذ المواعيد الغرامية المتعددة مع أفراد الجنس الآخر التي يدفع إليها عوامل مختلفة منها الصداقة والجاذبية الشخصية والاكتشاف المتبادل للذات والدافع للتزواج، وفي نهاية هذه المرحلة يصل جميع الذكور والإناث إلى النضج الجنسي.

ويسبق الذكور الإناث في النشاط الجنسي، ويرجع ذلك إلى الظروف الثقافية التي تتيح حرية أكبر للذكور وتضع الكثير من المحرمات (Taboo) على السلوك الجنسي للإناث، والذكور يصلون إلى قمة طاقتهم الجنسية في المراهقة الوسطى، بينما لا تصل الإناث إلى قمة طاقتهن الجنسية إلا بعد ذلك.

ويتأثر النمو الجنسي والسلوك الجنسي بعدة عوامل من بينها شخصية المراهق نفسه، ونوع المجتمع الذي يعيش فيه، والحالة الاجتماعية الاقتصادية الثقافية له، والتكوين النفسى لأفراد الجنس الآخر، والاتجاه الدينى.

ولتكوين اتجاهات سليمة نحو الجنس، يرى بعض المتخصصين أمثال: «حامد زهران»، «ستاتون Staton»، مراعاة بعض الأسس العامة لنمو الاتجاهات السليمة نحو الجنس، والتي تتمثل فى الآتى:

* وجود جنسين مختلفين ضرورة حيوية وضرورة لتقسيم المسؤوليات فى الأسرة.

* الفروق الجسمية بين الجنسين عادية، ولكنها خاصة، وليست مناسبة للمحادثات المفتوحة.

* الرغبة الجنسية عادية وليست قدرة ولا خاطفة.

* إشباع الرغبات الجنسية قبل وخارج الزواج خطأ، والخطأ ليس فقط من وجهة النظر الدينية أو الاجتماعية، ولكن أيضاً من وجهة النظر النفسية؛ فهو يؤدى مفهوم الذات لدى الفتاة، ويشوه المفاهيم الاجتماعية لدى الفتى، ويشجع عدم المسؤولية، وقد يؤدى إلى ميلاد طفل لا أسرة له ولا منزل.

* قد ينقاد الإنسان لمشاعره إذا أتاحت له الفرصة، ولذلك يحسن ومن الأفضل تجنب الكلمات والأفعال التى تثير المشاعر الجنسية وتشير إلى الجنس وتحرض عليه.

* من السليم أن يكون لدى الفرد الاهتمام بالجنس وأن يعلم عنه ولكن بشرط أن يكون هذا الاهتمام وتلك المعرفة فى خدمة توافقه الجنسى السوى السليم دينياً واجتماعياً.

* من الطبيعى لأعضاء كلا الجنسين أن يفكروا ويشعروا بطرق مختلفة بخصوص أشياء كثيرة؛ فهناك فروق نفسية وجسمية بين الجنسين، ويجب أن يحترم كل جنس مشاعر الجنس الآخر.

* ميل الجنسين لبعضهما أمر طبيعى؛ لأنه فى الحياة يكون الذكر دائماً شريك حياة الأنثى.

* الذكور والإناث يتعارفون لأنهم من جنسين مختلفين، ولكن الكلام والسلوك الجنسي يجب أن يخرج عن نطاق هذا التعارف.

* التوافق الجنسي مهم في الزواج، ولكن التوافق غالباً ما يكون انفعالياً أكثر منه جسيمياً ولا يمكن تحديده على أساس الاتصال الجنسي السابق.

ومن ثم وفي ضوء ما سبق يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلي:

* مساعدة المراهقين على التخلص من النشاط الجنسي الذاتي (العادة السرية).

* تنمية الاتجاه السليم نحو الجنس الآخر، وأن الصداقة والعلاقات بين الجنسين أمر طبيعي، وإنما تحتاج إلى قدر من النضج والمسئولية.

* تزويد المراهق بالمعايير الاجتماعية والقيم الخلقية والتعاليم الدينية والجوانب النفسية المتعلقة بالسلوك الجنسي والزواج وخطورة العلاقات غير الشرعية والزنا والبغاء... إلخ.

* إمداد المراهق بالمزيد من المعلومات عن الأمراض التناسلية وطرق الوقاية والعلاج.

* تزويد المراهق بالمعلومات الضرورية الخاصة بإعلاء الدافع الجنسي أو تحويل القوة الجنسية الدافعة إلى مسالك أخرى مثل الرياضة البدنية والاشتراك في النشاط الاجتماعي والديني وممارسة الهوايات كالموسيقى والتمثيل... إلخ.

(٦) النمو الاجتماعي؛

يسعى المراهقون والمراهقات في هذه المرحلة لتحقيق المستوى المطلوب من النمو الاجتماعي، وتتضح الرغبة الأكيدة في تأكيد الذات مع الميل إلى مسايرة الجماعة، ويلاحظ أن تحقيق الذات المتزايد يحدث من خلال تنمية الشعور بالألفة والمودة.

ويوضح البحث عن الذات في ثلاث جهات رئيسية هي:

* البحث عن نموذج يحتذى (مثل الوالدين والمربين والشخصيات الهامة).

* اختيار المبادئ والقيم والمثل.

* تكوين فلسفة للحياة.

ويظهر الشعور بالمسئولية الاجتماعية، أى محاولة فهم ومناقشة المشكلات الاجتماعية والسياسية والعامة، والتعاون مع الزملاء والتشاور معهم واحترام آرائهم والحفاظ على سمعة الجماعة وبذل الجهد فى سبيلهم واحترام الواجبات الاجتماعية.

ويشاهد الميل إلى مساعدة الآخرين والعمل فى سبيل الغير وعمل الخير، ونلاحظ أن المشاركة الوجدانية تصل إلى قمتهما بين الأصدقاء من المراهقين، وقد يأخذ هذا الميل أشكالاً عديدة مثل الإيثار ومساعدة الضعفاء والتضحية فى سبيل الآخرين.

ويلاحظ الاهتمام باختيار الأصدقاء والميل إلى الانضمام إلى جماعات مختلطة الجنسين ويميل المراهق إلى اختيار أصدقائه من بين هؤلاء الذين يشبعون حاجاته الشخصية والاجتماعية ويشبهونه فى السمات والميول ويكملون نواحي الضعف والقوة لديه، ويزداد ولاء المراهق لجماعة الأصدقاء، ولا يرضى أن توجه إليه الأوامر والنواهي والنصائح أمام رفاقه.

هذا ويفضل المراهقون التخطيط لنشاطهم الجماعى والقيام به، وهم يحبون أن يكون نشاطهم الجماعى بعيداً عن مشاركة الكبار وفى منأى عن رقابتهم، وتكون الصداقة قوية، ويكثر المراهقون الكلام عن المدرسة والنشاط والمطامح والرياضة والموسيقى والرحلات والحياة أو أى شىء يهتمون به.

ويلاحظ الميل إلى الزعامة الاجتماعية والعقلية والرياضية، ويتميز الزعيم هنا بقدرته على شرح الأمور الغامضة، ويعمل المراهق جاهداً على التحلى بخصائص الزعامة الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التى تجعل أقرانه يختارونه كقائد لهم فى تفاعلهم الاجتماعى.

ويجاهد المراهق لتحقيق المزيد من الاستقلال الاجتماعي، ويسبق الرفي زميله في الحضر في تحقيق الاستقلال اجتماعيًا واقتصاديًا ويتزوج ويستقر قبله أسريًا. إن المراهق في الحضر يطول به الأمد إذ عليه أن ينتظر حتى يتخصص ويتقن مهنة ويتخرج ويدبر متطلبات الزواج من مسكن وغيره، ومن ثم يتأخر سن الزواج وتكوين الأسرة.

وتتمو الاتجاهات ويلاحظ أنها تعكس في أول الأمر اتجاهات الكبار في المنزل وخارجه وكذلك يرتبط تكون اتجاهات المراهق بخبراته وخلفيته والطبقة الاجتماعية الاقتصادية والجيرة والجنس والوطن والدين ونوع التعليم والأصدقاء، وتكون اتجاهات المراهقين نحو الأجناس الأخرى والجماعات العنصرية الأخرى سواء التسامح أو التعصب مكتسبة من الوالدين والمربين بالإضافة إلى الأحداث الخارجية.

وتشاهد الرغبة في مقاومة السلطة والميل إلى شدة انتقاد الوالدين والتحرر من سلطتهم ومن سلطة جميع الراشدين في المجتمع بوجه عام، وقد وجد أن الإناث يملن إلى قبول السلطة بدرجة أكثر قليلاً من الذكور، وأن الآباء التسليطيين يميلون إلى القسوة في تنشئة أولادهم وأن أولادهم يميلون إلى أن يشبوا تسليطيين مثلهم.

ويميل المراهق إلى تقييم التقاليد القائمة في ضوء المشاعر والخبرات الشخصية، ويزداد الوعي الاجتماعي والميل إلى النقد والرغبة في الإصلاح الاجتماعي وتغيير مجرى الأمور دون دراسة وتدرج كما يفعل الكبار، وقد يلجأ المراهقون إلى العنف، وقد يتحملون في سبيل ذلك مشاقاً ويضحون تضحيات جسيمة، مثل فقد بعض الأصدقاء وإغضاب أهل، وقد يكون ذلك حقاً نتيجة اقتراب المراهق من النضج الاجتماعي وتمسكه ببعض المثل والقيم الاجتماعية والاتجاهات نحو الخير والعمل الصالح، وقد يرجع إلى افتقار المراهق للتقدير الاجتماعي، وعدم الاعتراف بشأته وسعيه إلى الشهرة والظهور وإثبات ذاته بطريقة (خالف تعرف).

ويلاحظ الشعور بعدم الارتياح نحو بعض القوانين خاصة تلك التي تحد من حركة المراهقين، وربما يرجع ذلك إلى شعور المراهقين أنه ليس لهم أى رأى فى التشريع وسن هذه القوانين، وقد يقدم المراهقون على بعض أنماط السلوك المنوع المخارج على القانون أو العرف والمعايير الاجتماعية من باب السعى نحو الاستقلال والنضج وإثبات الذات ومحاكاة الكبار ولكن بأسلوب غير ناضج.

ويتعاطف فى هذه المرحلة دور وسائل الإعلام (الإذاعة والتلفزيون والصحافة) إلى جانب استمرار تأثير الأسرة والمدرسة وجماعة الأصدقاء، فى عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى للمراهق؛ فهى تقدم المعلومات وتؤثر فى السلوك وتتيح فرصة للترفيه والترويح، وهى تعكس جوانب هامة من الثقافة العامة للمجتمع متنوعة غنية، ويتوقف أثر وسائل الإعلام على سن الفرد وخصائصه الشخصية، وخلفيته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ... إلخ.

وفى ضوء ما سبق، يمكن تلخيص أهم مظاهر النمو الاجتماعى للمراهقين فى النقاط التالية:

- (١) تظهر حاجة المراهق إلى الانتماء إلى جماعة من الجماعات سواء كانت هذه الجماعة المنزل أو المدرسة أو رفاق اللعب.
- (٢) مؤسسات التنشئة الاجتماعية الممثلة فى الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق تؤثر فى السلوك الاجتماعى للمراهق، وتكسب المراهق بدورها صفات مورثة تؤثر عليه فى جميع المواقف الاجتماعية التى يمر بها.
- (٣) الحياة الاجتماعية فى المراهقة أكثر اتساعاً وشمولاً وتمائزاً؛ لأن المراهقة هى الدعامة الأساسية للحياة الإنسانية فى رشدها واكتمال نضجها.
- (٤) يمتاز سلوك المراهق بالرغبة فى مقاومة السلطة، المتمثلة فى الأسرة والمدرسة والمجتمع العام، وتأخذ مقاومة السلطة عدة مظاهر كالثورة والاحتجاج.
- (٥) كما تشهد هذه المرحلة تكوين علاقات جديدة طيبة ناضجة مع رفاق السن من الجنسين، والشعور الواضح بكيان الفرد وتقبل المسئولية الاجتماعية وامتداد الاهتمامات إلى خارج حدود الذات.

(٦) وخلال مرحلة المراهقة يكون الحصول على قبول جماعة الأقران والتخلص من سلطة الكبار من بين الأهداف والحاجات العامة للمراهقين.

(٧) يميل المراهق إلى الاعتماد على نفسه بدلاً من اعتماده على الغير، ويتضح لدى المراهق ميله إلى الزعامة، والتوحد مع شخصيات خارج نطاق البيئة مثل شخصيات الأبطال فى الدراما التليفزيونية ونجوم السينما.

(٨) وينمو الوعي الاجتماعى والسياسى للمراهق ويظهر الشعور بالمسئولية الاجتماعية ومحاولة فهم أو مناقشة المشكلات الاجتماعية والسياسية العامة.

(٩) ويظهر لدى المراهق بعض الميول والاتجاهات والأنماط السلوكية الخاصة، ومن أهم الخصائص السلوكية فيها الاهتمام بالجنس الآخر، ومحاولة جذب الاهتمام ومصادقته والتودد إليه.

(١٠) تعتبر مرحلة المراهقة هى مرحلة التطبيع الاجتماعى؛ حيث يتعلم المراهق استدخال القيم والمعايير الاجتماعية من الأشخاص الهامين فى حياته مثل الوالدين والمربين والقادة والمقرين من الرفاق ومن الثقافة العامة التى يعيش فيها المراهق.

(١١) تعتبر المنافسة من مظاهر العلاقات الاجتماعية فى مرحلة المراهقة؛ فالمراهق يقارن تلقائياً نفسه بأقرانه، ويحاول أن يلحق بهم ليكون مثلهم أو يتفوق عليهم.

(١٢) وتؤثر جماعة الأصدقاء على المراهقين، وهم يتأثرون ببعضهم فى طريقة اللبس والموسيقى ومجالات إنفاق المال، وفى هذه الحالة يفتقدون الخبرة المستمدة من الأسرة.

(١٣) يزداد ولاء المراهق لجماعة الأصدقاء، بدرجة ملحوظة ولا يرضى المراهق أن توجه إليه الأوامر والنواهي والنصائح أمام رفاقه، وقد يصاحب هذا الميل الابتعاد عن المنزل مؤقتاً والاهتمام بجماعات أخرى فى الأندية.

(١٤) يعد التعلم الاجتماعي جانبًا هامًا من جوانب النمو التي ينبغي على المدرسة أن تسهم فيه إسهامًا موجبًا، تتضح آثاره ونتائجه فيما يكتسبه المراهق من مهارات اجتماعية.

(١٥) كما أن المراهق ينزع إلى التخلص من الضغوط المتمثلة في الأنظمة الأخلاقية السائدة التي يتلقى مبادئها في البيت والمدرسة أثناء عملية التنشئة الاجتماعية.

(١٦) ومن المظاهر المميزة وكذلك للنمو الاجتماعي في فترة المراهقة، اتساع دائرة التفاعل الاجتماعي والتعاون مع الجماعة؛ حيث تتسع دائرة نشاطه الاجتماعي ويدرك حقوقه وواجباته، ويقترب بسلوكه من معايير الناس ويتعاون معهم في نشاطهم ومظاهر حياتهم الاجتماعية.

ومن ثم وفي ضوء ما سبق يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلي:

- * تنمية ميل المراهق إلى فهم الآخرين ومساعدتهم وتشجيع رغبته في ذلك.
- * تشجيع الميل إلى الزعامة، وتدريب المراهق على القيادة.
- * استغلال ميول المراهق في تنمية شخصيته ومساعدته على شغل أوقات فراغه.

* إقامة علاقة قوية مثمرة مستمرة مع المراهق أساسها الفهم المتبادل؛ مما يساعد على النمو السوي للذات ومفهوم الذات والوقاية من الانحراف.

* فتح باب المناقشة والحديث بقلب مفتوح وعقل متطور حول الموضوعات العامة بدلاً من اتباع أسلوب الوعظ والإرشاد والمحاضرة.

* تقبل ظاهرة التجريب التي تميز مرحلة المراهقة بصفة عامة، ومساعدة المراهقين بدلاً من التمسك بالنقد الزمن والالتزام المستمر.

(٧) نمو الشخصية:

من الممكن أن يكون المراهق صورة مثالية عن نفسه ويحققها بالفعل في عالم الواقع، ويمكن أن يقبل نفسه بمعنى أن يحب نفسه، ويشعر بأن الآخرين يجدون فيه صفات حميدة، ونتيجة لذلك يكون أكثر تكيفاً من الناحيتين الشخصية والاجتماعية عن مراهق آخر تكون صورة ذاته المثالية غير واقعية، وتجعله يعجز عن تحقيقها بالفعل، وقد يؤدي به ذلك إلى عدم تقبل ذاته، وإلى أن يسلك سلوكاً معيناً على نحو يجعل من الصعب على الآخرين تقبله.

ويؤثر في نمو الشخصية في هذه الفترة عوامل، لم تكن لها قوة مماثلة أثناء الطفولة، ويتحدد الأثر الذي تحدثه بالأسس التي قد تكونت لدى المراهق بالفعل خلال مراحل نموه السابقة، فإذا كان قد عانى كثيراً من مشاعر النقص، فإن مكانته في جماعات المراهقين سوف تزيد عنده من حدة هذا الشعور بالنقص ومن أمثلة العوامل التي تؤثر في نمو الشخص المظهر الشخصي للمراهق واسمه ومكانة أسرته الاجتماعية وأقرانه ومستوى طموحه وتطلعه.

وربما لا يوجد عامل يلعب دوراً في مفهوم الذات لدى المراهق يفوق مستوى الطموح، فمن المعتاد أن يحدد المراهق أهدافه بحيث تتجاوز قدراته بسبب ضغوط الوالدين من ناحية، وبسبب عدم قدرته على تقدير قدراته التقدير الصحيح من ناحية أخرى، وحين يفشل في تحقيق أهدافه يشعر بعدم الكفاية، ويدفعه هذا بدوره إلى الخضوع لمزيد من الضغط للقيام بمزيد من العمل، ويؤدي ذلك كله به إلى القلق أو اللجوء إلى بعض الحيل اللاشعورية، ومنها الإسقاط مثلاً.

وتحتل أزمة تحديد الهوية Identity بؤرة اهتمام «أريكسون» في بناء نموذج للنمو الوجداني والانفعالي؛ فمع البلوغ ينمو الجسم بسرعة، وتطراً عليه تغيرات هائلة، وهذه التغيرات تحدث قدراً من الاضطراب لدى المراهقين فتشأ لهم أدوار

اجتماعية جديدة، بالإضافة إلى أن صورههم عن ذواتهم كأطفال لم تعد ملائمة للمظهر الجديد الذى هم عليه ولمشاعرهم الجديدة نحو الجنس الآخر، وكذلك تنشأ مطالب وتوقعات جديدة لدى الكبار والأقران تختلف عن تلك التى كانت فى الطفولة، ويؤدى ذلك كله إلى خلط شديد لدى المراهق يسميه إريكسون «أزمة الهوية» والذى بدوره يدفع المراهقين إلى تكوين جماعات خاصة بهم، يلتزمون فيها بأفكارهم المخطئة والجامدة نحو أنفسهم.

ومن العوامل التى تؤثر فى هذه المرحلة نتائج الخبرات التى تعرض لها المراهق فى مراحل نموه السابقة، وهى التى تضمن التكامل الناجح بين الدوافع الأساسية لدى الفرد وقدراته الجسمية والعقلية وفرص الحياة التى توفرها له البيئة الاجتماعية، وهذا يعنى أن نمو الطفل السابق على مرحلة المراهقة يتم تركيبه مع مطلع المراهقة ليعطى للفرد شعورًا بالهوية الشخصية أو بتحديد الذات.

وهناك خطر كبير فى هذه المرحلة يسميه إريكسون «خلط الأدوار» أو «خلط الهوية» فالمراهق لا يعرف من يكون بالنسبة لنفسه، وبالنسبة للآخرين؛ فالأولاد والبنات يتحولون فيها إلى صورة مصغرة من الرجال والنساء، ويعانون نتيجة لهذا الخلط من الاغتراب والانفصال، وبعد الشعور بالهوية المشككة الجوهرية فى هذه الفترة؛ فالمراهق يسعى إلى معرفة من يكون؟ وما دوره فى المجتمع؟ وهل هو طفل أم راشد؟ كيف يكسب عيشه؟ أى مهنة يعمل؟ وهل ينجح أم يفشل؟

ولهذا نجد المراهق مهتمًا بإدراك الآخرين له ومقارنته بإدراكه لذاته، وقد يؤدى به عدم القدرة على فهم الذات أو نقصان الهوية إلى الخلط والغموض، والفشل فى حل هذه الأزمة يؤدى إلى إطالة مرحلة المراهقة، وفشل تكامل الشخصية فى مرحلة الرشد، وقد يؤدى هذا بالتالى إلى ظهور سلوك سلبى.

(٨) النمو اللينى؛

يمكن النظر إلى الدين كأحد أبعاد الشخصية الهامة فى المراهقة، ويتناول الدين كل نواحي الحياة الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية... إلخ،

وسواء كان الاتجاه نحو الدين موجباً أو سالباً فإن الدين يعتبر قوة دافعة خلال فترة المراهقة بصفة خاصة.

وتمثل مظاهر النمو الدينى لدى المراهق فى اليقظة الدينية العامة؛ حيث يسود روح التأمل، والنشاط الدينى العملى (العبادة أو الجهاد فى سبيل الله)، وتجريد ذات الله من التشبيه والتجسيم وتصوره سبحانه وتعالى تصوراً معنوياً مجرداً، والانشغال بصفاته وآثاره وأفعاله أكثر من الانشغال بشكله وصورته، ويلاحظ أن ضعف العقول يبتون عند المستوى الطفلى الحسى فى تصور المفاهيم الدينية.

وقد يشاهد الشك؛ حيث يلاحظ ميل بعض المراهقين إلى الشك، ويختلف الشك باختلاف شخصية المراهق، فيتراوح بين النقد العابر والارتياب الحاد فى كل العقائد، وقد يرجع ذلك إلى أن تعليم التعاليم الدينية فى الطفولة كان غير مخطط أو غير ملائم لمستوى النمو أو ناقصاً أو معدوماً.

وقد يشاهد الإلحاد، وهو إنكار وجود الله، ويصاحب هذا عادة صراع وقلق وقد يتباهى بعض المراهقين بالإلحاد، ولكن هذا ليس إلحاداً حقيقياً، ولكنه فى الغالب يعبر عن الرغبة فى الاستقلال والتحرر والعدوان على المجتمع بمهاجمة مقدساته، وقد يكون مجرد ظاهرة عابرة لا تلبث أن تتغير، ويلاحظ أن التشعبة الاجتماعية تلعب دوراً هاماً فى تحديد الاتجاه الدينى لدى المراهق سواء كان تحمساً أو شكاً أو إلحاداً.

ومن ثم يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى:

* اتخاذ الوسائل الكفيلة بدعم مناهج التربية الدينية وتطويرها من حيث محتوى المنهج وطرق تدريسه، وربطه بمشكلات الحياة، وتطور نمو المراهقين، وما ينبغي أن يسود الجو المدرسى من الملامح الدينية البارزة والقذوة الحسنة والسلوك القويم.

* الأخذ بمبادئ التربية الإسلامية، باعتبارها الأداة الرئيسية فى تنمية الإنسان الصالح؛ لما تتميز به من مفاهيم ومبادئ وخبرات وتجارب يسعى الفكر الحديث

إلى الأخذ بها، ولكونها تربية إنسانية فى قيمها وخصائصها، وفى مناهجها وتطبيقاتها؛ ولأنها تستمد مصدرها من أصول العقيدة.

(٩) النمو الأخلاقى؛

مع وصول المراهق إلى المراهقة الوسطى يكون قد تعلم المشاركة الوجدانية، والتسامح والأخلاقيات العامة المتعلقة بالصدق والعدالة والتعاون والولاء والمودة والمرونة والطموح وتحمل المسؤولية ... إلخ، وتزداد هذه المفاهيم عمقاً مع النمو.

وإذا استعرضنا بعض أنماط السلوك الخارج عن المعايير الأخلاقية فى هذه المرحلة نجد من بينها مضايقة المدرسين ومشاغبة زملاء والتخريب والغش واخراج بدون استئذان الكبار وإرتياد أماكن غير مرغوبة والتأخر خارج المنزل والعدوان والهروب من المنزل ومعاكسة أفراد الجنس الآخر والميوعة والانحلال وتقليد بعض أنماط السلوك المستورد من ثقافات أخرى لا يتفق مع ثقافتنا وقيمنا الأخلاقية.

ومن المهام النمائية الهامة فى مرحلة المراهقة المبكرة تعلم المراهق ما تتوقعه منه الجماعة، وتشكيل السلوك ليتوافق مع هذه التوقعات دون إشراف مستمر ودون تهديد بالعقاب كما كان الحال فى مرحلة الطفولة.

وإذا كان المراهق قد اجتاز مرحلة الطفولة ولديه أساس أخلاقى قوى فإنه يستطيع أن يواجه ضغوط المراهقة بنجاح، وخاصة عندما يصبح السلوك الخلقى مسئولية ذاتية؛ فهو مصدر الضبط، ولم يعد الأمر فى يد المعلمين أو الوالدين كما كان سائداً فى مرحلة الطفولة.

والواقع أن المراهق لا يكون مستعداً لتقبل المفاهيم الخلقية دون مناقشة، كما كان الحال عليه أثناء الطفولة، إنه يحاول بناء نظامه الأخلاقى معتمداً على المبادئ الخلقية التى تكونت لديه أثناء الطفولة، والتى يجب أن تتعدل وتتغير لتلائم المستوى الأكثر نضجاً من النمو فى هذه المرحلة، ويقوده ذلك إلى اكتشاف أوجه التناقض فى بعض المبادئ الخلقية، وخاصة التناقض بين القول

والعمل فى سلوك الوالدين والمعلمين، وهذا الاكتشاف خاصة يؤدى بالمراهق إلى كثير من الغلط والاضطراب، كما قد يكتشف المراهق ما يمكن أن يسمى «المعيار المزدوج» double stand فالكذب يمكن أن يكون أيضاً، وبعض أنماط السلوك فى العلاقة بين الجنسين تعد خطأ إذا صدرت عن البنات بينما هى ليست كذلك بالنسبة للبنين.

ولعل أشد مصادر الخطر ضرراً أن يعجز الضمير - وهو قوة الضبط الداخلى عند الإنسان الراشد الذى تعتبر مرحلة المراهقة المقدمة الطبيعية له - عن النمو بالمعدل المطلوب، والضمير هو الذى يحول سلطة التحكم فى سلوك الفرد إلى داخله وليس إلى سلطة خارجية.

ومن ثم يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى:

العمل على نمو السلوك الأخلاقى لدى المراهق، وإصلاح النفس، والصدق والأمانة والتواضع ومعاشرة الأخيار والكلام الحسن واحترام الغير، والإصلاح بين الناس وحسن الظن والتعاون والاعتدال والعفو والعفة والإحسان والسلام والضمير.

المراهقون ومطالب النمو

يتطلب النمو النفسى السوى للفرد فى كل مراحل نموه عدة أشياء، وهذه الأشياء يجب أن يتعلمها الفرد لكى يصبح سعيداً وناجحاً فى حياته.

فتحقيق مطالب النمو يؤدى إلى سعادة الفرد، ويسهل تحقيق مطالب النمو الأخرى فى نفس المرحلة، وفى المراحل التالية، ويلاحظ أن تحقيق مطالب النمو يحتاج إلى تعلم واتخاذ قرارات، وهذا واجب أساسى فى عملية الإرشاد النفسى، وفى العملية التربوية بصفة عامة.

وفى نفس الوقت فإن عدم تحقيق مطالب النمو يؤدى إلى شقاء الفرد وفشله وصعوبة تحقيق مطالب النمو الأخرى فى نفس المرحلة، وفى المراحل التالية.

وهكذا نلاحظ ترابط مطالب النمو؛ فإذا أخذنا في الاعتبار النمو المتكامل للشخصية وضرورة تحقيق مطالب النمو وأهميته، نجد أن هناك تكاملاً أفقياً ورأسياً في السلوك، بمعنى أن الفرد الذي يحقق باقى المطالب فى المرحلة بدرجة حسنة، هو أيضاً يميل إلى الاستمرار فى تحقيق مطالب النمو فى المراحل التالية بدرجة مماثلة من النجاح.

وتحدد مطالب النمو فى مرحلة المراهقة فى نمو مفهوم سوى للجسم وتقبل الجسم، تقبل الدور الجنسى فى الحياة، تقبل التغيرات التى تحدث نتيجة للنمو الجسمى والفسىولوجى والتوافق معها، تكوين المهارات والمفاهيم العقلية الضرورية للإنسان الصالح، استكمال التعليم، وتكوين علاقات جديدة طيبة ناضجة مع رفاق السن من الجنسين، نمو الثقة فى الذات والشعور الواضح بكيان الفرد، تقبل المسئولية الاجتماعية، امتداد الاهتمامات إلى خارج حدود الذات، اختيار مهنة والاستعداد لها (جسماً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً)، تحقيق الاستقلال اقتصادياً، ضبط النفس بخصوص السلوك الجنسى، الاستعداد للزواج والحياة الأسرية، تكوين المهارات والمفاهيم اللازمة للاشتراك فى الحياة المدنية للمجتمع، معرفة السلوك الاجتماعى المعيارى المقبول الذى يقوم على المسئولية وممارسته، والقيام بالدور الاجتماعى الجنسى السليم، اكتساب قيم مختارة ناضجة تتفق مع الصورة العملية للعالم الذى نعيش فيه، إعادة تنظيم الذات ونمو ضبط الذات، بلوغ الاستقلال الانفعالى عن الوالدين، وعن الكبار.

كما نشير إلى أن دور المدرسة فى تحقيق مطالب النمو للمراهقين، يعتمل فى الآتى:

(١) توفير الأنشطة الجماهيرية: حيث إن الأنشطة الجماعية تعطى للطالب الفرصة للتعاون مع الجماعة.

(٢) استخدام المقاييس السوسيو معرفية: إذ عن طريقها يمكن الكشف عن العلاقات الاجتماعية بين الطلاب؛ حيث يمكن استخدام نتائج تلك المقاييس فى

تحديد وضع المراهق بين أولئك الذين يوفرون له سندا انفعالياً، كما يمكن عن طريقها تشخيص المعزولين وتقديم مساعدة خاصة لهم.

(٣) التقليل من التنافس: تستطيع المدرسة أن تقلل المنافسة فيما بين الطلاب إلى أكبر حد ممكن؛ وذلك لتقليل شعور المراهق بالنقص.

(٤) مقررات تعليمية عن العلاقات الاجتماعية: يجب تعديل المناهج وإدخال مقررات تعليمية خاصة بدراسة مشاكل العلاقات الاجتماعية، إذ إن ذلك يعتبر على قدر كبير من المساعدة للمراهقين في تلك المرحلة؛ مما يؤدي إلى تقليل سلوك العنف لدى الطلاب.

(٥) المناقشات المفتوحة في الفصول الدراسية: يعتبر الجنس من المجالات التي تتبنى العديد من الصعوبات الانفعالية تبعاً لقواعد ومبادئ مجتمعاتنا، ولكن الصراع والعنف يمكن التخفيف من حدته إلى درجة كبيرة عن طريق المناقشات المفتوحة في الفصول الدراسية، أو حتى عن طريق التوجيه الشخصي من الموجه النفسى الذى يجب أن يشعر المراهق بالثقة التامة فيه.

(٦) الطريق للوصول إلى الأهداف: يزداد قبول الذات أثر كل نجاح، ويستطيع المدرس مساعدة المراهق على الشعور بالرضا عن تحصيلاته وتقديم كل نقد بناء.

(٧) الفناء على جميع المراهقين: من الأخطاء العامة التى تقع فيها المدارس الشناء على قلة من الطلاب الأكثر نجاحاً، أى على أولئك الذين يحصلون على أعلى الدرجات فى موادهم الدراسية، ومن ثم يحصلون على الاحترام والتشجيع والتقدير من قبل المدرسين وإدارة المدرسة وأيضاً زملائهم، بينما الطلاب الذين قد يفشلون فى تحصيل دروسهم لا ينالهم أى تشجيع، ومن ثم أقول يجب على المدرسين بمساعدة الأخصائى النفسى والاجتماعى بالمدرسة بحث أسباب تأخرهم الدراسى ومساعدتهم فى التغلب على تلك الأسباب ومواجهته؛ حتى يتمكنوا من تحقيق التفوق الدراسى بدلاً من النقد الهدام والإهانة والإهمال.

المراهقون والحياة الاجتماعية

الانتماء إلى المجتمع خاصة هامة من خواص الإنسان عموماً؛ فهو يشعر بضرورة هذا الانتماء حتى يشعر بالطمأنينة والأمن والرضا والسعادة، وتبدأ هذه الميزة بالمران والتدريب منذ الطفولة الأولى (في كنف الأسرة) وتستمر باستمرار الحياة على هذه الأرض، ونتيجة انتمائه إلى هذا المجتمع فهو يرغب في التعبير عن ذاته.

ويبدأ المراهق تمرداً وعنفاً إذا ما أعقبت هذه الرغبة من قبل الأسرة أو المدرسة أو المجتمع، وما انضمامه إلى شلة الأصدقاء التي تشكل له بديلاً للأسرة، إلا المتفلس الذي يجد فيه الراحة النفسية؛ فهي تفهمه أكثر من أسرته المنزلية، ومعها يشعر أنه لم يعد وحيداً في أية أزمة تعترضه، والمراهق يأبى مرافقة إلا من يقاربه في السن، وفي الجسم، والمعايير العلمية والثقافية قد لا تكون ذات أثر كبير بالنسبة للصحة في هذه المرحلة، والأولوية هي للسن، وللهوايات المشتركة.

والحياة الاجتماعية في مرحلة المراهقة، تصبح أكثر اتساعاً وشمولاً وتمييزاً عن حياة الطفولة، التي كانت محدودة بإطار البيت والمدرسة فقط؛ فالمراهق يسعى جاهداً لاكتساب صداقات جديدة، ويحاول الاحتفاظ بها بقدر استطاعته، ونظراً لأن الفرد في مرحلة المراهقة، لم يعد طفلاً يتلقى الأوامر فيطيعها كما هي دون مناقشة، ولا يقبل أى عمل كالجماد، لذلك فالمراهق يشعر بعدم الانتماء وبعدم الرضا عن نوع المعاملة التي يلقاها من أسرته؛ فحياة المراهق الاجتماعية في مظاهرها الأساسية تمرد على سلطان الأسرة، وقيود المجتمع، ومحاولة لتأكيد الحرية الشخصية، ثم خضوع لجماعة الرفاق، ثم تألف سوى مع المجتمع القائم، ولهذا فحياة المراهق تتأثر في تطورها ونموها بمدى تفاعلها مع المناخ الاجتماعي عموماً.

ومن ثم فإن من أهم أعمال الوالدين نقل المراهق انفعاليًا من دائرة المنزل إلى خارجه داخل المجتمع الكبير بما فيه من هيئات متعددة، والمراهق يحارب والديه من أجل أن ينطلق بكل قواه إلى الحياة الاجتماعية؛ فهو لا يريد المال أو مكانة العمل وإنما يرغب في تقبل الرفاق وثقة الأصدقاء ومحبة الجنس الآخر.

ومهما حاول الوالدان من طرق لإقناع المراهقين بالحجج والبراهين فإنهما لن يستطيعا أن يكسبا معركة مع المراهقين، وإذا حاول الوالدان التمسك بموقفهما وكبت دفعات المراهق في الاستمتاع بحياته الاجتماعية، فإن الانتقام قد يكون شديداً فقد يتجه المراهق نحو الجناح أو السلبية أو المرض النفسى، إن لديه كل أسلحة الانتقام، فإذا اشتد غضبه وفاض به فقد يقوم بعمله نكراء ويندفع بكل قواه لإحداث القلق لدى الوالدين أو يضعهما فى صورة مخجلة أمام المجتمع.

ومن ثم وجب على الوالدين توخى الحكمة والمرونة، وترك الخيار للمراهق لاختيار الحياة الاجتماعية التى يريد لها طالما أنها ليست ضارة، هو يريد أن يكتسب الثقة فى أن يتصرف بسجيته فى حضور الآخرين، وكما يرفض الطعام الذى لا يحبه فإنه لا يندمج فى حديث لا يهمه، ومسئولية الوالدين فى وضع الحدود اخلاقية والاجتماعية وإبراز القيم؛ فالمراهق يحتاج لمعرفة ما نحترمه وما نتوقعه، ومن الطبيعى أن يعارض ويقاوم قواعدنا ويختبر حدودنا.

كل هذه أمور شائعة وطبيعية، فالإنسان لا يصل إلى النضج عن طريق الطاعة العمياء للوالدين، أما الحدود فتوضح بطريقة تحفظ للمراهق احترامه لذاته بشرط أن تكون حدوداً مرتكزة على القيم وهادفة إلى بناء السلوك.

ومع التأكيد على حرية المراهق ينبغى التأكيد على حدود تصرفاته وأفعاله بوصفنا فى موضع الحماية له وبوصفنا كباراً أقوياء مررنا بخبرات صقلت أفكارنا وسلوكنا، وإذا كنا نتسامح بالنسبة لمشاعر المراهق وأحلامه ورغباته فإننا نتخذ الحزم عند مواجهة السلوك غير المقبول، نحترم معتقداته واتجاهاته ولا نقلل من شأن أحلامه ورغباته، ولكن نحفظ بالحق لإيقاف وتوجيه بعض أعماله وبأن نمسك بالحدود والقيم التى تحميه وتحمى المجتمع.

ولكى نساعد على نمو المراهق نمواً سليماً فإننا ننمى شخصيته بحيث يتحمل بنفسه مسؤولياته، ويضع بنفسه قراراته ويتقبل نتائجها ويقود سلوكه بمفرده، وبدون هذه المعاناة لا يحدث نمو، ولكى يصبح المراهق راشداً فإن عليه أن يخبر انفعالات الرشد.

المراهقون ومؤسسات التنشئة الاجتماعية

يتم اكتساب القيم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، التي يتحول الفرد عن طريقها إلى كائن اجتماعي مشارك في المجتمع، وترجع أهمية التنشئة إلى أنها تهدف إلى تلقين الطفل وتعليمه ما هو موجود من عادات وتقاليد مختلفة، وإدماج نسق للقيم في ذوات الأفراد، أي إكساب الطفل ثقافة المجتمع، ومن أهم مكوناتها القيم، وتشمل التنشئة الاجتماعية كافة الأساليب التي يتلقاها الفرد من الأسرة خاصة الوالدان، المدرسة والأصدقاء، وسائر المحيطين من أجل بناء شخصية نامية متوافقة جسميًا، ونفسيًا، واجتماعيًا، وذلك في مواقف الرضاعة والقطام والغذاء واللعب والتعارف والصراع مع الآخرين في كافة مواقف الحياة من تحصيل أو عمل أو ترويح.

ويتفق الاجتماعيون والتربويون على أن التنشئة الاجتماعية تتم من خلال مؤسسات معينة في كل مجتمع، تقوم بتنشئة الأفراد وتنقيفهم وتعليمهم السلوك المقبول اجتماعيًا، إضافة إلى تلقينهم المعارف والعقائد التي تشكل هويتهم الثقافية والحضارية ويقوم عليها أمر دينهم.

وبالطبع لا تقتصر عملية التنشئة الاجتماعية وبث القيم على الأسرة، وإنما يقوم بها العديد من المؤسسات الاجتماعية من أهمها: جماعة الرفاق والمدرسة ووسائل الإعلام ودور العبادة وغيرها، وتقوم هذه المؤسسات ببث ما يرتضيه المجتمع من قيم، حيث تهدف في النهاية من هذه العملية إلى خلق ما يسمى بالشخصية المنوالية للمجتمع، وعلى الرغم من أن هناك قدرًا من التباين بين شخصيات أفراد المجتمع، وعلى الرغم من أن حدود ما هو مقبول وما هو غير ذلك تختلف من منطقة لأخرى داخل هذا المجتمع، فإن التنشئة الاجتماعية التي يقوم بها وكلاء الثقافة مناط بها - رغمًا عن هذا كله - خلق إطار مشترك يتحدد من خلاله للمجتمع ملامحه المميزة.

وترجع أهمية التنشئة الاجتماعية إلى أن البناء الاجتماعي يعمل من خلالها على تحقيق التوازن بين التأثيرات وأساليب الضبط الاجتماعي لدى الأفراد أعضاء

المجتمع، إلى جانب العمل على إيجاد التوافق بين حاجات الشخصية ومطالب البناء الاجتماعي؛ لأن التنشئة هي عملية تعلم بالمعنى العام تهدف من خلالها إلى إعداد الطفل ثم المراهق فالراشد؛ للاندماج في أنساق البناء والتوافق مع المعايير الاجتماعية المقبولة، ومطالب الأدوار الاجتماعية واكتساب قيم المجتمع.

لذا فإننا في أشد احتياج لإعادة صياغة شبكة العلاقات بين المراهق والآخر الذى قد يتمثل فى الآخر (القريب المباشر الأول: الأب، الأم، الإخوة، ... إلخ)، أو يتمثل فى الآخر (القريب المباشر الثانى: المدرس، الصديق، الحبيب، ... إلخ)، وهذه الصياغة فى احتياج إلى معايير جديدة فى التعامل بين الهويات الفردية والجماعية أو المجتمعية.

ولأن البحث فى الأرضية المشتركة مع الآخر، واكتشاف مساحة الاتفاق مع الغير أفضل بكثير من تغذية مناطق الخلاف وتجسيد أسباب التباين؛ فإن صورة الآخر وأساليب التعامل معه إنما تتشكل عبر عمليات التدريب الاجتماعى التى تقوم بها مؤسسات المجتمع وعلى رأسها السلطة.

وسوف نعرض فى السطور القادمة لمؤسسات المجتمع التى يقع عليها عبء تشكيل وعى الفرد بالآخر بما يتناسب مع مراحل عمره، على اعتبار أنها جميعاً تصب فى إطار عملية التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية التى كان ينظر إليها فى الماضى على أنها مرتبطة بتعليم وتربية الصغار فقط، فى حين أنها كمصطلح حديث تعنى تنشئة الصغار والكبار معاً أى اعتبار التنشئة عملية مستمرة منذ الميلاد وحتى الممات؛ لأنه من الواضح أن خبرة التطبيع الاجتماعى للشخص فى مرحلة الطفولة لا تستطيع إعدادها لكل الأدوار التى يتوقع منه أن يشغلها فى حياته القادمة، بل إن هذه العملية خلال سنوات النضج يجب أن تكون مطلباً أساسياً فى المجتمعات الدينامية الحديثة وهو الآن ما يلتقى مع الهدف البعيد للتربية المتمثل فى ما يسمى حالياً بفكرة التنشئة الاجتماعية للكبار، وهى التربية مدى الحياة لكى يتوافقوا مع الظروف الجديدة؛ لكى تكون الأدوار واضحة بين الفرد، والأسرة، والجماعة، والمجتمع، وعدم تعارضها مع أدوار أخرى.

فالتشعة الاجتماعية تتضمن عمليات متعددة أهمها التعلم الاجتماعي والتثقيف والتوافق الاجتماعي والانتقال الثقافي، وهي أيضاً إكساب الفرد طفلاً أو راشداً سلوكاً ومعايير وقيماً من خلال مؤسسات عديدة وهي: الأسرة - المدرسة - جماعة الأقران - وسائل الإعلام السمعي والبصري التقليدية والحديثة، والمؤسسات الأخرى: المساجد، والكنائس، والأحزاب السياسية.

وواقع آخر يرصده المفكرون والعلماء والباحثون في مجالات العلوم الإنسانية، أن مؤسسات التشعة جميعها تواجه العولمة في جانبها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي حيث تسمى - العولمة إلى تفكيك الأسرة وفساد الأفراد واختراق وعيهم واقتلاع الجذور التي تربط الفرد بعائلته ووطنه وبيئته وتراثه الوطني والقومي، وإيجاد إنسان عولمي النزعة والتطلع لا يرتبط بوطن ولا دين ولا قومية، ووطنه العالم كله.

وهو ما يدعوننا الآن إلى القول بأن مقاليد التشعة الاجتماعية تكاد تفلت من أيدي هذه المؤسسات لاسيما وسائل الإعلام البصري والسمعي في العالم العربي، ومن هنا يمكن أن نقدر خطورة الآثار النفسية والاجتماعية التي تترتب على استحواذ (الآخر البعيد) للشباب والمراهقين والصغار من خلال فرض نموذج العولمي - الأمريكي - بقوة سيطرته وتمكنه من وسائل الإعلام التي لا يخلو بيت من أكثر من مفردة من آلياتها (تليفزيون - دش - كمبيوتر ... إلخ).

وسوف يتم عرض مؤسسات التشعة الاجتماعية فيما يلي:

(1) الأسرة؛

تعتبر الأسرة أهم الجماعات الأولية التي تتولى غرس قيم الثقافة العامة للمجتمع ككل، وفي نفس الوقت غرس القيم التي تعتقها الأسرة ذاتها، والتي تتضمن كل أساليب الحياة والتفكير والتعامل مع الأشخاص والمواقف والأشياء.

حيث تعتبر التشعة الاجتماعية مهمة رئيسية من مهام الأسرة والتي تقوم بها تجاه الطفل وخاصة مسئولية الوالدين؛ ففي الأسرة المرعى والمهد الأول للطفل

تتضح سلامة وعدم سلامة سلوك الفرد والجماعة؛ فالشخصية السوية أو غير السوية هي نتاج التفاعل الذي يحدث للفرد من خلال اغبرات الأولية التي يتلقاها في مراحل حياته الأولى من الأسرة.

وتنقل الأسرة إلى الطفل كافة المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي تسود المجتمع بعد أن تترجمها إلى أساليب عملية التنشئة الاجتماعية؛ فعمل بذلك في تنشئة وتكوين شخصيته في اتجاهين متداخلين أحدهما تطبعه بالطباع التي تتمشى وثقافة الأسرة ذاتها.

فمن طريق الأسرة يكسب الأبناء القيم الأساسية والدعامات الأولى لبناء ذواتهم وشخصياتهم في محيط الأسرة، وتمثل الأسرة - في هذا الصدد - ثقافة المجتمع بصفة عامة وتمثل الثقافة الفرعية التي تنتمي إليها بصفة خاصة، وعلى هذا فإن الأسرة تعمل بأساليبها التربوية المختلفة على اكساب الأبناء السلوك الذي يتوافق مع القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية التي تعتقها وتعمل بها.

وأخيراً تعهد الأسرة إلى أساليب الثواب والعقاب في تأديب أبنائها بإثابتهم على حسن سلوكهم بما يتمشى مع أنماط سلوكها ومع قيمها العليا، أو بمعاقبتهم على سوء سلوك لهم يتعارض مع أنماط سلوكها ومع قواعدها الأخلاقية؛ فتدعم بهذه الأساليب السلوك الذي يتمشى مع القيم الأساسية التي تدين بها وتمنع السلوك الذي يتعارض معها، وفوق هذا فهي تستخدم الأساليب اللفظية التي تساعد الطفل على أن يتبنى الاتجاهات والقيم التي تمكنه تدريجياً من أن يسلك السلوك المرغوب فيه من تلقاء نفسه؛ ومن ثم فإن التناسق بين أساليب التربية والتهديب المختلفة مع القدوة في بيئة الطفل أمر بالغ الأهمية لنشأة الطفل وتكامل شخصيته.

(٢) المدرسة،

المدرسة كبيئة نقية أوجدها المجتمع بهدف التربية تحاول أن تكسب أفرادها القيم الإيجابية من خلال المناهج التي تقدمها، بل من خلال تفاعل المتعلمين مع

المعلمين وادارى المدرسة، وهذا كله يساعد فى إدماج المتعلمين فى قيم ومعايير واتجاهات محددة تتخطى الاختلافات الطبقية وتساعد فى تنمية القيم مما يشوبها، وغرس قيم جديدة وتبنى نسق قيمي مرغوب لدى المتعلمين، فمن خلال التفاعلات اليومية فى الحياة المدرسية يتعلم الفرد قيم احترام الوقت والالتزام بالمواعيد، والقيم المرتبطة بالدور والمكانة، ولكن المدرسة أصبحت هى الأخرى عاجزة عن أداء دورها التعليمى والتربوى فى ظل التغيرات الاقتصادية فى المجتمع المصرى، ليس هذا فحسب، بل أسهمت المدرسة فى تواجد الصراع القيمي لدى الشباب، نتج عن التعارض بين سلوكيات القائمين على العملية التعليمية والتربوية باعتبارهم المثل والقدوة، وبين القيم والمعايير الاجتماعية التى يتم تلقينها للطلاب، ومن هنا ينشأ الصراع القيمي ليس هذا فحسب بل يضيع المثل والقدوة أيضاً.

ولذا نحتاج إلى نوع من التعليم يتصل بالجذور الثقافية للأمة ويسعى فى نفس الوقت لتجديد وتحديث الجوانب الثقافية، ومن خلال التعليم ينبغى أن نصون الذاتية الثقافية لأمتنا من أجل مواجهة التحديات الثقافية العالمية، وكيف نتعامل مع الترسبات التراثية الثقافية حتى يمكننا مواجهة الثقافة الغربية.

كما يجب أن يكون جو المدرسة جواً اجتماعياً صالحاً بعيداً عن الاستبداد والإرهاب وتركيز السلطة فى يد واحدة، وأن تكون سياسة المدرسة مبنية على التوجيه والإرشاد المقرونين بالحبوة والعاطفة، وفهم نوازع المراهقين ودوافعهم دون اللجوء إلى قمعها بالقوة والقسوة، بل بتحويلها إلى نشاطات بالرفق واللين والحكمة، وأن يكون الأسلوب المتبع مع المراهقين هو أسلوب واحد معروف والابتعاد عن الأسلوب المتذبذب بين اللين والقسوة، كما أنه يجدر بالمدرسين والإداريين فى المدرسة أن يشعروا المراهقين بأنهم القدوة فى السيرة والأخلاق حتى لا ينهار الرمز الذى يؤمنون به.

ومن أجل مصلحة المراهق يمكن للمدرسة أن تستعين ليس بالأهل فقط، بل بدوى الخبرة جميعاً والتسيق مع المؤسسات التى تعنى بتمضية أوقات الفراغ المفيدة (كالأندية والمكتبات) وكذلك قاعات المحاضرات، والسينما، والمسرح

المدرسى) وأن تعمل جميعها ضمن إطار التعبئة العامة لحشد جميع النشاطات التي تخدم المراهقة وتعمل على احتوائها وتوجيهها توجيهًا سليمًا.

(٣) جماعة الرفاق:

تلعب جماعة الرفاق دورًا هامًا في نمو شخصية المراهق وتربيته، وتوفر له مجموعة من القيم والاتجاهات الخاصة بجنسه وسنه، وتنمي لديه استقلالاً عاطفياً من أسرته، فمن خلال جماعة الرفاق يتشرب المراهق القيم الأخلاقية السائدة فيها، ولهذا يقع على أولياء الأمور مسئولية التأكيد على أهمية اختيار المراهق للأقران الذين ينضم إليهم، وإذا ما قامت كل أسرة بتزويد مراهقيها بالقيم الأخلاقية السليمة فإن جماعة الأقران التي ستختارها لأبنائها ستدعم هذه القيم.

ومن الأسباب التي تبلور شخصية وسلوك الفرد اكتسابه مجموعة من المعلومات والخبرات والتجارب من بيئته الاجتماعية، واحتكاكه مع جماعة الرفاق وحصوله على صور وانطباعات عقلية ذهنية لها الأهمية في تفسير الحوادث والأشياء المحيطة به، مع اعتقاده لمجموعة من القيم والمقاييس التي تعلمها من وسطه الاجتماعي، كما أن طبقة الاجتماعية والجماعات والمؤسسات الاجتماعية التي ينتمي إليها دائماً تزوده بخصال وصفات معينة من الأخلاق والسلوك والمبادئ والغايات التي هي سبب حركته ونشاطه واتصاله مع الآخرين.

(٤) وسائل الإعلام:

تختلف عملية التنشئة الاجتماعية من حيث الوسائل المستخدمة في غرس معايير الثقافة فلم تعد تقتصر على دور كل من الأب والأم والمدرسة وجماعة الرفاق، بل صاحب كل ذلك التطور العلمي والتكنولوجي الذي تميز به عصرنا الحديث في وسائل الإعلام والذي أصبح من أبرز مظاهر التكنولوجيا الحديثة.

ويعد التليفزيون أهم عوامل التنشئة الاجتماعية؛ حيث إنه معلم أساسي للقيم والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة، كما أنه يقدم العديد من المعارف والمعلومات بالإضافة إلى تقديم جوانب مختلفة من الثقافة وغيرها من الرموز الثقافية.

ويرى العالم الاجتماعى الأمريكى «تالكوت بارسونز» أن التشعة هى عملية تعلم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهى عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة فى نسق الشخصية.

هذا ولقد سُئلت طفلة عن مدى ارتباطها بالتلفزيون، فأجابت بأنها تعتبر التلفزيون صديقة لها، أو كأنه فرد من أفراد الأسرة، وتحس بالوحشة إذا لم تراه. وقد أدرك النفسانى الفرنسى «هنرى فالكون» هذه الظاهرة التى أفرزها التلفزيون فكُتب فى مجلة الطفولة «Emface»: فى الماضى كان الوالدان فى العائلة والأساتذة فى المدرسة يحتكرون التربية، ولكن لا بد أن يعترفوا حالياً بوجود تأثيرات خارجية.

ويشكل التلفزيون على حد تعبير الباحثة النفسية «مارى شومباردى لوى» مدرسة موازية تضاف إلى العائلة والمدرسة والجيران، ولم يعد الوالدان يمثلان النموذج بالنسبة للطفل والمراهق، وأصبح بطل المسلسلات التلفزيونية هو القدوة والمثل الأعلى.

وتقول إحصائية ألمانية أن الأب الألماني يمضى ٣ دقائق فى اليوم متفرغاً لولده، بينما يتفرغ لمشاهدة التلفزيون لمدة ٣ ساعات، ومن ثم اعتقد أن الابن (الطفل أو المراهق) قد يتفرغ ضعف هذه المدة! هذا يعنى أن التربية التقليدية التى كانت تقول إن الطفل والمراهق يبني شخصيته عبر ثقافتين الأولى فى المنزل والثانية فى المدرسة تهاوى، فالمنزل أو الأسرة تتخلى عن دورها للتلفزيون الذى يقوم بدور الوالد والأخ الأكبر لملايين الأطفال والمراهقين، ولعل هذا ما دفع أحد العلماء إلى القول إن الجيل الجديد ينشئه ثلاثة آباء: الأم والأب والتلفزيون.

وتقول الباحثة الكندية «K. Taggart»: إن القيم التقليدية التى تبها الأسرة فى الأطفال آخذة فى الضمور والاضمحلال لتحل محلها قيم تلفزيونية.

وبذلك فإن عملية التشعة الاجتماعية التى يقوم بها الوالدان، وهى من أهم وظائفهما، إلا أن التلفزيون أصبح له دوره فى مجتمعنا من خلال نقل القيم

الثقافية والعادات والتقاليد إلى الأطفال والمراهقين في الأسرة، وساعد في ذلك ما اكتسبه إياه من مكانة؛ فقد قل عدد الساعات التي يقضيها الوالدان مع أطفالهما؛ فبعد أن كان الطفل ينام على حكايات وقصص الأم أو الجدة أصبح ينام وهو يشاهد التلفزيون وبرامجه، التي تحمل له غالباً قيماً وعادات وتقاليد لا تستطيع الأسرة التحكم في مضمونها ولا في مشاهدة الأطفال لها؛ فمعظم الأسرة قد تنازلت أو استقلت من بعض أدوارها في التنشئة الاجتماعية لهذا الجهاز الجديد «التلفزيون»، وفقد الآباء قدرتهم على توجيه الأبناء وملت زمام التلاميذ من أيدي المعلمين؛ فأصبحوا عاجزين عن تعليمهم مبادئ الأخلاق والقيم والسلوك الاجتماعي المقبول، وفقد علماء الدين قدرتهم على شد انتباه الجماهير والتأثير في عقولهم ووجدانهم.

مما سبق يتضح أن التلفزيون يعتبر أهم المؤسسات الثقافية والاجتماعية في المجتمع، حيث إنه يسهم إسهاماً كبيراً في تكوين اتجاهات وقيم الإنسان عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية، كما أنه أداة فعالة في تغيير هذه القيم والاتجاهات والاستعداد للعمل عند الفرد.

وخلاصة القول، إن بناء المجتمع يعمل من خلال مؤسساته المختلفة على استيعاب الأفراد لقيمه ومعاييره، بما يجعلهم أكثر ملاءمة وقابلية للحياة مع الآخرين في المجتمع، وبما يساعدهم على القيام بأدوارهم الاجتماعية المتباينة بعد تأهيلهم لها، وتغير أساليب تنشئة الطفل عادة لتوافق التغير الحادث في الأنساق المتباينة المحيطة بالفرد؛ حيث تلعب الأنساق الاجتماعية دوراً هاماً في تشكيل أساليب التنشئة وتعديلها، فهناك عوامل أيكولوجية اقتصادية سياسية دينية تؤثر في عملية التنشئة، ويظهر التباين في أنماط التنشئة من مجتمع لآخر بل وبين قطاعات المجتمع الواحد؛ وذلك بسبب التغيرات التي تؤثر في قيم التنشئة الاجتماعية سياسية كانت أم اقتصادية في المجتمع، والفاعلية التي تعزى لأي من مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وبيئة العمل، أو بسبب التغيرات التي تحدث في الإطار الاجتماعي، والثقافي العام.

المراهقون والغضب

تتأثر فترة المراهقة مشاعر الإشباع، وكذلك مشاعر الإحباط، ويتمثل الإشباع في أن يكون لدى الفرد معرفة مثمرة ببناء سواء في المجال الفردي أو في مجال المشاعر والعاطفة، وأيضاً في المجال المهني والاجتماعي، ومن جهة أخرى يمكن أن تعثر هذه الفترة حالة من الإحباط، يتمثل في العديد من المشاكل والصعوبات التي يمر بها المراهق خلال هذه الفترة من عمره.

فالمراهقون في حاجة إلى تحسين سلوكهم الجديد ومهاراتهم الاجتماعية؛ وذلك لأن خروج الفرد من عالم الطفولة إلى عالم المراهقة يكون لديه افتراضات جديدة للقيم والذات، يجب أن يواجهها.

إن المراهقين مختلفون عن المجموعات العمرية الأخرى اجتماعياً ومعرفياً وعاطفياً؛ فهم يستحقون تقديراً وتفهماً خاصاً.

إن لكل عمر مشاكل، ولكن مشكلة هؤلاء المراهقين تعتبر مشكلة معقدة إلى حد ما بالنسبة للبنات والأولاد، لكي يتعايشوا معها، فهناك سببان بالنسبة لذلك وهما:

الأول: يمكن أن تحمل المشكلات في مرحلة الطفولة بواسطة الآباء، أو المدرسين وتكون النتيجة هي عدم قدرة المراهقين، وعدم وجود خبرة لديهم للتعامل مع المشكلات بمفردهم.

الثاني: ولكي يحس المراهقون أنهم مستقلون فهم مطالبون بحق التعاون مع مشكلاتهم ويرفضون محاولات التدخل من جانب آبائهم ومدرسيهم ونظراً لعدم قدرتهم على حل هذه المشكلات بمفردهم يحاول العديد من المراهقين العصور على الحلول ولكنهم لا يفلحون ويصطدمون بعدم تحقيق ما توقعوه.

ومن بين المشكلات الانفعالية التي يعاني منها المراهقون الغضب، إن الغضب في مرحلة المراهقة يأخذ شكلاً اجتماعياً؛ فالمراهق لا يغضب مباشرة ولكن يستمر غضبه مدة أطول غير أن مرات حدوثه أقل، فالمراهق أكثر اتزاناً من

الطفل، ويكون تعبيره عن الغضب باخروج من المنزل أو التعبير بألفاظ باطنها الوعيد والتهديد أو العبوس والغيظ الشديد، وقد ينكص إلى تعبيرات طفلية بحركات عصبية أو البكاء الشديد، وينتج الغضب من سخرية ومضايقاة الزملاء أو تحكم الكبار أو الإحساس بالظلم والحرمان.

ومما هو جدير بالذكر أن مسببات الغضب لدى المراهقين تختلف عنها لدى الأطفال، فغالبًا ما تكون أسباب الغضب في مرحلة المراهقة تتعلق بأشخاص أكثر من تعلقها بأشياء، فغالبًا ما يتعرض المراهق إلى نوبات الغضب الناتجة عن النقد والاستفزاز من الآخرين، أو حينما يتعرض المراهق إلى سيطرة أحد الوالدين على تصرفاته أو اختياراته لأصدقائه.

وقد أسفرت نتائج الدراسات التي اهتمت بفحص الغضب لدى المراهقين أن للمدرسة دورًا لا يستهان به في إثارة الغضب لدى المراهق، ويرجع ذلك إلى الضوابط التي تفرضها المدرسة على التلاميذ لاسيما في مرحلة المراهقة فضلًا عن ذلك، فانبثاق دوافع جديدة على نحو واضح وصريح لدى المراهق ورغبته في إشباعها ووقوف المجتمع في وجه هذا الإشباع، بالإضافة إلى اعتزاز المراهق بذاته وعدم شعوره بالرضا لمعاملة والديه له دخل في إثارة نوبات الغضب لديه.

وبعد البكاء أسلوبًا للتعبير عن الغضب، فعلى الرغم من أنه يميز سلوك الأطفال عن المراهقين إلا أن الإناث تتخذنه وسيلة للتفيس في أحيان كثيرة عن غضبهن، وقد يلجأ المراهق الذكر إلى البكاء حينما تتعقد وتتغلق السبل التي يمكن أن يثار عن طريقها لنفسه.

ونجد أن سلوك الصراخ والضرب وقذف الأشياء يتناقص مع تقدم الفرد في العمر، ولكن ليست هذه قاعدة؛ حيث يظل كثير من الأفراد يتبعون هذه السلوكيات خلال سنوات الرشد، ويكون هذا الأسلوب من وجهة نظرهم أسلوبًا لحسم بعض المشكلات.

ونلاحظ مشاعر الغضب والثورة والتمرّد نحو مصادر السلطة في الأسرة والمدرسة والمجتمع، خاصة تلك التي تحول بين المراهق وتطلعه إلى التحرر والاستقلال.

ومعروف أن الغضب من أهم أعراض الحساسية الانفعالية، وأهم مشيرات الغضب هنا شعور المراهق بالظلم والحرمان وإساءة استغلاله، وشعوره أن الآخرين لا يفهمونه أو قسوة الضغوط الاجتماعية عليه، وكثرة المضايقات التي يتعرض لها ومراقبة سلوكه، وعدم تمكنه من تحقيق الاستقلال المنشود وجرح شعوره وكرامته، وكثرة الفشل والإحباط الذي يعتبر من أخطر الأسباب النفسية لاضطراب السلوك.

ويستجيب المراهق للغضب، ويعبر عن الغضب تعبيراً مباشراً في شكل مظاهر حركية متباينة ناتجة كالعُدوان بالضرب والهجوم، ومظاهر لفظية كالصيح والوعيد والتهديد والشتائم، ومظاهر تعبيرية فيبدو عبوساً مقطب الجبين متجهماً الوجه.

وقد يتجه بغضبه نحو نفسه فيلومها لوماً شديداً، وقد يخشى المراهق عواقب التعبير عن غضبه تعبيراً غير مباشر عن طريق الخيال وأحلام اليقظة والعدوان الموجه إلى غير مشير الغضب.

المراهقون والغزو الثقافي

يعرف الغزو الثقافي بأنه كل فكرة أو معلومة أو برنامج أو منهج يستهدف صراحة أو ضمناً تحطيم مقومات هوية الأمة الإسلامية الفكرية والثقافية والحضارية أو التشكيك فيها والخط من قيمتها وتفضيل غيرها عليها وإحلال سواها محلها في الدستور أو مناهج التعليم أو برامج الإعلام والتثقيف أو الأدب والفن أو النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة.

ومن ثم فالغزو الثقافي يكاد يكون أخطر الأسلحة الاستراتيجية والفتاكة في هذا العصر، فإذا كانت الرصاصة تقتل رجلاً فإن الثقافة الغازية قد تقتل جيلاً بأكملها وقد تفتت أمة بأسرها، وكلنا يذكر تجربة الاتحاد السوفيتي، تلك الدولة العملاقة التي سقطت وطوى علمها مع مطلع عام ١٩٩٢ وكانت تحمل على

ظهرها من الأسلحة المدمرة ما كان يكفى لتدمير الحياة فى الأرض مائة مرة حسب تقدير خبراء السلاح فى العالم، ولكنها سقطت بفعل غزو ثقافى سرطانى من داخل الدولة السوفيتية، ودون أن تطلق عليها رصاصة واحدة من الخارج.

ونعنى بالغزو الثقافى، التلقى العشوائى والاستيراد الألى فى اتجاه واحد، إنه التأثير الدعائى المركز والمعتمد فى المتلقى العربى عبر الضخ اليومى لأطنان من المعلومات والإعلانات الفاسدة مع غرس وتعميم الطفرة الاستهلاكية ووضعها على مجمل الوطن العربى بغرض اختراق العقل العربى والوجدان العربى وخلق استجابة فكرية ونمطية سلوكية تنأى بالعرب كأفراد وجماعات من متابعة مشروعهم الحضارى القومى والإنسانى فى الغزو الثقافى.

أما بالنسبة لثقافة العولمة فإنها تعتمد بصورة أساسية على وسائل الإعلام السمعبصرية والتي أصبحت تغطى الكرة الأرضية عبر الأقمار الصناعية واخترقت جميع القارات والدول والعواصم والريف والحضر لتمارس الهيمنة الثقافية فى أحدث صورها وذلك لأسباب ترتبط بالمستجدات التى طرأت على الواقع الثقافى الدولى، ومما يجدر ذكره أن الأدوار التى تقوم بها ثقافة العولمة للهيمنة على العقل الجمعى فى مختلف أنحاء الكرة الأرضية تعد تطبيقاً عصرياً للمنهج الذى اعتمدت عليه الدول الأوربية الاستعمارية. من هنا استخدمت الثقافة كوسيلة لشق الطريق أمام العملية الاستعمارية أولاً ثم ترسيخها ثانياً.

أما بالنسبة لتأثير الغزو الثقافى والعولمة على المراهقين فهى للنقاط التالية:

- (١) التشكيك فى قدرات المراهقين من الشباب المسلم على بناء الحضارة العصرية والتشكيك أيضاً فى صلاحية القيم الإسلامية الحضارية، ونشأ عن هذا الاهتمام بالحضارة الغربية وتعظيم شأنها ثم تقليدها.
- (٢) استعارة نظم التربية والتعليم ونشأ عنها تغير شخصيات الناشئين وسلوكياتهم على نحو لا يتلاءم مع العقيدة الإسلامية وقيمها المختلفة.
- (٣) تقليد الغرب فى عاداتهم وأخلاقياتهم ومعاشراتهم الاجتماعية، ونشأ عن ذلك الابتعاد عن الآداب والقيم الأخلاقية والإسلامية.

(٤) أيضًا من تأثيرها على المراهق ما نراه من مظاهر الغزو الثقافي كرنفال الملابس القصيرة والضيق والمتوع والمثير للفراتز داخل الجامعة، هذا الكرنفال من الملابس المثيرة لحقد الطالبات والطلبة من الفقراء، قد يدفع البعض إلى الانحراف لمجاراة هذا التيار الأوربي والأمريكى فى ارتداء أحدث الماركات العالمية فى العالم.

(٥) الفجوة العميقة بين تجانس وتواصل دور المدرسة والأسرة والجامعة فى العملية التربوية وغياب دور التربية الرسمية إلى حد كبير عن الساحة الأسرية من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية فى أغلب الأسر وبذلك زاد العبء على المدرسة التى هى الأخرى لا تقوم بدورها على الوجه الأكمل لقصور الإمكانيات المادية والفنية والتربوية وبناء عليه باتت كافة المؤسسات تعمل بصورة منفردة وبدون ارتباط ومتابعة؛ مما أضعف صورة الآباء داخل الأسرة، والمدرسين داخل المدرسة، ولعل خير دليل على ذلك ما ينشر فى الصحف يوماً بعد الآخر عن جرائم وحوادث اعتداء الأبناء على الآباء، والتلاميذ على المدرسين.

المراهقون المعرضون للخطر

استخدم هذا الاصطلاح «المراهقون المعرضون للخطر» Adolescents at Risk حديثاً للدلالة على كثير من الفئات التى يتوقع حدوث مشكلات وانحرافات لهم وهم المعرضون لأحداث الحياة السالبة ومنها:

- (١) المراهقون فى البيئات المحرومة ثقافياً والعشوائيات.
- (٢) المراهقون سيمو التوافق الاجتماعى وما يترتب عليه من عدوان وعنف وجناح.
- (٣) المراهقون المدمنون ومتعاطو المواد المخدرة والمدخنون.
- (٤) المراهقون المساء معاملتهم فى الطفولة أو المهملون.

(٥) المراهقون الذين تربوا في دور الرعاية الاجتماعية.

(٦) المراهقون من أسر مفككة.

(٧) المراهقون المساء معاملتهم وإهمالهم من ذوي الحاجات الخاصة.

(٨) المراهقون الموهوبون وتسربوا من التعليم أو لم يستطيعوا التوافق مع بيئاتهم ويعانون من ضغوط ومعاناة أسرية أو مدرسية.

(٩) المراهقون الذين حرموا من التعليم وعملوا في عمر زمني أقل من ١٤ سنة وتعرضوا للإساءة والحرمان أو من كانت نشأتهم ضمن أطفال الشوارع وما يتعرضون له من إساءات.

وفي دراسة «ديكسون ديفيد 1996: Dixon David» عن الموهبة وعلاقتها بالانتحار، أظهرت الدراسة أن حالات الانتحار الفعلى كانت بين الأعلى موهبة.

وفي دراسة «نيومان إيان 1991: Newman Ian» عن ارتفاع مستوى العنف والمخاطرة بين المراهقين في ولاية نبراسكا من سنة (١٩٨٨-١٩٩٠) واشتملت الدراسة على حوالى (١٥٠٠) طالب من (١٧) مدرسة، وقد أظهرت نتائج الدراسة المؤشرات الخطيرة للعنف والمخاطر في مرحلة المراهقة فيما يلي:

(١) سجل غالبية البنين من الطلاب استعمال المسدسات وإطلاق الأعيرة النارية.

(٢) سجل أكثر من نصف البنين الاشتراك في مشاجرات جسدية على الأقل مرة في العام.

(٣) سجل غالبية البنين والبنات تعرضهم للسرقة والتهديد والاعتداء البدنى.

(٤) تعرض كل من البنين والبنات إلى محاولات لممارسات جنسية بالقوة.

(٥) سجلت محاولات انتحارية بدرجة أعلى عنه في السنوات السابقة.

(٦) سجل (٣٥) من البنات، (١٨) من البنين شعوراً باليأس والحزن.

Barbara Sugland and Zaslow martha : 1993

عن التعرض للمخاطر لدى المراهقين والشباب، أظهرت أن المراهقين والشباب في أمريكا أخذوا الفرصة ليصبحوا أفرادًا منتجين في المجتمع ولكن مازالوا معرضين للمخاطر والفتن والسقوط وأطلق على هذه المجموعة «المعرضون للمخاطرة»، أي المعرضون لأحداث الحياة السالبة حيث تنبئ خصائصهم الديموجرافية والفردية والاقتصادية والاجتماعية بتعرضهم مستقبلاً للمخاطر.

وقد أعزى «دان وايس (Dan weiss: 1990) ظهور الميل للانتحار لدى الموهوبين إلى الفشل في إقامة ضبط اجتماعي في سلوك الفرد بشكل يفقده فرديته وبدلاً من توجيه العدوان للخارج يوجهه للذات ويتفق ذلك مع نظرية العقابية عند «فولدرس»؛ حيث تعتبر العقابية الموجهة للذات في قمتها في حالة الانتحار.

وقد اعتقد «إريكسون (Erikson: 1977) أن الانتحار لدى المراهقين يرجع إلى فقد الثقة بالنفس والتأثير المدمر لمشاعر الذنب الوهمية في الطفولة، وطبقاً لوجهة نظر إريكسون فإن الجزء السالب من الصراع في كل مرحلة يبنى على المرحلة السابقة لها.

وبلخص «وايس» العوامل المساعدة على انتشار الانتحار لدى المراهقين الموهوبين والتي تحتاج إلى تدخل إرشادي فيما يلي:

(١) الاكتئاب.

(٢) عدم الشعور بالأمن.

(٣) اضطراب الهوية.

(٤) اضطراب التواصل اللفظي.

(٥) الإحباطات.

المراهقون وآباؤهم

إن فترة المراهقة الطبيعية تتميز بتغيرات انتقالية وضغوط تتضمن البلوغ وضغط الأنداد وتغير الاحتياجات الأكاديمية والاجتماعية وتوقعات تنمية الشعور بالاستقلال لديهم، أى إن جميع المراهقين لا يمرون بفترات ثورة أو ضغوط.

فالمراهقة هى مزيج من شىء ونقيضه، أو مزيج من شىء فى سبيله إلى الخلع والفاء وهى الطفولة ونقيضه فى سبيله للنماء وهو الرشد، وهى الميلاد الوجودى للكائن البشرى؛ من حيث إنه يسمى لأول مرة لإثبات ذاته فى مواجهة الذات الأخرى.

إن أساس الاضطرابات النفسية والعصبية لدى الشباب والمراهقين لا ترجع فقط إلى تعرضهم لأزمات أو صدمات نفسية، بل ترجع أيضاً إلى مشكلات بسيطة يواجهها المراهق كل يوم.

فسنوات المراهقة هى سنوات التحول والتغير؛ فالمراهقون يواجهون العديد من تحديات التطور، وتغيرات معرفية واجتماعية؛ فالتغيرات الاجتماعية مثل الانتقال من المدرسة الابتدائية إلى المدرسة الثانوية؛ حيث يعتقد البعض أن هذه النقطة نقطة تحول فى حياتهم، أما التغير الإدراكى فهو التغير فى اكتساب القدرة على التفكير، ويتضمن التغير الفيزيائى العديد من التغيرات الهرمونية والبيولوجية التى تحدث فى الجسم.

كذلك يحدث الاهتمام المتدرج بالجنس الآخر، ويرجع ذلك للتغير البيولوجى والاجتماعى، وعادة يكون المراهق متناقض المشاعر؛ حيث يسيطر عليه الكبار، وهو فى نفس الوقت يحتاج إلى إرشادهم وتوجيههم، ويختبر المراهق نمط السلطة ليرى إلى أى حد يمكنه أن يذهب؛ فهو يحتاج إلى حدود ليشعر بالآمال، وتقلبات المزاج لديه شائعة، وأحياناً لا تستطيع قوى الضبط الداخلى أن تتكيف مع النزعات الغريزية المتزايدة؛ فقد يحدث السلوك الجنسى الفاضح أو نوبات العدوان أو الشره للأكل، ويخاف المراهق من هذا الفقد للسيطرة فيحاول أن

يحصن نفسه بميكانيزمات دفاعية؛ فيصبح مثلاً مفرطاً فى ممارسة الرياضة، الأنشطة الاجتماعية، القراءة والتفكير والمناقشة، ... إلخ.

إن الأبناء فى عمر المراهقة لا يتفقون مع أسلوب تفكير الآباء وحياتهم، والآباء الذين لهم أبناء فى عمر المراهقة يكثرون من الإلحاح على أبنائهم من أجل إنجاز أهداف معينة.

فالأبناء فى عمر المراهقة يحبون أن يتصرفوا كرجال مهما كانت النتائج؛ لأن ذلك يحقق لهم الإحساس بالتحدى بينما الآباء يصرخون فى وجوه الأبناء مطالبين بضرورة النظر إلى الواقع واحترامه حتى يأتى المستقبل جميلاً.

والأبناء سرعان ما يتحولون إلى آباء ليأتيهم أبناء جدد يتمردون ويلج الآباء على الأبناء الجدد، لكن الأبناء الجدد يسلكون درب التصرف كالرجال؛ فالوالدان نادراً ما يمنحان التقدير الكافى لقدرات أبنائهم المراهقين.

والمراهقون يقضون وقتاً أقل مع الأشقاء بالإضافة إلى أفراد العائلة الآخرين وذلك بسبب إحساسهم بالاستقلال، وأنهم ليسوا فى حاجة إلى توجيه من أحد، ولكن فى بعض الحالات قد يصبح الأشقاء أفضل من الأصدقاء.

والمراهقون أذكاء ويزدادون ذكاء كل يوم؛ حيث يختبرون الكبار المحيطين بهم «آباء - مدرسين - ... إلخ، ليعرفوا إذا ما كانوا يجارونهم فى الحياة العصرية، وكذلك يختبرون صبرهم وذكاءهم.

وينبغى علينا أن نفهم أننا نعيش أوقاتاً تثير ضغوطاً لدى المراهقين؛ فسنوات المراهقة تمثل وقتاً لأزمة حقيقية لبعض المراهقين لا يمكن السيطرة عليها والتي قد ينتج عنها: التحرش الجنىسى، التدخين، الإدمان، التطرف، ارتكاب الجرائم، ... إلخ وأحياناً إيذاء النفس والذى يصل فى بعض الأحيان إلى الانتحار، وقد يسبب ذلك للآباء شعوراً عاماً بالهم والكرب؛ فغضب المراهقين المرتبط بالعنف هو نتيجة أطفال لم يتم الاستماع إليهم فى منازلهم أو مدارسهم.

لذا ينبغي على الآباء طلب المساعدة المتخصصة من (الأطباء النفسيين - الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين) إذا كان المراهق يقوم بمشاجرات، يخرق القواعد، يسرق، يدخن، يدمن المخدرات، يكذب، يضرب، يؤذى الحيوانات، يهدد الأصدقاء أو الغرباء لفظياً، أو عبر الإنترنت باستخدام المخططات.

المراهقون والشعور بالوحدة النفسية

الشعور بالوحدة النفسية مشكلة قائمة للعديد من المراهقين والراشدين من الشباب، وذلك على الرغم من نشاط وحيوية الشباب؛ ففي المجتمع الأمريكي على سبيل المثال يشكل الشعور بالوحدة النفسية مشكلة رئيسية، وقد أثبتت نتائج العديد من الدراسات المسحية أن الأغلبية العظمى من الشعب الأمريكي تعاني من الشعور بالوحدة النفسية في وقت أو آخر، وأن ١٥٪ يعانون من الوحدة النفسية في جميع الأحيان وأنه على الرغم من أن الفئات العمرية الأخرى مثل كبار السن يمرون بالشعور بالوحدة النفسية إلا أن المراهقين على وجه الخصوص أكثر عرضة للشعور بالجزلة والوحدة.

حيث يمثل الشعور بالوحدة النفسية مشكلة رئيسية للمراهقين من الجنسين، خاصة العاجزون منهم على الانفتاح وتكوين علاقات حميمية وناجحة مع الآخرين، والاحتفاظ بالصدقات والروابط المتينة حيث إنهم يعتبرون سندا وجدانياً ومقوماً أساسياً من مقومات الصحة النفسية بصفة عامة، وكذلك الذين يتسمون بالسلبية والغجل الشديد، وما يؤدي إليه هذا الشعور من أعراض الاكتئاب، والقلق، والعدوانية، وتدمير الذات، وفقد الثقة بالنفس وتدمير العلاقات الاجتماعية.

من هنا تعد مرحلة المراهقة من أكثر المراحل تعرضاً للشعور بالوحدة النفسية وذلك لأن مهام التطور الرئيسية والتي تتطلب انفصال المراهقين عن التعلق بالآباء، وتكوين علاقات جديدة مع أفراد من نفس سنهم وجنسهم أو الجنس

الآخر أو جماعة الرفاق، وافرزات هذه العملية تولد الشعور بالعزلة والوحدة النفسية، هذا وللتطور الطبيعي لأنماط العلاقات المبكرة أثره الإيجابي على الاتجاهات النفسية، بينما العلاقات المضطربة، تنتج عنها علاقات تتسم بالتحفز والدفاعية والقلق والتوتر وغيرها من الاضطرابات النفسية.

وخلال السطور التالية سوف نتناول الآتي:

(أ) مظاهر وأعراض الشعور بالوحدة النفسية في مرحلة المراهقة:

(١) المراهقون دائماً يلجأون للانسحاب من المواقف الاجتماعية مع الآخرين لتجنب المواقف الإحباطية التي يعتقدون أنهم مستهدفون لها، وكذلك تقدير المراهق المنخفض لذاته أو لمفهوم الذات السلبى والشعور دائماً برثاء الذات والفتور واللامبالاة وتلك مقدمات للشعور بالوحدة النفسية.

(٢) شعور المراهق بالحزن وعدم الانسجام مع من حوله وعدم التقبل الأسرى، وفقدان الشعور بالحب والاهتمام والثقة بالزملاء، والشعور بالنبذ والرفض من الآخرين.

(٣) ويرتبط الشعور بالوحدة النفسية في مرحلة المراهقة بشعور المراهق بأنه غير محبوب من الناس وأنه عاجز عن الدخول في علاقات اجتماعية قوية مع غيره، ويفضل أن يوجد بمفرده أكبر وقت ممكن مع شعوره بالغجل والتوتر فى وجود الآخرين ولا يتفاعل معهم بشكل إيجابى ومقبول وهو لا يثق بنفسه، ولا يقدرها حق تقديرها وغالباً ما يشعر بالوحدة حتى فى وجود الآخرين، والإحساس بأنه ليس على قرب نفسى منهم، والإحساس بالغرابة والعزلة الاجتماعية ولوم الذات، ونقص فى الأهداف والطموح، وابتعاد الذات عن الآخرين.

(٤) ومن جهة أخرى نجد أن المراهقين الذين يعانون من الشعور بالوحدة النفسية يتميز أداؤهم بالتحيز وعدم التفاعل السليم مع دورهم فى المشاركة، أى مع الدور الذى يفرض عليهم أو يتعرضون له، وعلى الرغم من كونهم قادرين

على الاستجابة الصحيحة، إلا أنهم لا يعبرون عنها ويفضلون الاحتفاظ بها لأنفسهم.

(٥) ومن يعاني من الشعور الحاد بالوحدة النفسية يكون أكثر اضطرابات وتحفزاً ويتأهبهم اللامبالاة نتيجة العجز والقصور في المهارات الاجتماعية، ومهارات الاتصال والتعبير، والعزلة الاجتماعية؛ حيث يفتقد هؤلاء الأفراد إلى وسائل الاتصال الإرسالي؛ وذلك لأنهم مستقبلون فقط.

(٦) المراهقون الذين يعانون من الشعور بالوحدة النفسية يعانون من عدم القدرة على كشف أفكار ومشاعر الآخرين؛ مما يؤثر على نمو العلاقات والحفاظ عليها بصورة طبيعية؛ حيث إن هناك ارتباطاً بين مدى متانة العلاقات مع الآخرين والشعور بالوحدة النفسية؛ حيث وجد أن من يعانون من هذا الشعور لديهم عدد أقل من الصداقات، وأقل قرباً للآخرين.

(٧) ويرتبط الشعور بالوحدة النفسية بإحساس المراهق بأنه وحيد ومنعزل عن الآخرين وغير قادر على التواصل الإيجابي معهم، كما يوجد لديه شعور بالنقص، وعدم الثقة بالنفس، والتمركز حول الذات، والافتقار للمهارات الاجتماعية، وغير قادر على الثقة بالآخرين، ودائم الانفراد بنفسه دون اختيار منه، مع الشعور المرتفع باغتراب الاجتماعى، كما يكون لديه بعض الأفكار غير العقلانية التي ينسب إليها شعوره بالعجز والفشل فى معظم المواقف التي تواجهه.

(٨) ومن المظاهر السلوكية للشعور بالوحدة النفسية:

* افتقاد مهارات الأنا التي تضمن للفرد إمكانية مواصلة الانخراط فى علاقات اجتماعية والاندماج فى النسق الاجتماعى.

* فقدان المراهق لهويته إلى درجة يصبح فيها غريباً أو مفترقاً عن ذاته وعن رفاقه.

* خلو حياة المراهق من العلاقات المتبادلة مع الآخرين.

(ب) أسباب الشعور بالوحدة النفسية في مرحلة المراهقة:

الشعور بالوحدة النفسية في مرحلة المراهقة لا يأتي فجأة لكنه محصلة لبعض الإحباطات والصعوبات أو الصراعات الشديدة التي هيمنت على حياة المراهق النفسية، ومن هذه الأسباب:

(١) وجود خلل وظيفي في التفاعل الأسرى ومع الأصدقاء مثل: انفصال الأب والأم أو موت أحدهما، انفصال الأبناء عن بعضهم، عدم وجود الرعاية الأسرية الطبيعية، الافتقار إلى وجود أصدقاء وعدم القدرة على اكتساب أصدقاء؛ مما يجعل المراهقين عاجزين عن إقامة علاقات ناجحة أو حميمة مع الآخرين مما يشعرهم بالعجز والفشل ويتسبب في الانطواء والعزلة والمعاناة من الشعور بالوحدة النفسية.

(٢) عدم إشباع حاجات المراهق إلى عقد علاقات الفهم وتحقيق الشعور بالانتماء والحب من جانب الآخرين أو التعرض للحرمان من تكوين علاقات طيبة ناجحة مع الآخرين أو مع من حوله.

(٣) ويرى (Rong R) أن الشعور بالوحدة النفسية لدى المراهقين ربما يرجع إلى الانفصال عن الآباء أو التغييرات النمائية في مرحلة المراهقة، والضغط الخارجي على المراهق، وربما للخصائص الفردية والارتباط بالوالدين والاتجاهات الوالدية نحو العزلة والأصدقاء.

(٤) يرى البعض أن الشعور بالوحدة النفسية يرجع إلى وجود عوامل بيئية متعددة تؤثر على حياة المراهق النفسية والاجتماعية ومنها الجو السائد في المنزل، ما يتعلق بالوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، ما يتعلق بجماعة الرفاق، أو التي تتصل بعوامل بيئية وحضارية خاصة في الحضارات التي تسيطر عليها سمات العصر الحالي، والتي تدفع المراهق إلى الاضطرابات النفسية؛ حيث ينتشر القلق والتنافس والسرعة والتهافت على الماديات؛ فكل ذلك يؤدي إلى الشعور بالوحدة النفسية في مرحلة المراهقة عن أي مرحلة أخرى في حياة الإنسان.

(٥) وقد يرجع الشعور بالوحدة النفسية إلى وجود هذا الشعور لدى أمهات المراهقين؛ مما يدل على أن هناك ارتباطًا قويًا بين شعور الأمهات بالوحدة النفسية ومعاناة أبنائهن من هذا الشعور.

(٦) فى حين يرى (Lunt) أن سبب الشعور بالوحدة النفسية يرجع إلى الحالة الصحية، وطبيعة الظروف والمواقف الحياتية التى يعايشها الأفراد بصفة عامة والتي تمثل ضغوطًا نفسية شديدة عليه وتسبب فى هذا الشعور المؤلم.

(٧) تعرض المراهقين فى مرحلة الطفولة المبكرة للعديد من الصراعات النفسية الشديدة، وخاصة تلك التى تتعلق بقلق الانفصال عن الأم؛ فعندما يواجه المراهقون بعض المشكلات أو الضغوط النفسية فإنه يتحدد لديهم مرة أخرى تلك المشاعر القديمة ويظهر الشعور بالوحدة النفسية.

(٨) ويرى (Adams, G.R.) أن الشعور بالوحدة النفسية يرجع إلى ما يعيشه المراهق من بلبلة وحساسية حول مركزه فيشعره ذلك بأنه فى صراع، فيؤدى ذلك إلى التذبذب والحساسية الزائدة وعدم الاتزان أو الاستقرار وتعذر معها إمكانية التنبؤ بسلوكه؛ مما يؤدى إلى عدم التقبل للمراهق فى الجماعة التى يرتبط بها؛ وذلك نتيجة لافتقاده للمهارات الاجتماعية، وبالتالي يقع فريسة للمعاناة من الشعور بالوحدة النفسية.

(٩) ومن أهم العلاقات الاجتماعية التى يؤدى نقصها إلى شعور المراهق بالوحدة النفسية كل من:

* العلاقات الرومانسية.

* الصداقات.

* العلاقات الأسرية.

* العلاقات العامة مع الآخرين.

(ج) أضرار وعواقب الوحدة النفسية في مرحلة المراهقة:

(١) مما لا شك فيه أن معاناة المراهقين من الشعور بالوحدة النفسية تمثل أزمة نفسية عميقة تهز كياناتهم وتهدد أمنهم واستقرارهم الداخلي؛ فيختل توازنهم النفسي نتيجة لانهايار توافيقهم الاجتماعي، ويترتب على ذلك بطبيعة الحال عواقب وأضرار مرضية تظهر في عديد من أشكال الاضطرابات الانفعالية والمشكلات السلوكية.

(٢) وتكمن خطورة هذا الشعور فيما يتسبب فيه هذا الشعور لصاحبه من حزن وتشاؤم وفقدان للاهتمام واللامبالاة، والشعور بالفشل وعدم الرضا وبإذاء الذات، وعدم القدرة على البت في الأمور، والإرهاق، وفقدان الشهية، وعدم القدرة على بذل أى جهد.

(٣) وجود متغيرات سلبية تصاحب خبرة الإحساس بالوحدة النفسية وترتبط بها، وتتضمن هذه المتغيرات كلاً من الاكتئاب، الاغتراب، الأسى والحزن، الحاجة للألفة الاجتماعية واللامبالاة، التبلد العاطفي، الضغوط النفسية، القلق، الملل النفسي، كراهية الذات، الانعزالية، فقدان المهارات الاجتماعية.

(٤) وتكمن اخطورة في هذا الشعور لما يسببه لصاحبه من عدم القدرة على التفاعل الإيجابي مع الآخرين، والشعور بالنقص، والخط من قدر الذات، ووجود مفهوم سلبي عن الذات، وعدم الثقة بالنفس، والتمركز حول الذات، والافتقار للمهارات الاجتماعية، وعدم الثقة بالآخرين، والاستغراق في أحلام اليقظة ولديه أفكار غير عقلانية، والشعور بالفشل في معظم المواقف التي تهاجمه، ودائم الانفراد بنفسه في معظم المواقف التي تواجهه.

(٥) وكذلك يتضمن الشعور بالوحدة النفسية بعض الأضرار النفسية الأخرى والتي من أهمها فقدان أى هدف أو معنى للحياة، وعدم القدرة على إقامة

علاقات شخصية حميمة ومستمرة مع الآخرين، وفقدان خاصية التواصل العاطفى والفتور الانفعالى.

(٦) والشعور بالوحدة النفسية يسهم ويشارك إلى حد بعيد جداً فى إدمان المراهقين لشتى أنواع الكحوليات؛ وذلك كعملية دفاعية وهروبية من مواجهة تلك المشاعر النفسية القاسية.

كما أن الشعور بالوحدة النفسية فى مرحلة المراهقة قد يؤدى إلى محاولة الانتحار، التى يسبقها الشعور بالاكتئاب والاضطرابات الانفعالية؛ حيث إن الدراسات قد أثبتت أن الانتحار ناتج ضمن عوامل أخرى وعن وجود مشكلات حديثة أدت إلى قطع ما تبقى من علاقات اجتماعية لها معنى والمشكلة الأساسية هى الشعور بالوحدة النفسية والعزلة.

بالإضافة لما يتسبب عن هذا الشعور من حزن وكدر ووحدة وعزلة وإلى اللجوء إلى حل الأزمة عن طريق الانتماء إلى إحدى الجماعات السياسية أو الدينية المتطرفة، وعادة ما يكون نشاط هذه الجماعات هو تغيير النظام القائم عن طريق استخدام العنف؛ حيث تؤدى العضوية فى هذه الجماعات إلى إزالة القلق عن المراهقين عن طريق الشعور بالتوحد مع جماعة منظمة لها إطار مرجعى محدد وواضح فى الوقت الذى يكون فيه شاعراً بالضيق، وإن كان هذا الإطار موجهاً توجيهاً هداماً وليس بناءً.

ويتربط على الشعور بالوحدة النفسية فى مرحلة المراهقة معاناة المراهق لعدد من الأعراض العصائية كالإحساس بالملل والإجهاد، وانعدام القدرة على التركيز، والانتباه، والاستغراق فى أحلام اليقظة، وافتقار المهارات الاجتماعية اللازمة فى تكوين علاقات اجتماعية.

لقد أجمعت العديد من الدراسات التى تناولت الشعور بالوحدة النفسية والمراهقة على أن المراهقين يصبحون عرضة للوقوع فى الكثير من العواقب

النفسية الوخيمة متمثلة في ظهور الأمراض النفسية والعقلية وكذلك الانحرافات السلوكية والاجتماعية.

ويمكن أن يقود الشعور بالوحدة النفسية المراهق إلى التخلّص من حياته أو الإقدام على قتل الآخرين في محاولة مأساوية للهروب أو لجلب الانتباه؛ فالوحدة النفسية لها آثار سلبية كثيرة ومتنوعة تنعكس مباشرة على أداء الفرد في مختلف مجالات الحياة، ويلجأ المراهق إلى استخدام بعض المواد الكحولية والمخدرات والأفيونات والمخدرات النفسية؛ كوسائل للتعايش مع الشعور بالوحدة النفسية.

وبذلك نجد أن الشعور بالوحدة النفسية له انعكاسات خطيرة وسيئة للغاية تطل بظلالها الوخيمة على معظم جوانب الشخصية المختلفة مثل: ارتفاع درجة كل من الاكتئاب، والقلق، والعصائية، والغجل والحساسية الاجتماعية، وإدمان المخدرات، بالإضافة إلى الفشل في العلاقات الاجتماعية، قلة عدد الأصدقاء، وانخفاض مفهوم الذات، وانخفاض مستوى التحصيل الدراسي، وعدم تقدير الذات، وازدياد الأفكار الخاصة بالميل الانتحارية والموت.

المراهقون والقلق والخوف من المستقبل

القلق سمة انفعالية تميز مرحلة المراهقة عن غيرها؛ حيث إنه يتمثل في الخوف من المستقبل وينشأ نتيجة عدة عوامل منها:

١- يصبح المراهق قلقاً حول تحديد المكانة الاجتماعية له في المستقبل، والعمل الذي سيقوم به أو القلق بشأن الخوف من الفشل في الامتحان أو الإقدام على الزواج.

٢- يقلق المراهق كثيراً بشأن التغيرات الجسمية التي تصاحب عملية النمو في مرحلة المراهقة؛ مما يصيبه بالقلق من سخرية الآخرين.

٣- يحدث القلق للمراهق أيضاً نتيجة الفشل في قصة حب مع الجنس الآخر.

والقلق أكثر الاضطرابات النفسية شيوعاً، فهو يصيب ١٠-١٥٪ من الناس ويزداد حدوثه في الفترات الانتقالية من العمر، كالانتقال من مرحلة البيت إلى المدرسة أو من مرحلة الطفولة إلى المراهقة، كما يحدث القلق عند تغير المنزل أو العمل أو ما شابه ذلك، وقد يصاب الإنسان بالقلق كأنفعال طارئ يزول بزوال السبب.

والمجتمع قديماً كان مجتمعاً ساذجاً فطرياً يعرف الناس بعضهم، ويتعاونون معاً في الأحزان والأفراح، أما المجتمع الحديث مجتمع المدنية الصاخب فقد باعد الناس بعضهم عن بعض وأصبح لكل منهم همومه ومشكلاته، وأصبح المراهق المعاصر لا يجد من يشكو إليه قلقه ومشكلاته، ولا يتصور أن يجد من يمد له يد العون لو زلت قدمه وأصابته مشكلة، وبذلك تعاظم الخوف من المستقبل والحذر من الأيام، واهتم الناس بأنفسهم وأصبحوا ماديين يجمعون ويدخرون ولا ينفقون، ومع الخوف من المستقبل والحذر من الأيام نتج قلق المراهق واضطراباته والتوجس والتوجع.

ويرى الدكتور/ عادل صادق أن مشكلة الخوف تبدأ في الطفولة وتزداد تدريجياً حتى مرحلة المراهقة؛ حيث تتفاقم وتصبح مصدر تعاسة حقيقية له وتصبح معوقة له في حياته، وبأخذ الخوف عند المراهق عدة مظاهر منها:

١- الخجل: وينشأ من الحساسية الزائدة بسبب تضخم الذات المثالية، ويتميز المراهق الخجول بشعوره بالضيق عند اجتماعه بالناس، وقد يكون خجله هروباً من الواقع.

٢- الارتباك: وينشأ تعبيراً عن الخوف ويظهر عادة في المواقف التي لا يجد المراهق مخرجاً منها حتى لا يشعر بسخرية الآخرين.

ومن ثم يجب الآتى:

(١) أن نشجع المراهق على أن يعيش يومه بلا قلق أو يخاف من المستقبل لأنه بيد الله.

(٢) أن نذكره بالثمن الفادح الذى يدفعه جسمه نتيجة لقلقه.

(٣) أن نساعدته على أن يدع التفكير فى الماضى؛ فإنه لن يعود، يقول سيدنا «محمد، صلى الله عليه وسلم: وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ لأن لو تفتح عمل الشيطان.

(٤) أن نفرس فى المراهق أن يتدبر الحقائق بعناية قبل صنع القرار، ومتى اتخذ قراراً سليماً، أقدم عليه مستعيناً بالله.

(٥) أن نعلم المراهق ونفرس فيه الرضا بقضاء الله وقدره.

(٦) أن نفرس فى المراهق كيف يغير السلبيات إلى إيجابيات.

(٧) أن نطمئنه بأنه إذا أصابه قلق أو خوف فلا يجزع ولا يأس؛ فقد يكون ذلك ابتلاء من الله تعالى، فعليه أن يصبر وأن يستعين بذكر الله، قال تعالى: «واستعينوا بالصبر والصلاة».

(٨) أن نشعره بأنه ليس وحيداً بل نحن جميعاً معه نشاركه قلقه وخوفه وآلامه وأنه من حقه علينا نحن الآباء والأمهات وكذلك الإخوة والمدرسين أى الكبار المحيطين به بصفة عامة، أن نساعدته فى حل أزماته ومشكلاته النفسية ومعرفة الدوافع والعوامل الكامنة وراءها؛ كى نتمكن من تقديم العلاج الأمثل، أما فى حالة فشلنا نحن الآباء فلا نتركه وحيداً ولكننا نخبره بأن هناك متخصصين فى «الطب النفسى وعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية ... إلخ» ، يمكنهم تقديم العلاج والحل بشكل أكثر فاعلية وكفاءة.

المراهقون وادمان المخدرات

الخمر والمخدرات مواد تسبب مشاكل عديدة في معظم بلاد العالم، وتكلف الدول خسائر بشرية واقتصادية كبيرة؛ لأنها تدمر الإنسان نفسياً واجتماعياً وجسماً وبصورة متزايدة؛ مما جعل من الإدمان مشكلة أولتها الهيئات الدولية والإقليمية أهمية كبيرة ورصدت الأموال وخصصت العقول لدراساتها لمحاولة الوصول إلى حلول تحد من تفشيها وتزايدها المضطرد.

والظاهرة الحديثة والمؤسفة انتشار الإدمان على جميع المواد بين الشباب والمراهقين؛ فقد كتبت مجلة تايم الأمريكية، أن عدداً كبيراً من الأحداث يبدأ بشرب الخمر في سن العاشرة وأن عدداً آخر يصل إلى مرحلة الإدمان في سن المراهقة ويتعاطى المخدرات بالإضافة إلى الخمر، وقد أدى ذلك إلى نشاط أجهزة الإعلام المختلفة في أوروبا وأمريكا لتوعية الشباب بأخطار هذه المواد وسن القوانين وصياغة الاتفاقيات الدولية التي تمنع انتشارها.

ومما لا شك فيه، أن مشكلة انتشار المخدرات وتعاطيها خاصة بين الشباب والمراهقين بما فيهم تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات، وظهر أنواع جديدة من المخدرات غير المخدرات التقليدية المعروفة بالخشيش والأفيون، تتمثل في الهيروين الذي يستخلص بصورة مركزة من الأفيون وكذلك المورفين والكواديين وظهر المنشطات مثل الكوكايين والأمفيتامينات، والقات، وانتشار المهلوسات مثل (L.S.D) وانتشار الميراجوانا.

وتعدد وسائل التعاطى ما بين التعاطى بالفم والشم والحقن تحت الجلد والحقن بالوريد، وانتشار هذه المواد المخدرة في مختلف الأوساط الاجتماعية بدءاً من الأحياء الفقيرة وحتى أعلى المستويات الراقية.

فقد غزت هذه المواد المخدرة صفوف بعض تلاميذ المدارس ومدركات الجامعة واستشرت بين ورش الحرفيين والعمال المهرة والصناع. أدمنها الضابط، والمهندس، والطبيب، والتاجر، فأصبحوا أسرى لهذا الوباء وتطالعتنا الصحف يومياً

بحوادث السرقة- اخطف- الاغتصاب- النصب- الاحتيال- القتل من أجل الحصول على المال للحصول على المخدر.

ومن ثم يصبح الطريق سهلاً وسريعاً أمام المدمن إما للسجن أو الجنون أو الموت العاجل والمؤكد، فإذا ساعدته الظروف على أن يفلت من العقاب، فالجنون هو المرتبة التالية وإذا وصل إلى الجنون فسرعان ما يلاحقه الموت، وهذا هو مصير كل مدمن يعيش منبوذاً محتقراً من أسرته ومجتمعه، ويموت ميتة الكلاب الضالة، وهناك طريق واحد للخلاص من هذا الداء وهو دخول المصحات للعلاج وللإستشفاء ولاستخلاص هذه السموم من دمه وجسده، وهذا يعتمد على الرغبة الصادقة فى العلاج وقطع الصلة بالمخدر طوال الحياة، والبعد عن رفقاء السوء.

وانتشار تعاطى المخدرات بين النشء كشريحة اجتماعية يمثل خطراً على المجتمع أكبر بكثير من انتشار التعاطى بين الكبار؛ لأن النشء هم مستقبل المجتمع؛ فبقدر اتساع الجزء المدمن من هذه الشريحة تكون ضخامة الخطر على المجتمع وتشير نتائج البحوث الميدانية التى أجريت فى جمهورية مصر العربية إلى ما يأتى:

(١) العمر الذى يغلب أن يبدأ فيه التعاطى هو ما بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة (١٥-١٧ سنة) .. ولذا يطلق على هذه الشريحة العمرية «الجماعات الهشة، ويدهى أن هذه الجماعات يجب أن تعتبر الهدف المقصود لبرامج الوقاية الأولية التى تتسم بتحديد الهدف والواقعية والبعد عن المبالغة والتحويل.

(٢) النشء يبدأون خطواتهم الأولى فى التعاطى بمرحلة تسمى المرحلة التجريبية؛ فهم يجربون هذه المغامرة مرة أو بضع مرات، والذى يبقى ويواصل التعاطى منهم نسبة تتراوح بين ٢٥٪ و ٣٥٪.

(٣) أن نسبة تتراوح بين ٢٪ و ١٠٪ ممن لا يتعاطون ولم يجربوا التعاطى هم فى حقيقتهم مستعدون لخوض التجربة إذا أتاحت لهم الفرصة المناسبة.

(٤) المناسبات الاجتماعية التي تدعو إلى تعاطي الحشيش والكحوليات تختلف عن المناسبات الاجتماعية التي تدعو إلى تعاطي المواد المؤثرة على الحالة النفسية «امفيتامينات، باريتيورات ومهلوسات»، الأولى سارة والثانية مناسبات تنطوي على كثير من المشقة النفسية.

وقد أسمت « شريفة غزال وقواق»، الخبيرة بمنظمة التربية والعلم والثقافة الجزائرية، المتعاطين من النشء في الدول العربية «المدمنين الجدد»، وأشارت إلى أن أعمارهم تتراوح بين خمسة عشر عاماً وعشرين عاماً (١٥-٢٠ عاماً)، وأن بداية ظهورهم كانت في الستينات في لبنان بين تلاميذ المدارس الثانوية الأنجلوسكسونية وفي بعض الجامعات... وكان مناخ التعاطي يسوده مفهوم المشاركة والتحرر في أسلوب العلاقات بين الكبار والصغار والرؤساء والمرءوسين وروح المعارضة والتشكيك في سلامة البنى التربوية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ثم انتقلت ظاهرة المدمنين الجدد إلى بعض الدول العربية الأخرى مثل الكويت والقاهرة وتونس والجزائر؛ حيث انتشرت في المدارس الثانوية لاسيما الأجنبية، وقد عللتها الخبيرة بأن مدارس العواصم الأجنبية تستقبل أبناء الدبلوماسيين القادمين من أكثر من ٦٠ دولة؛ حيث يأتي كل منهم بحسناته وسيئاته، ومن السيئات بالطبع تعاطي المخدرات بالإضافة إلى قيام النشء - وخاصة في تونس - بمصاحبة السائحين الأثرياء ومشاركتهم في سهراتهم الحمراء حيث يتم تعاطي المخدرات.

ويعد تعاطي الكحوليات أكثر المواد التي يستخدمها المراهقون، ويمثل مشكلة خطيرة لهم، ويعتبر الخمر المدخل إلى استخدام المواد المخدرة الأخرى، وقد بينت الدراسات أن المراهقين متعاطي الخمر يقلدون سلوك الآباء، أما الماروانا فهي تأتي بتأثير الرفاق.

وتعاطي الكحوليات يثير الاكتئاب حتى في كميات صغيرة فهو؛ ينتج لحظات من الاستمتاع وأيضاً من الحزن، والمراهق المتعاطي للكحوليات لديه مشكلات

مع المدرسة والمجتمع والأسرة، وتتصف أسرة المراهق الذي وقع ضحية تعاطي الخمر بضعف الرقابة الوالدية ووجود علاقات ضعيفة بين الآباء والمراهقين.

وهنا دلالة على أن إدمان الخمر له مكون وراثي، وتركز وجهة النظر النفسية الاجتماعية على سلوك الأسرة ومعاملتها للمراهق، وقد بدأ بعض المراهقين في السنوات الأخيرة بتعاطي عقار (L.S.D) وبعض المنبهات التي تزيد من نشاط الجهاز العصبي المركزي ومن بينها الكافيين والنيكوتين والأمفيتامين والكوكايين، وعادة ما تتكون عادات التدخين خلال المراهقة وتعتبر الكحوليات والمهدئات مخفضات للنشاط والحوية وهي مخدرات تهبط الجهاز العصبي المركزي ووظائف الجسم والسلوك.

وتعميقاً على ما سبق، تؤكد البحوث أن تعاطي المخدرات يسود بين الأبناء بأكثر من عشرة أمثال ما يدور بخلد الآباء، وبالإضافة إلى ذلك يعرف الكثير من الطلاب أن آباؤهم لا يدركون المدى الذي وصل إليه تعاطي المخدرات، ونتيجة لذلك فإن بعضهم يعتقد أن بإمكانهم تعاطي المخدرات وهم في مأمن.

وكثيراً ما لا يدرك مديرو المدارس ومعلموها أن بعضاً من طلابهم يتعاطون المخدرات ويبيعونها داخل جدران المدرسة، وكما يذكر «رالف أيجرز»، وهو مشرف سابق على المدارس في ساوث بورتلاند بولاية «مين»: «إننا نحب أن نتخيل أن أبناءنا لا يواجهون هذه المشكلة، غير أنه من الممكن أن يكون أذكى طالب ممن ينتمون إلى أفضل الأسر في المجتمع يواجه هذه المشكلة بالفعل!!».

وتقول الحقائق إنه:

(١) لا يقتصر تعاطي المخدرات على المراهقين والشباب في مناطق جغرافية معينة أو من خلفيات اجتماعية بعينها، وإنما يمس الشباب في كافة أنحاء البلاد.

(٢) لا تعتبر المخدرات مشكلة خطيرة فيما بين طلاب المدارس الثانوية فقط، وإنما فيما بين طلاب المدارس المتوسطة والابتدائية أيضاً، وكثير من هذا ناجم عن ضغط الزملاء.

(٣) ذكر ٣٥ في المائة من طلاب الصفوف العليا بالمدارس الثانوية أنهم يفرطون في تناول الخمر، وهو ما يعرف بتناول خمسة أقداح أو أكثر في المرة الواحدة، بينما ذكر ثلثاهم أنهم يتناولون الخمر بشكل عرضي.

(٤) تعتبر كافة المخدرات غير المشروعة خطرة؛ فليس هناك ما يعتبر تناولاً مأموناً أو مستولاً للمخدرات غير المشروعة.

(٥) على الرغم من أن البالغين يسيطرون على الإتجار في المخدرات، فإن المصدر المباشر للمخدرات بالنسبة لمعظم الطلاب هو طلاب آخرون.

وعلى الرغم من أن دراسة على المستوى القومي أجريت عام ١٩٨٨ على طلاب الصفوف العليا بالمدارس الثانوية تبين أن تعاطى المخدرات أخذ في التناقص بين الشباب، فلا تزال الأرقام مرتفعة بشكل غير مقبول، ولا يزال معدل تعاطى المراهقين للمخدرات في الولايات المتحدة أعلى عنه في أى دولة أخرى في العالم الصناعى، فعند التخرج من المدرسة الثانوية يكون ٥٤ في المائة من طلاب الصفوف النهائية بالمدارس الثانوية قد جربوا مخدرًا ما غير مشروع، والكحول - كما سبق وأن ذكرت - هو أوسع المخدرات تعاطيًا، فمن بين الطلاب الذين وصلوا إلى السنة النهائية من التعليم الثانوى في عام ١٩٨٨ كان ٩٢ في المائة منهم قد تعاطوا الكحوليات.

وهيأيلي بعض الأمثلة الواقعية لمراهقين في قبضة الإدمان؛

● **جارك من كاليفورنيا..** (اكتشفت بعد فوات الأوان أن ابني وابنتي اللذين لا يزالان في المرحلة الإعدادية قد أدمننا تعاطى الأمفيتامينات وعقار (L.S.D) .. أخذ سلوك ابني يزداد عدوانية وتقلبًا؛ فهو يتفجر بالغضب لأتفه سبب، ويحفر في الحائط حفراً كبيرة، ثم ينسحب متسللاً إلى غرفته الشبيهة بالكهف والمزينة باللوحات التي تمثل الموت.. وكان من الواضح أنه يعاني من آلام شديدة ومن الوحدة. كنت أشعر بالخوف منه والخوف عليه... وكانت أخته هي الأخرى تنسج

على منواله وتزداد بالتدريج عدوانية، وتحفر أسماء جماعات الروك على يدها بشفرات الخلاقة... وتضع على وجهها أطنانا من المساحيق وكأنها تبصق في وجه أسرتنا.

* **توم من ميريلاند..** بدأت أتعاطى المخدرات عندما كانت سنى تسعة أعوام... تعاطيتها لمدة خمسة أعوام إلى أن أدخلنى والدى برنامجا للعلاج منها، وكانت المخدرات التى تعاطيتها هى الماريجوانا والمشروبات الكحولية والحشيش، والمهبطات وعقار (L.S.D)، والأفيون كما كنت أستشق البنزين، وأنواع الإيروسول.

* **حكاية مضحكة مبكية من مصر...** صعد لفيف من الشباب المدمن إلى سطح جبل المقطم المطل على القاهرة .. وراحوا يتناولون تذاكر الهيروين... وبعد أن أخذتهم نوبة الإدمان اللعينة تخيلوا أنهم مُصلحون اجتماعيون.. وعليهم أن يغيروا كل شيء فى المجتمع ويخلصوه من رذائله وأدائه... وأن على أفراد المجتمع الذين يعيشون تحت سطح جبل المقطم أن يصعدوا إليهم تائبين نادمين على ما اقررت أيديهم من آثام وشرور.. وظلوا يتصايحون .. ويهددون هذا المجتمع الكافر الجاحد.. حتى أمسكت بهم قوات الشرطة عند الصباح.

ومشكلة الإدمان والمدمنين لا يزعم أحد أنها قد نشأت من فراغ، إنها مشكلة لها أسبابها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية والأخلاقية؛ مما يتطلب استراتيجية شاملة لمواجهة ما يترتب على الإدمان من دمار؛ إن تذكرة الهيروين عندما تتسلل إلى مخ أى إنسان مدمن، فهى تمسح كل ما فى ذهنه، ولنا أن نتصور ما يترتب على هذا؛ فالهيروين كما يشير الأستاذ الدكتور/ أحمد عكاشة -أستاذ الطب النفسى- هو العقار الوحيد الذى يلغى الوازع الأخلاقى فيجعل المدمن يقوم بسرقة أهله، بل وممارسة الجنس مع محارمه؛ بحيث يصبح سلوكه فى مجمله غير سوى، يستوى فى هذا المدمنون من الرجال الذين تبلغ نسبتهم بالقياس إلى نسبة المدمنات من الفتيات والنساء ٩٢٪.

وأَسباب الإدمان تبدو فردية عند تناول كل حالة على حدة، لكن هذا لا يجب أن يخدعنا، فيغيب عن بالنا أن الظروف الاجتماعية العامة تشمل وتحدد سبباً عامّاً للإدمان، والظروف الاجتماعية مدت في عمر الطفولة إلى سن ٣٠ سنة، وجعلت الشباب يفقد الثقة في الحياة، وانفجرت الأسرة المصرية إلى القدوة، غاب الوالدان وأصبح التأثير في الصبي والشاب والشابة للأقارب والمعارف، وانتشار المظاهر الدينية من ملابس وغيرها لم يخف قلة الوازع الديني والفشل الدراسي والبطالة واخفاق المجتمع في امتصاص طاقات الشباب، ولم يكن الإدمان بأنواعه إلا المهرب والملجأ من كل ذلك.

- وخلال السطور التالية - عزيزي القارئ - سوف نتناول النقاط التالية بشيء من الإيجاز:

(١) ماذا يقصد بالخدرات؟

(٢) ما هو الإدمان؟

(٣) أنواع الخدرات والمسكرات.

(٤) كيف تعرف أن ابنك المراهق أصبح مدمناً؟

(٥) لماذا يدمن المراهقون؟

(٦) ماذا تفعل الخدرات بالمراهقين؟

(٧) كيف نجنب مراهقينا تعاطي الخدرات؟

(٨) وللمراهق أقول... الخدرات محرمة شرعاً؟

(١) ماذا يقصد بالخدرات؟

الخدرات عموماً، وفي أي صورة من الصور، هي كل مادة طبيعية أو مستحضرة في المعامل من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية والصناعية الموجهة أن تؤدي إلى حالة من التعود والإدمان يضر بالصحة الجسمية والنفسية والاجتماعية للفرد والجماعة على السواء.

نقول ذلك لأن بعض المواد المخدرة أو المواد الفعالة التي تحتويها، تستخدم فى علاج بعض الأمراض، كما تستخدم لتسكين بعض الآلام الجسمية، أو فى العمليات الجراحية بقصد التخفيف أو منع الألم المصاحب للجراحة فى العمليات، وهذا الاستخدام مقبول ومفيد لأنه يتم بواسطة الأطباء والمشتغلين بالدواء بطريقة علمية ومحسوبة حساباً دقيقاً، أين ومتى وكيف وفى أى الحالات وبأى كمية يمكن معها استخدام المواد المخدرة، وفى هذه فقط لا خوف من استخدام المواد المخدرة؛ حيث الأمان من الوقوع فى مخالف التعود والإدمان.

أما فى غير المجال والإشراف الطبي، تستخدم هذه المواد بقصد تحقيق حالة وهمية زائفة من النشوة والسرور والنشاط الجنسى أو القدرة على العمل، والبعض قد ينزلق فى مخالف المخدر كنتيجة لمحاولات بدائية فى التطبيب الشعبى لعلاج بعض الأمراض أو تخفيف بعض الآلام، كما هو معروف بين العوام والفقراء من الناس فى استخدام الأفيون لوقف الإسهال أو تخفيف آلام الأسنان أو غيرها.

هذا الاستخدام البعيد عن الإشراف الطبي هو الذى يقود إلى الوقوع فى حالة الإدمان أو التعود وما يترتب عليها من أضرار.

(٢) ماهو الإدمان؟

اتفقت لجنة خبراء المخدرات التابعة لهيئة الصحة العالمية على تعريف الإدمان

كما يلى:

إدمان المخدرات هو حالة تسمم دورية أو مزمنة تلحق الضرر بالفرد والمجتمع، وتنتج من تعاطى عقار طبيعى أو مصنع، والمدمن: (هو شخص يستخدم العقاقير المخدرة استخداماً قهرياً بحيث يذهب بصحته ويفقده القدرة على ضبط النفس بالنسبة لحالة الإدمان).

ويمكن توضيح خصائص الإدمان فى النقاط التالية:

- (١) رغبة أو حاجة قهرية للاستمرار فى تعاطى العقار والحصول عليه باية وسيلة.
- (٢) ميل إلى زيادة الجرعة المتعاطاة من العقار.

(٣) اعتماد نفسانى وجسمانى بوجه عام على آثار العقار المخدر.

(٤) تأثير ضار مؤذ للفرد والمجتمع.

ويقصد بالميل إلى زيادة الجرعة المتعاطاة تناقص تأثير نفس الجرعة من المخدر الذى اعتاد عليها المدمن فى فترة من الزمن؛ مما يدفعه إلى زيادة الجرعة لتحقيق نفس التأثير السابق.

ويقصد بالرغبة الغلابة أو الحاجة القهرية ذلك الدافع القوى الذى يدفع بالمدمن إلى معاودة تعاطى المخدر الذى اعتاد عليه.

أما عن الاعتياد النفسى والجسمى فيقصد به حالة التغير النفسى والجسمى الناشئة عن التعاطى المتكرر، والتي تفرض ضرورة الاستمرار فى التعاطى لتفادى ما يسمى بأعراض الامتناع وهى أعراض معينة شديدة الألم يصعب احتمالها، وتبدو واضحة بديكاً ونفسياً، مما يضطر المتعاطى إلى معاودة التخدير لإزالة تلك الأعراض المؤلمة.

ويقصد بالتأثير الضار للفرد والجماعة نوعان من الضرر:

أولهما : الضرر البدنى الذى يصيب أجهزة الجسم المختلفة وخاصة الجهاز العصبى.

وثانيهما: الضرر النفسى والاجتماعى الذى يتمثل فى اضطراب الشخصية والسلوك والعلاقات الاجتماعية والنشاط الاقتصادى.

أما بالنسبة لعالية الاعتياد على المخدرات فتعرفها لجنة خبراء المخدرات كما يلى:

والاعتياد على تعاطى المخدرات هى حالة تنشأ من تكرار تعاطى عقار مخدر.

وتتمثل خصائص الاعتياد فى الآتى:

(١) رغبة ولكنها قهرية فى الاستمرار فى تعاطى المخدر من أجل الإحساس بالراحة والانتعاش اللذين يعثهما المخدر.

(٢) ميل قليل وقد لا يوجد لزيادة الجرعة المتعاطاة من المخدر.

(٣) وجود اعتياد نفسى إلى حد ما على آثار المخدر ولكن لا يوجد اعتياد جسمى.

(٤) تأثير ضار بالفرد أولاً وقبل كل شىء.

وبالنسبة لحالة الاعتیاد فهناك عدة اعتبارات كشفت عنها الدراسات العلمية المختلفة يجب أخذها فى الاعتبار حتى لا نخدع ونقع فى برائن التخدير بحجة أن المتعاطى متعود فقط وليس مدمناً، وتتلخص هذه الاعتبارات فيما يلى:

(١) أن هناك فروقا جوهرية بين المخدرات من حيث المادة الفعالة الموجودة فى كل منها؛ فبعضها شديد التأثير بحيث يودى بأسرع ما يمكن إلى حالة الإدمان، كما هو الحال فى الأفيون ومشتقاته كالمورفين والهيريون والكوكايين وبعضها أقل تأثيراً، كما هو الحال فى الحشيش وبعض العقاقير المصنعة.

(٢) أن حدوث حالة الإدمان ترتبط كذلك بشخصية المتعاطى ومدى استعداده للارتباط بالمخدر، ويتوقف ذلك على مدى نضج الشخصية ومقدار ما تعانیه من مشقة وكدر وهم واكتئاب واحباط، ومن ثم يحدث الإدمان لدى المستعدين أكثر منه بين غير المستعدين.

(٣) إن المتعاطى فى موقفه واتجاهه نحو المخدر قليل التأثير غالباً ما يتقبل بعد فترة من تعاطى هذا المخدر إلى مخدر آخر أقوى تأثيراً، ولذلك قد نجد انتقال المتعاطى من تناول الحشيش إلى تناول الأفيون أو أحد مشتقاته، ومن ثم يقع حتماً فى الإدمان، ويحدث ذلك بعد فشل الزيادة فى جرعة المخدر الأول فى إحداث الأثر المطلوب.

لهذا نقول بأنه ليس هناك أى قدر من الأمان فى تعاطى أى نوع من المخدرات بعيداً عن الإشراف الطبى؛ ذلك أن الإدمان يحدث نتيجة للاستعداد النفسى لدى شخصية المدمن، أو يحدث نتيجة للتغيرات الفسيولوجية والبيولوجية الكيميائية فى الجسم الإنسانى وخاصة الجهاز العصبى، والتى تقتضى ضرورة الاستمرار فى التعاطى، أى الإدمان عليه.

(٣) أنواع المخدرات والمسكرات:

(أ) أنواع المخدرات:

تنقسم المخدرات إلى مخدرات طبيعية ومخدرات تخليقية.
والمخدرات الطبيعية، هي التي تؤخذ من بعض النباتات كالحشيش والقات،
وشجرة الحشيش والكوكايين.

والمخدرات التخليقية، هي التي تحضر بطريقة كيميائية وتؤثر على الأجهزة
العصبية وتنقسم إلى الآتى:

* المواد المنومة.

* المواد المدلفة.

* المواد المنبهة.

* المواد المهلوسة.

(ب) أنواع المسكرات:

وتختلف أنواع المسكرات بطريقة تحضيرها فمنها الكحول الميثيلي ومنها
الأثيل، أما الميثيل (السبرتو) فهو شديد الخطورة؛ إذ يؤثر تأثيراً شديداً على أطراف
الأعصاب ويؤدى إلى التهاباتها المختلفة، ويشعر المدمن بالآلام شديدة فى الأعصاب
وتصيب هذه الأنواع شبكية العين وتؤدى إلى فقدان النظر.

أما الأثيل : فأنواعه مختلفة وتركيزاته مختلفة كذلك، ولكن كل هذه الأنواع
والتركيزات لها تأثيرها الضار على الكبد والجهاز العصبى والجهاز التناسلى.

وتختلف المخدرات والمسكرات فى طريقة تأثيرها على الأجهزة العصبية حسب
نوعها وكميتها وطريقة دخولها إلى جسم الإنسان؛ فهناك الطريق الهضمى عن
طريق الفم وهناك طريق الاستنشاق إلى الرئتين وهناك طريق الحقن فى الوريد.

وبصفة عامة يمكن القول بأن هناك حالة من عدم الوعى العام بمعلومات
واقية عن المواد المخدرة التى شاع إدمانها، فما هذه المواد؟ وكيف تبت أو تخلق؟
وما شكلها ولونها وتأثيراتها المختلفة؟

الأغلبية تسمع أسماءها وتقرأ عنها فى الصحف عند إثارة قضايا التهريب والمهربين أو الضحايا الذين يذهب الإدمان بحياتهم كل بما أدمن، فما هى هذه المواد على تنوع أشكالها وألوانها؟
وللإجابة عن هذه التساؤلات تابع الآتى:

(١) الأفيون ومشتقاته:

الأفيون هو العصارة المستخرجة من ثمرة نبات الخشخاش، وتوجد خواصه الطبية والمعدنة للإدمان فى مكوناته الأساسيين: المورفين والكوكايين، وهو المادة الخام للإنتاج غير المشروع للهيروين، أخطر مادة مخدرة فى العالم؛ إذ يستخرج الهيروين من المورفين بعملية كيميائية بسيطة، وينشأ عن تعاطيه اعتياد شديد؟ ولهذا السبب وكذلك لسهولة صنعه والإتجار فيه وإخفائه، أصبح هو العقار الذى يثير أكبر المشكلات الصحية والاجتماعية، والطريقة المفضلة لتعاطيه الحقن بالوريد، ويخلط الهيروين فى حالات كثيرة بمواد أخرى سامة بطريق الغش، ويؤدى إلى الموت بسبب الجرعات المفرطة أو التسمم.

وتنتج حالياً مجموعة من المسكنات القوية ذات الآثار المتشابهة للمورفين عن طريق اصطناع البيثيديين والميثادون واستعمال مركبات كيميائية ليست لها علاقة بمكونات الأفيون.

وللأفيون ومشتقاته تأثير على المدمن؛ حيث إن هذه المواد تنبه الجهاز العصبى وتهبطه فى آن معاً، فهى تسكن الألم، وتضعف التنفس والسعال وتسبب الاسترخاء والهدوء والشعور بالنشوة أحياناً، ولكنها أيضاً تسبب الاكتئاب وانحراف المزاج فى أحيان أخرى كما أنها تسبب النعاس والنوم.

وأحياناً يصاب متعاطو المورفين بالهياج العصبى الشديد، وللمورفين آثار منبهة مثل: الغثيان - القيء - تقلص عضلات المعدة والأمعاء، فيؤدى ذلك إلى مرور الطعام ببطء فى المعدة، ومن هنا يحدث الإمساك وتقلص عضلات قنوات الشعب الهوائية، وعضلات الحالبين.

ومن آثار المورفين المزعجة: القيء - إفراز العرق بغزارة، الحكة فى الجلد، كما أنه يبطلئ النبض ويخفض ضغط الدم ، والهيريون كما ذكرنا من مشتقات المورفين، وتعاطى الهيروين، لمدة أسبوع واحد ينتهى إلى حدوث الإدمان، ومع إدمانه يحدث فقدان الشهية - ضعف جنسى - اضطرابات الدورة الشهرية عند النساء - تقيح فى الجلد - تسمم فى الدم - التهاب الكبد - والتسمم والوفاة أو الانتحار - ارتكاب جرائم السرقة للحصول على المال اللازم لشراء المخدر - وامتهان الدعارة بين الفتيات - والكسل والإهمال .

والمدمن هنا يشعر بعد يوم واحد من عدم استعمال الهيروين بالأعراض التالية:

* الرغبة الملحة فى الحصول على العقار.

* القلق.

* كثرة إفراز العرق.

* التثاوب.

* إفرازات كثيرة من الأنف والعين.

* انكماش الجلد، الشعور بالسخونة والبرودة، سرعة التنفس، الإسهال، ارتفاع السكر فى الدم.

(٢) الكوكايين؛

يستخرج الكوكايين من أوراق شجرة الكوكا بعملية كيميائية بسيطة، وهو عقار منبه، ومثير للشعور بالنشوة والهلوسة، ويسبب درجة عالية من الاعتماد النفسى، ويحدث شعوراً بقوة عملية كبيرة وبصفاء ذهنى، ويشير أوهاماً خيالية وهلاوس سمعية وبصرية وحسية، يمكن أن تجعل المدمن مؤهلاً لارتكاب أعمال خطيرة ضد المجتمع، وهو يحقن أو يستشق ، ولموازنة التهيج الزائد يتناول المدمن أحد المهدئات بصورة متناوبة أو متزامنة مع الكوكايين .

وأحياناً تدخن عجينة الكوكا (وهى مركب وسيط فى صنع الكوكايين، يحوى خليطاً غير نقى من كبريتات الكوكايين وقلويات أخرى) مخلوطة بالتبغ

أو الماريجوننا، ويحدث هذا التدخين إدماناً سريعاً وأمراضاً نفسية وتسمماً قد يؤدي إلى الموت.

(٣) الحشيش:

والحشيش هو القنب الهندي، ويطلق عليه أحياناً مارجوانا، ويدخن الحشيش عادة وحده أو ممزوجاً بالتبغ، ويصحب تعاطيه المرح والنشوة وتغيرات في الإحساس بالزمان والمكان وضعف القدرة العقلية والذاكرة، وزيادة الحساسية البصرية والسمعية، والتهاب المتحممة، والالتهاب الشعبي.

وعند تعاطى جرعات كبيرة منه قد تحدث تخيلات وأوهام، وتشوش، وضياح للشخصية وهلوسات تشبه الذهان وتسمم بالعدوانية والخوف، وقد يؤدي الاستعمال المنتظم للحشيش لفترة طويلة إلى إضعاف الوظائف الحركية النفسية، ووظائف الإدراك، ووظائف الغدد الصماء، ويقلل من مناعة الجسم ضد العدوى، ويحتوى الحشيش على مجموعة من الهيدروكربونات المعقدة منها مواد مسببة للسرطان وتلف الجهاز التنفسي.

(٤) المهدئات:

أما المهدئات ذات الآثار النفسية فهي تؤثر على أجزاء معينة من الجهاز العصبي بقصد تسكينه، وتؤدي إلى النوم إذا أخذت بجرعات أكبر وتنتمي المجموعة المهدئة الخاضعة للرقابة الدولية إلى المجموعة الكيميائية المسماة الباريتيورات، ويمكن الحصول عليها بغير وصفة طبية، وتصنف هذه الباريتيورات تبعاً لمدة تأثيرها إلى طويلة المفعول مثل الفيوباريتال، ومتوسطة المفعول مثل البتوباريتال، وقصيرة المفعول مثل الثيوبنتال، وهو يحقن في الوريد، وتؤخذ مثل هذه المواد بالفم على هيئة أقراص أو كبسولات أو تؤخذ بالحقن بقصد التخلص من الأرق أو القلق أو التوتر أو بقصد الترويح، وينشأ التعود عليها بسهولة، وقد تزداد الجرعات ويتحول الأمر إلى إدمان.

والانقطاع عن الاستعمال المكثف والمزمن للباربيتورات أشد وطأة وأكثر خطراً على الحياة من الانقطاع عن الهيروين، وتبدأ أعراض الانقطاع خلال يوم واحد بالنسبة للمواد قصيرة أو متوسطة المفعول، وخلال ستة أيام للأنواع طويلة المفعول وتتمثل الأعراض فى القلق والأرق وتقلص العضلات والوهن والدوار والغثيان والقيء وتشوه الإدراك البصرى وتشنجات صرعية ونوبات هذيان وأحياناً حالة ذهان، مع سلوك خيلائى وهلوسات، وقد ينتهى الأمر أحياناً بالوفاة.

وهناك مواد منومة مشابهة للباربيتورات تسبب الإدمان النفسى مثل :

الجلوتيتين والميروباميت والميتيريلون.

(٥) المنبهات:

يمثل الأمفيتامين النمط النموذجى للمنبهات، وهو أول المركبات فى سلسلة متزايدة من المؤثرات العقلية (النفسية) التى عرفت تأثيراتها المنشطة أو المنبهة منذ نصف قرن مضى، وتقترب الأمفيتامينات فى بعض النواحي الفارماكولوجية من الكوكايين، أى إنها قادرة على إنعاش المزاج وتبديد التعب والإحساس بالجوع، غير أنها ذات قدرة كبيرة على إحداث الإدمان النفسى بسرعة، وقد تحدث ذهاناً تسميياً بعد أسابيع من الاستعمال المستمر.

وتتميز أعراض التسمم من الأمفيتامينات بتغيرات عميقة فى السلوك، وبحالات ذهان مع هلوسة سمعية وبصرية ولسية قد تصاحبها مشاعر اغروف والعدوانية وارتكاب أعمال خطيرة ضد المجتمع، وبعض مستعملى الأمفيتامينات، كسائقى السيارات عرضة للحوادث بسبب مشاعر التهيج والنوبات المفاجئة من التعب المفرط التى تحدثها هذه العقاقير.

(٦) المهلوسات:

وأما عن المهلوسات فإن النموذج الأول لمجموعاتها المتنوعة كيميائياً هو :

الأندولكيتامينات والفينيليتيلامينات تراميد، حامض الليسوجيك (ل.س.د) وكلها عقاقير تحدث تغيرات ذهنية عميقة؛ كالنشوة والقلق وتشوه الإدراك الحسى

والهلوسة البصرية والسمعية الشديدة، والأوهام وانفعالات تتسم بجنون الارتياب، والاكتئاب، وتسبب هذه العقاقير إدماناً نفسياً.

ويعتبر المسكاليين - وهو العنصر الفعال فى الصبار الأمريكى المسمى (بيوت) وينمو فى المكسيك وفى جنوب وغرب الولايات المتحدة - من العقاقير المسببة للهلوسة ذات التهيزات الزاهية ولكنه لا يسبب الإدمان.

أما عقار (دوم) فينتمى إلى الأمفيتامينات والمسكاليين ويطلق عليه (س.ت.ب) وتأثيراته كتأثيرات (ل.س.د)، ويضاف إلى ذلك عشرات المواد التى تحدث الهلوسة وهى تشتق من نباتات مختلفة.

(٧) القات:

وهو نبات ينمو فى اليمن والحبشة والصومال، ويمضغ المتعاطى أوراق النبات ويستحلبها بوضعها بين الخد والفكين، ويحتوى نبات القات على مادة فعالة تسبب النشاط المصحوب باغمول مع حالة تشبه حالة الخالم.

(٨) التبغ:

التبغ أو السجائر، هو من أوراق نبات التبغ، وعند احتراقه يدخل الجسم أو أكسيد الكربون الذى يقلل قدرة كرات الدم الحمراء على نقل الأكسجين إلى الأنسجة، كما يحتوى دخانه على القطران الذى يسبب سرطان الرئة، وتحتوى السجائر على أعلى تركيز من القطران، يليها السيجار ثم دخان الغليون والنارجيلة، أى إن أضرار تدخين السجائر أكثر من أضرار تدخين الغليون والسيجار والنارجيلة.

(٩) المنهيات:

وهناك قائمة عجيبة من المواد التى أدمن البعض استنشاقها، مثل: البنزين - الصمغ - طلاء الأظافر - الأسيون، والسائل الذى يستخدم فى تعبئة الولاعات، واستنشاق هذه المواد يؤثر على المخ والكبد والرئتين، ويستنشقها المتعاطى ليشعر بالاسترخاء والدوخة والهلوسة أحياناً، وهذا الإدمان منتشر بين الأحداث والمراهقين.

هذا بالإضافة لإدمان مواد الكافيين، وهذه المواد موجودة فى الشاى والقهوة والكاكاو والكولا، وكل هذه الأشياء تحتوى على مادة الكافيين، وهى مادة منبهة، تسبب الأرق والتوتر عند تناول جرعات كبيرة ويؤدى استعمال كل هذه الأشياء إلى الإدمان الخفيف.

(١٠) ابتكار المواد الجديدة،

ومما يزيد من شدة القلق أن ابتكار أو اصطناع مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية جديدة مازال قائماً، وربما تكون هذه العقاقير الجديدة أشد فتكاً وخطورة من العقاقير المعروفة حتى الآن.

(٤) كيف تعرف أن ابنك المراهق أصبح مدمناً؟

كارثة الإدمان تبدأ من البيت وتنتهى إليه وقد تفتيق أسرة على إدمان واحد من أفرادها - طفلاً أو شاباً أو فتاة أو الزوج أو الأم- فجأة، وقد يكون هذا بعد فوات الأوان، أى بعد أن يصبح تدارك الأمر بالعلاج مستحيلاً، أو فادح النفقات إلى الحد الذى لا تطيقه الأسرة، إن على الأسرة المصرية اكتشاف وجود مدمن فى البيت بأسرع ما يمكن حتى تتمكن من إنقاذه، كما يجب على الأسرة اكتشاف الظروف التى تدفع الأطفال والشباب والكبار إلى الإدمان، ومراقبة التصرفات التى يمكن أن تؤكد للوالدين أن واحداً من الأبناء قد أصبح مدمناً أو يكاد.

وإذا كان صحيحاً أن أعراض الإدمان لا يمكن اكتشافها بسهولة كما يكتشف الزكام أو التهاب الحنجرة، إلا أن هناك خصائص وانحرافات مشتركة بين جميع المتعاطين، والاكتشاف يعتبر مرحلة أساسية للبدء فى التحرك الفورى لعملية الإنقاذ السريع.

وللحق فقد احتار الآباء واحتارت الأمهات، واحتار معهم العلماء والمحللون والباحثون فى الكشف عن الإنسان المدمن، مواصفاته، أحواله، التفسيرات الفسيولوجية والسيكولوجية التى تصيبه وتظهر عليه، والغريب أن الآباء هم آخر

من يعلم بأن أحد أولادهم قد أصبح مدمناً لأي نوع من المخدرات القاتلة؛ فالأبناء قادرون على إخفاء كل مظاهر إدمانهم بشتى الوسائل والطرق.

ولكى تعرف ما إذا كان ابنك قد دخل فى سلك المدمنين، أو لتلحق به قبل أن يقع فى حفرة الإدمان اللعين، أعد العلماء هذه القائمة الطويلة من الاختبارات التى لا بد أن يعرفها الآباء وتعرفها الأمهات:

– فى البيت: يمكن أن يفعل المراهق المدمن ما يلى:

- (١) يتجنب أفراد الأسرة.
- (٢) يتجنب التقاء عينيه بعينى والديه.
- (٣) تتقلب حالته المزاجية.
- (٤) يجادل حول أى شىء.
- (٥) يتجاهل القواعد أو يخرج عليها.
- (٦) يتمرّد دائماً.
- (٧) يستخدم لغة غير مهذبة.
- (٨) يروى أكاذيب.
- (٩) يحيط تصرفاته بالسرية أو المبالغة.
- (١٠) يغمس من موسيقى الروك.
- (١١) تكون عيناه حمراوين ويشتاق بشدة للحلوى.
- (١٢) يكثر فى النوم أو يبقى يقظاً ساعات طويلة.
- (١٣) يتسلل إلى الخارج فى الليل.
- (١٤) يتلقى مكالمات هاتفية مريبة.

- (١٥) يهرب من المنزل.
- (١٦) تمر به فترات من هبوط الروح المعنوية.
- (١٧) يخالف القانون.
- (١٨) قد يحاول الانتحار.
- فى المدرسة: قد يعسم المذمن بما يلى:
- (١) يكون ضعيف التركيز.
- (٢) يفتقر للحافز القوى.
- (٣) تتناقص الدرجات التى يحصل عليها.
- (٤) يوصف بأنه عاجز عن التعليم.
- (٥) يلقى باللوم فيما يواجهه من المشاكل على المدرسين.
- (٦) لا يحترم السلطة.
- (٧) يكون معروفاً تماماً لدى الإدارة.
- (٨) يتوقف عن المشاركة فى أشكال النشاط الخارجى.
- (٩) يصل متأخراً ويتغيب عن حضور بعض الدروس.
- (١٠) يغش ويسرق ويحطم.
- (١١) يتسكع حول الأماكن التى يسمح فيها بالتدخين.
- (١٢) يختلق مشاجرات.

-وإلنسبة للأبوين:

- (١) يجدان صعوبة فى التفاهم مع ابنتهما.
- (٢) لا يرتاحان إلى مظهره.
- (٣) لا يرتاحان إلى أصدقائه.

- (٤) يخافان منه أو من التعرض لاعتداء بدنى من جانبه.
- (٥) لا يعرفان أصدقاءه.
- (٦) يلاحظان اختفاء نقود أو أشياء ثمينة.
- (٧) يجدان أعذاراً لسلوكه السيئ.
- (٨) يلومان المدرسة على المشاكل.
- (٩) يلومان أصدقاء ابنيهما.
- (١٠) يلوم آباء أصدقاء ابنيهما.
- (١١) يلوم كل من الزوجين الآخر.
- (١٢) يتجادل كل منهما مع الآخر بشأن الابن.
- (١٣) يشعران بأن الزواج يتدهور.
- (١٤) يخشيان انجىء إلى البيت.
- (١٥) يتجنبان البقاء مع الأسرة.
- (١٦) يجدان أسباباً للعمل حتى وقت متأخر، وفي الراحة الأسبوعية.
- (١٧) يفرطان في المشاركة في نشاط خارجى.
- (١٨) يلجآن إلى الخمر لنسيان المشاكل.
- (١٩) يشعران أنهما بلا حول ولا قوة.
- (٢٠) يتساءل كل منهما أحياناً عما إذا كان يحب الابن أو الزوج.
- إذا حدث ولاحظنا وجود عدد من هذه المؤشرات فهناك شك كبير فى أن الابن يتعاطى المخدرات بالفعل؛ ولكى يعرف الآباء ماذا جرى لأبنائهم، عليهم أن يلاحظوا بعين يقظة الآتى:

* هل يبدو الابن كالتائم على نفسه؟ وهل يشعر بحالة زهو لا تفسير له؟
وهل هناك سلوك شاذ صادر منه؟

* احمرار العينين- يعزوه إلى تدخين السجائر- يستعمل نوعاً من القطرة لتوضيح الرؤية (عيون متسعة، عيون متفخة، عيون جامدة، حدقات جاحظة).

* يستخدم الرش (الاسبراي) للتغطية على رائحة التدخين.

* يستخدم اللبان أو النعناع للتغطية على رائحة النفس.

* سلوك بغيض أو عدائي (يحمل والديه مسئولية كونه مراهقاً).

* يهمل في أداء واجبات الحياة العائلية وينعدم لديه الحافز.

* ينام ساعات طويلة أثناء النهار (نوم مضطرب، كوابيس، العرق أثناء الليل).

* لا يستطيع النوم في الساعات الأولى من وقت النوم العادي، ولكنه يستطيع ذلك بعد الساعة الثالثة صباحاً.

* قد يحس بالقشعريرة بسهولة وقد يشعر برجفة.

* يتجه عادة إلى غرفته مباشرة عند دخوله البيت ويفلق الباب خلفه.

* يتسلل خارجاً من البيت عبر النافذة بالليل ويرجع بنفس الطريقة.

* يفقد الشهية، أو يستحوذ عليه التافه من الأغذية أو الحلويات.

* يلقى على الآخرين المسئولية عن مشاكله في المدرسة أو البيت.

* اختفاء حبوب الحساسية أو غيرها من الحبوب من البيت حيث يقوم ببيعها للآخرين.

* نقرات لا تفسير لها بالسيارة (يلقى المسئولية عنها عادة على شخص آخر).

* حلق ملتهب، سعال شعبي، أنف مرتشح، حشرجة ربوية، وآلام بالصدر.

- * لون الوجه شاحب وأصفر، احتمال ظهور طفح جلدى.
- * غبطة فى الكلام، التكلم بصعوبة، تعثر التواصل.
- * التكلم بسرعة أو بصوت منخفض.
- * ذاكرة ضعيفة، قدرة ضعيفة على التركيز.
- * قد لا يرد عندما تتحدث إليه، تعبيرات وجهه جامدة.
- * يمكن أن يكذب عليك.
- * اختفاء النقود أو الأشياء التى يمكن أن تباع، زيادة الحاجة إلى النقود، وجود إبهالات الرهن فى الملابس.
- * أداء متدهور فى الأعمال المدرسية والنشاط الرياضى.
- * البخور فى الغرفة، الاكتئاب ، الكتمان.
- * علامات الإبر فى ذراعه وساقه، عدم الالتفات إلى النظافة الشخصية.
- * ارتداء نظارات شمسية فى أوقات غير مناسبة.
- * يصعب عليه مقاومة نزلات البرد والعدوى.
- * مخالطة المعروفين من متعاطى العقاقير.
- * متاعب فى المعدة والقولون .
- * اختلال الإحساس بالوقت.
- * علامات الإصابة بالطفيليات وحيدة الخلية فى الدم، التعب، غثيان، عرق ، رعشة.
- * قلق حاد فى بعض الأحيان مصحوب بأفكار موسوسة.
- * قلة الاهتمام أو عدم الاهتمام تماماً بالأنشطة، الشعور بالغبطة.

* الإفراط فى التدخين وحروق الأصابع - هل هناك زيادة فى معدل التدخين؟ هل هناك بقع تبغ ثقيلة؟ أو أصابع محروقة؟ فغالبًا ما يحدث تحت تأثير العقاقير أن تحرق السجائر جلد أصابعه، ولا يكون هناك إحساس بالألم فورًا.

* المشروب المُسكر، غالبًا ما يستعمل المراهقون من اعتادوا تعاطى المخدرات المشروب المُسكر غداً الوالدين، وجعلهم يعتقدون أنهم كانوا يشربون ولا يتعاطون العقاقير، ذرف المشروب المُسكر، أو البيرة أو النبيذ على الملابس لإخفاء السبب الحقيقى فيما يبدو عليهم من نشوة.

* روائح كيميائية- هل تشم روائح غريبة مثل الصمغ، والكربونات، والمواد المستخدمة فى أقلام وضع العلامات؟ هل عثرت على أكياس ورق مع أنابيب مهشمة داخل الكيس؟ هل أنفاس ابنك تختلط بأى روائح كيميائية غريبة؟

* التثاؤب - برغم تمتعه بالنوم طوال الليل، هل هناك دليل على الإفراط فى التثاؤب؟ هل هناك تعب ملحوظ؟ هل هناك دليل على حالة كسل عام؟

* الحركة - هل هناك سمات غير عادية فى طريقة سير الابن؟ هل هناك عدم استقرار؟ هل هناك حركات تماثل تلك الصادرة عن شخص سكران؟

* سرعة الاستشارة - هل هناك خدوش ملحوظة؟ هل هناك عصبية زائدة أو قلق أو حكة عامة بالجسم؟

* هل وجدت أكياسًا من البلاستيك، لفات ورق، بذور ساق أو عنق زهرة، أمواس حلاقة، مرايا، ملاعق صغيرة، أنابيب دقيقة، زجاجات صغيرة، أو أية أدوات أخرى لاستعمال العقاقير؟

* كل هذا عزيزتى الأم عزيزى الأب، يجب ملاحظته بدقة يومًا بيوم، ويجب تدوينه.

(٥) لماذا يدمن المراهقون؟

أقر علماء الاجتماع وعلماء النفس والأطباء أن تعاطى المخدرات في غير حالات العلاج - ينتهي بالإدمان عليها - والمدمن يصاب بالوهن والضمور وشحوب الوجه وضعف الأعصاب وتدهور حيويته وتخبو طاقته الذهنية وغالبًا ما ينتهي صاحبه إلى الجنون والموت العاجل.

فمن الناحية الاجتماعية.. يعيش المدمن حياة مضطربة؛ فهو يهمل شئون الحياة الكريمة وشئون أسرته وواجباته نحوها، وتتحصر اهتماماته في إشباع شهواته، فيغدو قدوة سيئة لأفراد أسرته، ومن ثم الانحراف مثل الإجرام.

ومن الناحية الاقتصادية يؤدي الإدمان إلى الخمول وبلادة الحس وهبوط الكفاءة العقلية وفقدان العمل، والعيش عالة على المجتمع وعلى الأسرة التي تصاب بالتفكك والانحلال والتشرد.

وتعود أسباب انتشار ظاهرة تعاطى المخدرات بين المراهقين إلى عدة أسباب، وقد أثبتت الدراسات التي قام بها الباحثون والعلماء أن الإدمان على المخدرات بأنواعها يعود إلى أسباب نفسية واجتماعية واقتصادية وستحدث عن كل منها على حدة.

أولاً: الأسباب النفسية لظاهرة تعاطى المخدرات:

قسم علماء النفس الشخصيات التي يمكن أن تدمن المخدرات إلى (٤) شخصيات هي:

* الشخصية السوية.

* الشخصية التي تعاني من اضطرابات نفسية.

* الشخصية التي تعاني من اضطرابات عقلية.

* الشخصية الإجرامية.

(١) الشخصية السوية:

وهي الشخصية التي يمكن لصاحبها أن ينزلق وبخطأ غير مقصود منه إلى تعاطي المخدرات سواء على سبيل التجربة أو لقضاء وقت ممتع، أو يبحث عن التجربة والخبرة، وقد يقع هؤلاء في الإدمان تحت تأثير أصدقاء السوء من رفقاتهم، وقد يلجأ أصحاب هذه الشخصية إلى تعاطي المخدرات بدعوى تخفيف بعض الآلام الجسمانية.

أو قد يلجأ صاحب هذه الشخصية إلى تعاطي المخدرات لتعرضه لحادث أليم في حياته مثل فقد إنسان عزيز عليه، أو نتيجة مروره بأزمة عاطفية، وغالبًا ما يبدأ صاحب هذه الشخصية السوية تعاطي المخدرات تحت تأثير رفاق السوء أو عادة ما يقبل صاحب هذه الشخصية التوبة ويرجع عن الإدمان بمفرده.

(٢) الشخصية المضطربة نفسيًا:

وصاحب هذه الشخصية يعاني من القلق والأرق ومن الشعور بالظلم والإحباط واليأس، وغالبًا ما يكون هذا الشخص من الذين يعتمدون على الآخرين دائمًا سواء كان الأب أو الأم أو الصديق، وتجذبه الإغراءات بسهولة ويتطلع إلى التصرفات التي قد تشد إليه الأنظار وهو إنسان غالبًا ما يكون قد تربى في ظروف صعبة، وفشل في أن ينمي شخصيته، ويجد صعوبة في مواجهة الواقع، ويتصور أن المخدرات ستقله من واقعة المؤلم إلى عالم الأحلام، ومن هنا فإنه يتعاطى المخدرات كوسيلة للهروب.

(٣) الشخصية المضطربة عقليًا:

وصاحب هذه الشخصية يعاني من إحساس بالاضطهاد، ولديه إحساس بأنه يواجه العالم كله، ويعانى من هلاوس سمعية وبصرية.

وهذه الأنماط الثلاثة من الممكن علاجها من تعاطي المخدرات والإدمان بشرط أن يتم علاجها من الأسباب الحقيقية التي أوقعتهم في هوة الإدمان ومن الممكن شفائهم .

(٤) الشخصية الإجرامية:

وهي الشخصية السيكوباتية، وهي لشخص لديه بصيرة بنتائج أعماله ولا يتعلم من خبراته، وينفذ ما يطرأ في ذهنه بمجرد أن تجول الفكرة في خاطره، وسلوكه لا يرحم ولا يبالي بالغير؛ لأن سلوكه فج وأناني، قليل المرونة، وقليل القدرة على التكيف مع الجماعة، أو بمعنى آخر هو شخص عدواني.

وهذه الشخصية تحتاج لعلاج مكثف ويحتاج منها؛ حتى لا تتكس وتحتاج إلى تغيير كل الظروف التي أنعشت هذه التركيبة.

ثانياً: الأسباب الاجتماعية للإدمان:

يُجمع علماء الاجتماع على أن تعاطي المخدرات والإدمان عليها يعود إلى غياب دور الأسرة ثم الصحبة الرديئة وانحسار دور المدرسة التربوي والتفاوت بين الطبقات والصراع بين الأجيال والافتقار إلى الانسجام الاجتماعي والفراغ الثقافي والرياضي والديني الذي يعاني منه الشاب والمراهق وغياب القدوة أو انحرافها أمامهم.

وفيما يلي توضيح لبعض الأسباب الاجتماعية الكامنة وراء إدمان المراهقين:

(١) التفكك الأسري:

أكدت مؤشرات الأبحاث الاجتماعية التي أجريت على مدمني المخدرات أن غياب دور البيت وضياع السلطة التربوية من أكبر العوامل التي تدفع الشباب إلى الانحراف وتعاطي المخدرات؛ فقد اتضح من الدراسات المختلفة أن هناك علاقة بين انهيار السلطة الأبوية وازدياد نسبة السلوك الجانح الذي يعد تعاطي المخدرات إحدى صورته.

ويلعب التفكك الأسري وعدم الاستقرار العائلي والاضطراب الذي يصيب حياة أفرادها دوراً كبيراً في دفع الأبناء إلى الإدمان وخاصة إذا كانوا في مرحلة المراهقة التي تتميز بالتغيرات المفاجئة، والحاجة إلى الإحساس بالقدوة. والمخدرات

من وجهة نظرهم تمنحهم الإحساس بالقوة، وهذه المرحلة هي بداية مواجهة الحياة العملية بما تحمله من ضغوط وصعوبات ويجدون الهرب فى المخدرات.

ويدفع الإدمان الأب (كقدوة) أمام أبنائه، هؤلاء الأبناء إلى تعاطى المخدرات لتقليده، وعلى هذا فإنه لا يمكن أن تنتشر المخدرات بين أسره متحابه مترابطة، ويجب دراسة ظاهرة انشغال الأسرة عن الأبناء، أما أن يعمل الأب طوال النهار خارج المنزل وتعمل الأم كذلك طوال النهار والأولاد لا يجدون رعاية أحدهم، فإن الوضع الطبيعي هو هروب هؤلاء الأبناء إلى المخدرات.

وقد أثبتت جميع البحوث المتعددة التى أجريت على الشباب الذين وقعوا فى مصيدة الإدمان أن ٧٠٪ منهم تحت سن الثانية والعشرين، وأن أحد أسباب بدء الإدمان هو السلوك على نحو ما يفعله الرجال، وبلغت نسبتهم فى الدراسة التى أجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجناية ٥، ٧٢٪.

(٢) الصحبة الودية:

أشارت نتائج العديد من الدراسات السوسولوجية (الاجتماعية) التى تناولت بحث ظاهرة إدمان المخدرات إلى أن الشباب الذين أدمنوا المخدرات كان وراءهم الصحبة الودية للأصدقاء وأن مجاراة الأصدقاء والرفاق كانت وراء تعاطيهم المخدرات، وتعتبر الصحبة الودية من أهم أسباب التعاطى والإدمان؛ فالرغبة فى التقليد وتزيين طريق المخدرات تدفع كثيراً من الشباب إلى الاندفاع، إما بدافع حب الاستطلاع أو المجازاة أو المباهاة والتفاخر بالجرأة والرجولة المبكرة.

(٣) انحسار دور المدرسة التربوى:

تشير أصابع الاتهام إلى المدارس فى انتشار ظاهرة تعاطى المخدرات؛ فقد انحسر دور المدرسة التربوى لعوامل عديدة من أهمها: الأعداد الرهيبه فى كل مدرسة واختفاء الملاعب، وأزمة المدرسين والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين والتربويين، وضعف مستواهم العام، هذا بالطبع أدى إلى انحراف العديد من

التلاميذ؛ فقد أظهرت الدراسات المصرية عن تعاطى المخدرات أن أعمار معظم المتعاطين تبدأ قبل سن العشرين (١٤-١٧ سنة)، وفي دراسة عن انخراط الشباب في تعاطى السموم البيضاء أجرتها منظمة الصحة العالمية بمصر وشملت عينه عشوائية من (٧٠٠) طالب في جامعة القاهرة تبين منها أن (٤, ٣٦٪) منهم تعاطوا الحشيش وغيره من المخدرات وأن (٥٠٪) منهم جرّبوا شم الهيروين.

فمنذ فترة مضت كانت المدرسة (والجامعة) تقوم بدورين معاً وهما التربية والتعليم، تُدرّس، تُراقب، تُتابع، تعدل سلوكاً، تهذب مفاهيم، تفرس قيماً، تنمي وعياً سياسياً ودينياً، تنمي الهوايات والمواهب، تساعد في حل مشكلات طلابها... إلخ، فكانت بالفعل إحدى أهم مؤسسات التشعشع الاجتماعية، ولكن الآن اقتصر الدور على العملية التعليمية فقط؛ حيث تلقن الطلاب الدروس المكررة المكثفة التي لا فائدة من معظمها على المستويين العلمي والعملية، والتي تحتاج إلى إعادة نظر من قبل المتخصصين، فيجب ربط المناهج الدراسية بالواقع العملي المعاش من حيث القضايا والمشكلات اللموسة وكذلك بما يفيد في الحياة العملية فيما بعد، ومن هنا فإن انحسار دور المدرسة (ودور الجامعة) كان أحد أسباب تعاطى الشباب والمراهقين للمخدرات بأنواعها.

(٤) الفراغ عند الشباب:

أحد الأسباب الرئيسية لانحراف الشباب نحو الإدمان والتعاطى هو وجود وقت فراغ كبير لدى الشباب وذلك بسبب البطالة، وعدم وجود ساحات شعبية وأندية بالقدر الكافي الذي يستوعب الأعداد المتزايدة من الشباب، وعدم إقبال الشباب على ممارسة الرياضة، الفراغ الديني الذي يعاني منه شبابنا وعدم قيام مؤسساتنا الدينية المتمثلة في المساجد والجمعيات الدينية المتعددة بدورها كما يجب أن يكون، يجعل الشباب ينحرف، ومظاهر انحراف الشباب الذي يعاني من الفراغ الديني خطيرة، فإما أن يعتق أفكاراً هدامة أو انحرفاً في فهم الدين، وإما أن ينزلق إلى أوكار تعاطى المخدرات.

كما أن الفراغ الثقافي أمام الشباب، وعدم توفير المكتبات العامة في الأحياء الشعبية ليوجد فيها الشباب في مرحلة تكوينه الفكرى ما يساعده في تنمية قدراته الفكرية والعقلية، هذه العوامل تعجل بانحرافه نحو الإدمان.

إن الشباب الذى يعانى من الحصول على الكتاب أو على الثراء الفكرى والثقافى لا يجد أمامه نادياً يمارس فيه هواياته المتعددة الفنية والثقافية والبدنية، ويوجد بسهولة المخدرات بأنواعها متوفرة وبكثرة والحاح ويقدمها إليه تجار المخدرات مجاناً عدة مرات حتى يذمن عليها ثم يضطر إلى شرائها بأمواله، فإذا لم يجد المال اضطر للسرقه أو القتل حتى يحصل على المال الذى يكفل له شراء هذه السموم.

ثالثاً: العوامل الاقتصادية؛

ومن الأسباب الرئيسية أيضاً لتعاطى المخدرات وإدمانها العامل الاقتصادى؛ فعند الهجمة الثانية للهيروين على مصر كان المناخ العام يساعدهم على انتشارها؛ ذلك أن البيئة الاجتماعية للشعب المصرى كانت تفتت من جذورها، فظهرت فئات جديدة من أثرياء الحرب وأثرياء الانفتاح الاقتصادى والسماسة والفنانين وتجار البوتيكات، وهؤلاء وجدوا أنفسهم مرة واحدة من أصحاب الملايين وعندهم وقت فراغ كبير مما دفعهم إلى تعاطى السموم البيضاء.

وفى المقابل نرى أن معظم المتعاطين ممن يعانون من وضع اقتصادى متدهور، وهذا للأسف يدفعهم للاستمرار فى الإدمان للهروب من واقعهم، كما أن المعيشة غير المستقرة القاسية تساعد على انتشار تعاطى المخدرات، وهناك من يعجز عن الوفاء بالتزاماته المعيشية نحو أفراد أسرته ويفقد الأمل فى تحسين مركزه فيدخله الشعور بأنه دون أقرانه وجيرانه فيحاول أن يحقق فى اغتيال ما يفقده فى الواقع ويبدأ أولى خطواته فى طريق الإدمان، وهو لا يدرك أنه بذلك يزيد همومه وأعباءه المالية.

وتعقيبًا على ما سبق ، وحول إقبال بعض المراهقين على الإدمان يشير أ.د/ أحمد عكاشة - أستاذ الطب النفسى - إلى أن هناك ثورة بين المراهقين على عادات وتقاليد المجتمع ، وليس غريبًا هنا أن يكون لبعض المراهقين مجتمعات فرعية لها عاداتها وتقاليدها الخاصة ، ومن ضمن هذه العادات تناول المواد التى لا يستخدمها أفراد المجتمع البالغون ، مثل الحشيش والهيروين والكوكايين .

وهنا يجب أن نحلل من عدة أمور:

* تغيير وضعف تركيب الأسرة .

* ضعف القيادة الروحية والدينية .

* الاتجاه نحو المادية المطلقة .

كل هذه العوامل تجعل المراهق يشعر بعدم الاطمئنان والاضطراب؛ مما يولد لديه القلق والسلوك العدوانى الذى يودى إلى الانحراف والخروج عن المجتمع وتكوين جماعات خاصة من سماتها تعاطى المخدرات؛ فالمراهق المعاصر قد يشعر بخيبة الأمل ، وهكذا يتصف بالمادية والانتهازية ، وعدم وضوح الرؤية بالنسبة للمستقبل ، وتجاهل أمانيه ، وقيمه الإنسانية .

وأخيرًا ، يمكن أن نلخص أسباب اللجوء لتعاطى المخدرات فى الحالات التالية:

* تخفيف القلق .

* تخفيف التوتر أو الاكتئاب .

* الهروب من المشاكل .

* البحث عن إدراك الذات .

* البحث عن معنى الحياة والدين .

* التمرد على قيم المجتمع ، أو اليأس من هذه القيم .

* خوف الشخص أن تفوته خبرة ممتعة.

* الرغبة في مجاراة الرفاق.

* اللهو.

* التسلية.

* البحث عن الإثارة.

* الفضول.

(٦) ماذا تفعل المخدرات بالمرهقين؟

المرهقون شريحة هامة من شرائح المجتمع، ومن ثم فإن ما يصيب المجتمع ككل يصيب المرهقين كجزء من مكوناته، ولكن الخسارة تكون أفدح في المرهقين؛ فعلى عاتقهم ستلقى أمانة قيادة الأمة في المستقبل القريب، والقيادة تحتاج إلى صاحب الجسم السليم والعقل المستدير والذهن الثابت والذكاء اللامح والإيمان العميق والمال الحلال، وهي أمور يضعفها بل يدمرها تعاطى المخدرات.

وللمخدرات بجميع أنواعها آثار سيئة على مختلف أعضاء الإنسان، ونحن نورد فيما يلي أهم ما أجمع عليه أساتذة الطب من المخاطر التي يتعرض لها المدمنون والمتعاطون على السواء.

(١) التسمم بالأفيون ومشتقاته:

* بطء التنفس، القلق، التوتر، التهيج.

* بطء دقات القلب، القيء، فقد الشهية.

* ضيق صدقتي العين، الثاوب، الارتعاش.

* برودة الجسم، ضعف البنية.

* زرقة فى لون الجلد، ضعف جنسى واضح.

* توقف الدورة الدموية.

* فقدان البصر.

* الوفاة العاجلة.

(٢) الهيروين؛

* قلة النوم، الأرق، حالات من السرطان.

* تصلب الشرايين، انسداد الشرايين، التهابات موضعية تحت الجلد.

* فقدان الشهية، عدم القدرة على ممارسة الجنس، تخثر الدم.

* انخفاض ضغط الدم، البلادة، التراخى، ضيق حدقة العين.

* جلطة القلب والرئة، ضعف حركة الأمعاء، الإمساك.

* التهاب المثانة، انعدام المناعة، تليف الكبد، زيادة السكر بالدم.

* الضعف، الهزال، السل، الوفاة.

(٣) الحبوب؛

* الدمامل الجلدية.

* التهابات الأنسجة.

* مرض السل.

* جلطات الأطراف.

* مرض انعدام المناعة (إيدز AIDS).

* فقدان الشهية، الهزال، الضعف الجنسي، النعاس.

- * ثقل اللسان، اضطرابات الدورة الشهرية، تقيح الجلد، تسمم الدم.
- * الترنح، خفض التركيز، الزهري ، حوادث الطرق.
- * السرقة، الدعارة، إصابة الأجنة، التشنجات.
- * تدهور المستوى الدراسي، الكسل، الإهمال.
- * الكذب، الاختلاط الدائم بالمدمنين.

(٤) المنشطات والمنبهات:

يشعر المتعاطى عادة باليقظة وتزايد نشاطه الذهني والبدني وسرعان ما يزول شعوره بالتعب ويشعر بازدياد الثقة في نفسه وقدرته على المبادرة بالأفعال والرضا عما يقول بالرغم من كثرة الأخطاء ، والقلق، والعصبية، والتوتر الجسمي، ورعشة اليدين، وسرعة دقات القلب، وارتفاع درجة الحرارة، وضغط الدم، وضعف الشهية، وفي بعض الحالات يحدث التهيج العصبى، واحتقان الوجه، وزيادة النبض، وارتفاع ضغط الدم، والصرع، والوفاة نتيجة زيادة الجرعة، وعادة ما يشعر المدمن بالأوهام الحادة التي قد تؤدي به إلى الجنون فيتوهم بلدغ الحشرات لجسمه والأحلام المزعجة.

(٥) الحشيش:

يشعر المتعاطى بالانشراح، الثقة بالنفس، العظمة، زيادة الشهية، وفي حالة زيادة الجرعة تؤدي إلى زيف الإدراك الحسى، الاضطرابات الداخلية، أمراض انفصام الشخصية، عدم الاكتراث، اللامبالاة، نقص الطموح، عدم التركيز والتذكر، قلة الإنتاج، أمراض الزهان.

وفي دراسة المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية عن تعاطى الحشيش فى مدينة القاهرة، بينت الدراسة أن ٦,٣ ٪ من عينة الدراسة أوقفوا تدخين

الحشيش نتيجة تأثير البحوث التي تؤكد علاقة التدخين بسرطان الرئة، وأكد ٥٠٪ من المتعاطين زيف إدراك الوقت، و٦٨٪ سرعة مرور الزمن، و٦٢٪ اختلال الإدراك، و٨٧٪ اختلال المسافات بزيادة الطول، وأكد ٥٠٪ الهدوء، و٥٠٪ الميل إلى التسرع، و٧٠٪ الميل لارتكاب الجرائم، وقرر ٤٨٪ من المتعاطين إصابتهم بالبرود الجنسي بعد التعاطى وعدم القدرة على ممارسة الجنس.

(٦) المواد المتطايرة:

المواد المتطايرة كما حددتها منظمة الصحة العالمية من أهمها:

أ - التولوين .

ب - الترايكلور إيثيلين .

ج - البنزين .

د - مخفف الطلاء، مزيل طلاء الأظافر، مزيلات البقع (سوائل التنظيف) .

وتنتشر عادة استنشاق المواد المتطايرة بين الأطفال والمراهقين وعادة ما يشعر المستنشق بالنعاس، أو الدوار والاسترخاء، والهلوسة البصرية وقد تحدث الوفاة الفجائية بسبب عطب المخ والرئة والكلى أو بسبب الاختناق الناجم عن عدم وجود الأكسجين فى الأوكياس التى يتم من خلالها عملية الاستنشاق، وقد يصاب الشخص نتيجة هذه العملية بفقر الدم الشديد والجنون.

وتعقياً على ما سبق، حدد الدكتور/ محمد شرف مضاعفات تعاطى المخدرات

فى الآتى:

مضاعفات بالرئة:

* التهاب رئوى.

* خراج بالرئة.

* تمدد الشعب الهوائية.

* جلطات متقيحة.

* تليف الرئتين.

مضاعفات بالكبد:

* التهاب كبدى وبانى.

* هبوط كبدى.

مضاعفات بالعضلات:

* تسوس العظام وخاصة العمود الفقرى.

* التهاب عضلى.

* تضخم الطحال.

* التهاب المفاصل.

* تضخم الغدد الليمفاوية.

* التهاب الكليتين.

مضاعفات الجهاز العصبى:

* العمى.

* الشلل النصفى.

* التهاب الأعصاب الطرفية.

* خراج بالمخ.

* الإغماء.

* الالتهاب السحائى.

* الالتهاب المخي.

* ملاريا مخية.

* الوفاة.

مضاعفات أخرى:

* خرايج تحت الجلد.

* التهاب الأوعية الليمفاوية.

* تسمم الدم.

* التهاب عضلة القلب.

مضاعفات للعوامل:

* ينتقل الإدمان للجنين وهو في بطن أمه.

* الإجهاض المبكر.

(٧) كيف نجنب مراهقيننا تعاطي المخدرات؟

ليس سهلاً أن يتخلص المراهقون من إدمانهم؛ فإن عملية إنقاذ المراهقين من كارثة الإدمان تحتاج إلى اتخاذ جهد كبير وخطوات عديدة.

ومن ثم فالوقاية خير من العلاج، الوقاية معناها منع حدوث الإدمان، أما العلاج فيبدأ إذا فشلت الوقاية، والجهد الذي يبذل في الوقاية هو عشر الجهد الذي يبذل في العلاج، والاكتشاف المبكر أفضل من الاكتشاف المتأخر، وعلاج الحالة في بدايتها يستلزم عشر الجهد الذي يبذل في علاج حالة متأخرة.

* والوقاية هي مسئولية الأسرة.

* الاكتشاف المبكر هو مسئولية الأسرة.

* والعلاج هو مسئولية الأسرة.

ومن ثم يجب الاتى لكى تلقى مراهقينا من الوقوع فى دائرة الإدمان:

١- الرقابة المحكمة من الآباء تخلق مراهقًا يستطيع أن يتحكم فى نفسه وأن يسيطر إلى حد بعيد على نزواته، وأن يكون أقل اندفاعًا وأكثر انضباطًا، التساهل، والحرية المطلقة شيان ضاران تمامًا، وكذلك إعطاء النقود بلا حساب يشكل أحد العوامل الهامة.

٢- يجب على الأسرة أن تعمل كفريق، كل فرد داخل الأسرة لابد أن يكون له دوره، وهذه الأدوار تلتقى لتحقيق الأهداف العامة للأسرة، إن هذا هام للتفاعل وحل المشكلات والصراعات، حتى الطفل يجب أن يشعر أنه هام ونافع، وأن هناك حاجة إليه، مطلوب من جميع أفراد الأسرة أن يكونوا متضامنين متحدين، وبذلك تصبح المشكلة الشخصية مشكلة عامة تهم الجميع.

٣- يجب أن يكون هناك حوار دائم بين أفراد الأسرة، وهذا يحقق الاتصال والتواصل بينهم، وهذا الحوار يجب أن يكون فى كل الأحوال إيجابيًا «وبناء»، وأن يعبر عن مدى اهتمام كل فرد من الأسرة لسماع الآخرين والاستجابة لما يقولون.

والحوار يخلق اهتمامات مشتركة، وأيضًا يخلق الاحترام بين الجميع، تلك هى العلاقة الإيجابية البناءة، وتلك هى الوسيلة للحفاظ على الروح المعنوية للأسرة ككل والروح المعنوية لكل فرد فيها.

والبداية تأتى من الأب والأم، وهما الزوج والزوجة، العلاقة بينهما لابد أن تكون مشبعة، وبذلك يعطيان مثالاً للسعادة والبهجة فى الحياة، بعض اكتئاب الحياة يأتى من الأب غير السعيد، والأم غير السعيدة، وهذا يبعث جو الكآبة فى البيت، يسعد الأبناء حين يكون الأب والأم نموذجين للسعادة، ونموذجين

للحب، والأب والأم كذلك يكونان نموذجين للحياة: العمل الشريف، وكسب المال والإنفاق على الأسرة، والعلاقة الطيبة مع الجيران والأصدقاء والزملاء، والاعتزاز بقيم الشرف والأمانة في العمل، وفي العلاقات، هذا النموذج أمام الابن يجعله يحترم نفسه، ويشعر بذاته كقيمة وكإنسان، وهذا يجعله أقدر على مواجهة المشاكل، وعلى التحكم الذاتي، وعلى التنظيم الذاتي، وأن يتطلع إلى المستقبل محددًا أهدافه.

ولكن يجب أن نسمح للمراهق بأن يعترض، وأن نستمع له بصبر، ولا بد أن نتوقع منه أشياء عجيبة وغريبة، ولكن يجب ألا نرهقه أو نقهره ويجب أن نتوقع أن تحدث صراعات بين الأب والأم، وبينهما وبين ابنهما، ولكن لا بد أن يكون هناك استعداد دائم لحل الصراعات مهما كانت، وأهم شيء هو الحديث.

ويمكن إجمال النصائح الآتية للآباء:

- ١- استمع إلى أبنائك.
- ٢- تذكر فترة مراهقتك وحيرتك وضعفك.
- ٣- أعط كل اهتمام لتشعبة أولادك تشعبة سليمة.
- ٤- ساعد ابنك ليكون سعيداً.
- ٥- امرح والعب مع ابنك.
- ٦- انتقد ابنك ولكن امزج ذلك بالمديح.
- ٧- تنبه لأعراض التعاطى التي قد تظهر على ابنك.
- ٨- اجمع أكبر قدر من المعلومات عن إدمان المواد المختلفة، الوقاية منها، أعراضها، علاجها.

وهناك لما سبق النقاط التالية:

- ١- توجيه الإعلام بطريقة هادفة غير مباشرة؛ فيجب عدم التعرض لمشكلة إدمان المخدرات بطريقة الاجتهاد الذاتي، ولكن من خلال استراتيجيات هامة ودراسات نفسية واجتماعية.

فالمدمن يتبع مبدأ اللذة الفورية ولا تهمة العواقب والمضاعفات وكثيراً ما يبدأ استكشاف المواد المخدرة بعد مشاهدة أفلام أو برامج تليفزيونية دعائية أكثر من أن تكون هادفة.

مثلاً، من الأفكار الشائعة أن الشم الأولى تؤدي إلى الإدمان، وهذا ليس صحيحاً؛ فالمشكلة ليست في الشمة الأولى، ولكن في المتعة التي تعقبها والتي ستدفع للبحث عن المادة بعدها.

كذلك يجب اتخاذ شعارات هادفة بدلاً من البرامج المملة المكررة، كأن يحكى المدمن قصته وتوبته، وقد اتخذت حملة المخدرات في الولايات المتحدة شعار «قل لا ولو مرة واحدة»؛ ذلك عند عرض الهيروين على الشخص للمرة الأولى، أو بعد شفائه وعرضه عليه ثانياً من قراء السوء.

٢- زيادة اهتمام رجال الأمن وتكثيف الحملات.

٣- تشريعات قانونية لعقاب التجار ولعلاج المدمنين تطوعاً أو إجباراً.

٤- يجب توعية المدرسين في المدارس من أخطار الإدمان، وإعطاء الأطفال بدءاً من مرحلة الابتدائي والإعدادي دروساً خارج المقررات أو داخلها عن الآثار السيئة التي تترتب على تناول هذه المواد.

٥- توعية رجال الدين ويكون الشعار في كل المساجد أن كل مسكر خممر وكل خممر حرام؛ حيث إن التأثير الديني له فاعليته النفاذة.

٦- توعية الآباء والأمهات، فمثلاً غياب الأم أو الأب في مرحلة المراهقة لسفرهم للرزق وإبدال الحب والأمان بإغراق أبنائهم بالمال قد يؤدي إلى انحراف الأبناء.

٧- زيادة الوازع الديني في المدرسة والأسرة وقدوة الوالدين.

٨- الاهتمام بالتقدم الدراسي والعلمي والثقافي.

٩- عدم التشكيك فى التاريخ والقيادة والقُدوة؛ لأن ذلك يشعر الشباب بالاختراب واليأس وفقد الأمل والهروب من الواقع.

١٠- توعية الأطباء والممارس العام.

١١- محاضرات للأطباء النفسيين فى المحافظات؛ حيث إن خبراتهم فى مجال علاج الإدمان محدودة.

كما يجب ملاحظة المظاهر السلوكية الآتية على الابن أو الابنة؛

* تغيير فى السلوك والتصرفات وفى الطباع، حالة إثارة غير عادية يعقبها خمول ذهنى تام، كما أنه من الشائع رؤية المتعاطى (وخاصة متعاطى الهيروين) وهو يتطوح برأسه أمام صحنه أثناء الطعام أو ينهار خائر القوى فوق المنضدة أثناء الحديث.

* اليقظة أثناء الليل والنوم بالنهار مما يجعل الانتظام فى العمل - أى عمل أو دراسة - مستحيلًا مما يترتب عليه فى أغلب الأحيان ترك العمل أو الدراسة نهائياً.

* اختفاء الأشياء الثمينة من البيت وسرقة المجوهرات أو المال.

* العصية والمشاجرات مع الوالدين والإخوة أو مع المدرسين.

* الخروج من المنزل كثيراً.

* وبشكل عام، يمكن للأسرة أن تشعر أن ابنها المتعاطى للمخدرات موجود ولكن غير موجود هنا، إنه فى عالم آخر، لاعلاقة له بالواقع، غريب الأطوار، المادة المخدرة، تعزله عن الواقع وتخلعه من البنية العائلية والاجتماعية، وتفقده الإحساس بالزمان والمكان.

(٨) وللمراهق أقول... المخدرات محرمة شرعاً:

عملت الشريعة الإسلامية على تنظيم الحياة الإنسانية وفق منهج واضح يهدف إلى تحقيق مصالح الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة؛ حيث قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل، ٨٩].

وعلى هذا فإن كل ما يصون المجتمع الإسلامي ويحقق مصالحه مطلوب في الشريعة الإسلامية، بالقدر الذي تكون به صيانة المجتمع الإنساني وتحقيق مصالحه، وقد بين علماء وفقهاء الإسلام المصالح التي جاءت الشريعة لتحقيقها:

١- ما هو ضروري لقيام الحياة الإنسانية وبدونه تنهار هذه الحياة.

٢- ما لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنه إلا بتعب ومشقة.

٣- ما يمكن أن يكمل ويرقى حياة الإنسان وينهض بالأمة بما فيه من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

ومن خلال عرض هذا المنهج فإن المخدرات تعتبر فساداً كاملاً للفرد وللأمة؛ حيث إن الفرد يعرض حياته للخطر ويقتل نفسه تدريجياً عن طريق التعاطي ثم الإدمان، ويفسد عقله واتزانه وقدرته على التفكير السليم الذي ميز الإنسان عن غيره من المخلوقات وينتهي الأمر إلى ضياع المجتمع.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية في طليعة من تنبه إلى أخطار هذه الخبائث وتحدث عنها في مواضع شتى من مؤلفاته كالفتاوى والسياسة الشرعية وغيرها ، وقال:

(إن تغييب العقل حرام بإجماع المسلمين)، وقال: (إن كل ما يغييب العقل يعرّم باتفاق المسلمين).

وبناء على ذلك لم يظهر خلاف بين فقهاء الإسلام في تقرير حرمة تعاطي المخدرات والإتجار فيها وزراعتها وأن كل ما يجنى من ذلك هو محرم خبيث؛ حيث

ظهرت آثار المخدرات السيئة سواء على الفرد أو المجتمع، وينطبق ما جاء في تحريم
الخمر على الخدر وفي هذا يقول الحق:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرُّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيْنَا رَسُولُنَا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١، ٩٢].

لقد وصفت الآيات القرآنية الخمر بالرجس وأنها من عمل الشيطان، كما بين
الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ: (كراهية الخمر، حيث قال: «لعن الله شارب
الخمر وساقيةها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها واغمولة له».

ومثل هذه الأقوال تتناول سائر المخدرات من حشيش وأفيون ومورفين وهيروين
وكوكايين وأدوية نفسية وما شابه لاشتراكها جميعاً في علة الضرر وتغييب العقل
وجلب المفسدة، ومن أقوال ابن تيمية: (من زال عقله بسبب محرم كشرب خمر
أو أكل حشيش أو أكل بنج ونحو ذلك فهؤلاء يستحقون الدم والعقاب على ما
أزالوا به العقل).

هذا وقد ألحق بعض الفقهاء التبغ (الدخان) من حيث الحكم بهذه المخدرات
نظراً لثبوت الضرر الذي يلحق بمتناولها وقرروا أن تناوله حرام وخاصة إذا قرر
ذلك طبيب مختص بالنسبة لشخص معين ولو لم يثبت ضرره الصحي، لكن
إضاعة المال فيما لا ينفع في الدين أو الدنيا حرام، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة
المال، ويتأكد النهي إذا كان محتاجاً إلى ما ينفقه من مال لنفسه أو عياله، ولزيد
من المعلومات حول هذا الموضوع انظر كتابنا: (المراهقون وتدخين السجائر في
المجمع المصري).

وللمخدرات آثارها اخطيرة التي تصيب الأفراد في أجسامهم وعقولهم واتجاهاتهم وتفكيرهم، وتلحق بالمجتمعات أشد الأضرار ومن مساوئها:

١- أنها تشجع الفجور والفسق والفاحشة والرذيلة والانحرافات الجنسية.

٢- تدمر الأسرة وتشرد أفرادها؛ فيلاحقهم البؤس والشقاء.

٣- تدمير العلاقات الاجتماعية، وإثارة العداوة والبغضاء والحقد بين الناس.

٤- تدمير اقتصاد الأسرة ومن ثم اقتصاد المجتمع.

٥- استهلاك جزء من ميزانية الدولة في سبيل مكافحة المخدرات.

٦- تزيد من الإصابة بالأمراض العقلية.

ومن ثم يقول ابن حجر: (إن من شأن الإسكار باخمر أن يتولد عنه النشاط والطرب والعريضة والحمية، ومن شأن السكر بنحو الحشيشة أن يتولد عنه أضرار من تخدير البدن وفتره ومن طول السكوت والنوم وعدم الحرية).

وأفتى المرحوم الإمام محمد الأحمدي الطواهرى شيخ الأزهر الأسبق بتحريم تعاطى المواد المخدرة فقال: قال الله تعالى: «ولا تقتلوا أنفسكم»، وقال: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»، وقد خبر المتعاطون أن تعاطى المواد المخدرة يضر بالنفس والعقل، وأن قليلها يفرى إلى كثيرها، وعلى ذلك فهي محرمة كلها شرعاً.

كما أفتى المرحوم الشيخ عبد الحميد سليم مفتى مصر وشيخ الأزهر الأسبق: (لا يشك شك ولا يرتاب مرتاب فى أن تعاطى هذه المواد حرام لأنها تؤدى إلى مضار جسمية ومفاسد كثيرة؛ فهي تفسد العقل، وتفتك بالبدن).

ولذلك قال بعض علماء الحنفية: إن من قال بحل الحشيش زنديق مبتدع، وقد تحدث ابن تيمية عنها فى فتواه: إن هذه الحشيشة الملعونة هى وأكلوها ومستحلوها لموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة صاحبها لعقوبة، تشتمل على ضرر فى دين المرء وتعلمه وخلقه وطبعه وتفسد الأمزجة التى جعلت خلقاً كثيراً مجانين.

وقال المرحوم الدكتور محمد عبد الرحمن يهنا شيخ الأزهر الأسبق: (إن الفقهاء يرون أنه لا فرق في الحكم بين المواد السائلة والمواد الجلمدة، وأنه يحرم تعاطيها جميعاً إذا أسكرت أو خدرت).

وقال رسول الله ﷺ: « كل مسكر خمر وكل خمر حرام »، وهذه مسكرة وفيها من المفاسد ما حرمت الخمر لأجلها، فكثيرها يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ويسكر تعاطيها وتفتر قواه وهي بالإدمان عليها تورث قلة الفيرة وزوال الحمية، وتفسد الأمزجة حتى يصاب خلق كثير ممن يتعاطون بالجنون.

وقالت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف: لا ينبغي لمسلم أن يشك أو يرتاب في أن تعاطى الخشيش على أى وجه حرام لأنه يؤدي إلى مضار جسيمة ومفاسد كثيرة؛ فهو يفسد العقل ويفتك بالبدن، إلى غير ذلك من المضار والمفاسد، فلا يمكن أن تأذن الشريعة التي جاءت بما يحفظ العقل والبدن والدين والعرض والمال بتعاطيه مع تحريمها لما هو أقل منه مفسدة وأخف ضرراً.

ومما ذكرنا سابقاً، يتبين أن الخشيش قليلاً كان أو كثيراً حرام على أى وجه كان، أكلاً أم شرباً.

في ضوء ما سبق نستعج الآتى:

١- أجمع فقهاء المذاهب الإسلامية على تحريم إنتاج المخدرات وزراعتها وتجارتها وترويجها وتعاطيها طبيعية أو مخلقة وعلى تجريم من يقدم على ذلك.

٢- لا ثواب ولا مثوبة لما ينفق من ربحها.

٣- الكسب الحرام مردود على صاحبه يعذب به في الآخرة في النار وساءت مصيراً.

٤- لا يحل التداوى بالمخدرات إلا عند تعينها دواء وعدم وجود مباح سواها ويقدر الضرورة حتى يزول هذا الإدمان وبإشراف الأطباء المتقين لمهنتهم.

٥- المجالس التي تعد لتعاطي المخدرات مجالس فسق واثم والجلوس فيها محرم على كل ذى مروءة.

٦- على الكافة إرشاد الشرطة المختصة لمكافحة تجارة هذه السموم القاتلة والقضاء على أوكارها.

٧- هذا الإرشاد هو ما سماه الرسول الكريم ﷺ بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ونضيف لما سبق، أن القانون يجب أن يكون رادعاً، وأن هذا التزيف الذي سببه الإدمان يجب أن يتوقف، وأن يعدم كل من تسبب في ذلك من التجار، أما المدمنون إذا لم يعودوا فهم إذن مفسدون في الأرض.

وقد أدرك كثير من العلماء والباحثين أنه ليس هناك من مذهب لطباع الشعوب كالدين، الذي يحمي الإنسان ويحيطه بسياج من الوقاية، يحميه من أن يقع في اغبيات، بعد أن يغرس في نفسه قواعد الحلال والحرام، ويعرفه على المباح والمحظور، وبعد ذلك ستظل البشرية تتخبط في تجاربها بين نظام وآخر، حتى تعود إلى حظيرة الدين، وهنا تتجلى عظمة الإسلام الذي جعل من أهم الضروريات أن يحافظ الإنسان على عقله ونفسه وماله ووقته، وألا يلقى بنفسه إلى التهلكة، وحذره من أن يقرب دائرة الحرام، بل حذره من أن يقترب من دائرة المشتبهات حتى يستبرئ لدينه وماله وعرضه، وصدق الله العظيم الذي وسعت رحمته كل شيء وكتبها للذين يتقون من المؤمنين الذين يصفهم بقوله :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف، ١٥٧].

وأكرر للمرة الألف، أن القرآن الكريم حرم الخمر والمسكرات، كما بين الرسول ﷺ وبين الفقه الإسلامي - عزيزي المراهق - عدم مجالسة شارب الخمر

ومتعاطى المخدر؛ حيث أوجب على المسلم أن يقاطع مجالس الخمر والمخدرات، حيث قال سيدنا محمد ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر».

وتحتمل محاربة الإسلام للمخدرات في الآتي:

- ١- العمل على توثيق الصلة بين الإنسان وربه مع ترسيخ مفهوم العبودية لله.
- ٢- حث المسلم على الالتزام بالأخلاق الفاضلة والبعد عن المعاصي.
- ٣- إلزام المسلم بالشعائر حيث يتزود بالفضيلة والإقبال على الله والامتناع عن الشر.
- ٤- العمل على ترابط الأسرة وتماسكها وحمايتها من الانحراف.
- ٥- الترابط والتكافل الاجتماعي والتعاون بين المسلمين .
- ٦- تكون العقوبة رادعة حازمة صارمة حتى لا يعود الجاني للمعصية.

وأخيراً .. فإن الله الذي حرم هذه الموبقات المخدرات المهلكات للأنفس والأموال حرم أم الغبائث الخمر، وقد آن لنا أن نخشع لذكر الله وما أنزل في قرآنه وعلى لسان نبيه ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبِيهِمْ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.

آن لنا أن نجعل هذا الحكم نافذاً في مجتمعنا حماية لأولادنا ونساتنا وأولادنا وأخيراً طاعة لربنا.

المراهقون والشنوذ الجنسي

يترتب على النمو السريع للجهاز التناسلي، وصول النضج إلى ذروته بما يتضمنه ذلك من نشاط جنسي أو رغبة فيه على الأقل، وبينما يبدو بعض الأطفال

قادرين على الاستجابة الجنسية الحقيقية، فإن الميل والنزعات الجنسية تبدو أكثر حدة عند البلوغ- خاصة لدى الصبيان- ومن هنا يعيش الصبيان في كثير من الأحيان الاستثارة الجنسية وما يصاحبها من توتر، مما يترتب عليه أن يعاني الصبي رغبة جنسية ملحة تتطلب الإشباع الذي يتحقق من خلاله تفرغ التوتر وتصريفه.

ويخلص Kinsey and et.al ، إلى أن الذكور يبدأون أكثر نشاطاً من الناحية الجنسية خلال سنوات المراهقة (١٣-١٩ سنة) وأن سنوات منتصف المراهقة تمثل أعظم الفترات في حياة الفرد من حيث النشاط الجنسي وأن المراهقين الذكور يتفوقون بشدة على المراهقات من حيث عدد ما يعيشونه من نشوات جنسية orgasms مختلفة الأنواع؛ فقد ذكر المراهقون ممن تصل أعمارهم الزمنية إلى ١٥ عاماً، أن متوسط ما يعيشونه من نشوات جنسية يبلغ خمس مرات كل أسبوعين، بينما أوضح ٢٣٪ فقط من مراهقات نفس السن أنهن قد مررن بنشوة جنسية وبمتوسط يقل عن مرة واحدة كل أسبوعين، ويمكن أن يصبح معدل النشاط الجنسي لدى المراهقات أعلى مما سبق عندما نأخذ في الاعتبار مدى تواتر الإحساس أو الرغبة الجنسية، بدلاً من الاقتصار على النشوة الجنسية كمحك، ولعل مما يؤيد ذلك أن نسبة الفتيات اللاتي ذكرن أنهن قد مررن باستثارة جنسية في سن ١٣ سنة تبلغ (٣٤٪)، بينما تصل هذه النسبة إلى (٥٣٪) في سن ١٥ سنة، (٨٩٪) في سن العشرين.

يمكن القول في ضوء ما سبق، بوجود مشاعر ورغبات جنسية لدى المراهقين من الجنسين، وإن كانت هذه المشاعر والرغبات أكثر حدة لدى الصبيان مما هي عليه لدى البنات، كما أن هناك فروقا فردية واسعة بالطبع لدى المراهقين من الجنسين من حيث معدل تكرار الرغبة الجنسية وحدتها، ناهيك عن سبل إشباعها.

وفي هذا الإطار، يقول دوجلاس توم: إن كثيراً من أشكال الصراع العقلي وأنواع الشذوذ التي نشاهدها في الكبار والصغار على السواء ترجع مباشرة إلى المواقف أو الخبرات السيئة في الأمور الجنسية، وليس هناك طوال العمر من قوة في

الدنيا وفي الحياة الفعلية بأجمعها أكثر من تلك القوة إلحاحاً في سبيل الظهور على أى شكل من الأشكال، كما أنه ليس هناك أية قوة غيرها تلقى من عنت الجماعة والأسرة والفرد في التضيق على حريتها واحاطتها بالقيود قدر ما تلقى الميول الجنسية من عنت وتقييد.

فالميل الجنسي من أقوى الدوافع الغريزية وأبعدها أثراً في حياة الإنسان، ونظراً لما يحيط بهذا الدافع من قيود وتقاليد وأوضاع اجتماعية وخلقية تؤثر في سير نموه الطبيعي فقد اهتم علماء النفس ببحث ما يعتره من الانحرافات وضروب الشذوذ الجنسي المختلفة التي يمكن أن تتضح من الأمثلة الآتية:

أولاً: البرود الجنسي والارتقاء؛

وهو يسبب كثيراً من حالات الشقاء العائلي، ويرجع لأسباب فسيولوجية أحياناً، إلا أن معظم حالاته ترجع لعوامل نفسية، ومما يدل على ذلك أنه يحدث أحياناً في فترات زمنية مؤقتة يعود بعدها الشخص إلى الحالة الطبيعية، كما أنه قد يحدث عند الفرد في حالة الاتصال الجنسي بشخص معين دون غيره.

وتعزى حالات البرود الجنسي في الإناث إلى القلق اللاشعوري الذي يرتبط بتوهم الخوف من عدم الكفاية وعدم تحقيق الإشباع الجنسي الكامل، أو إلى ما يتعلق بالمركب الأوديبي وتصور البنت لوالدها في شخص من يجامعها، أو إلى توقف نمو الإحساس الجنسي عند المنطقة اغمارجية فقط، وليس داخل المنطقة المهبلية، وما قد ينتج عن ذلك من اشتقاق اللذة الجنسية بالسحاق وما يصاحبه من صراع نفسي؛ مما يؤدي إلى البرود عند الاتصال الجنسي.

وقد تصل هذه الحالات من الخطورة إلى درجة تجعل المرأة- رغم رغبتها في الجماع الجنسي- تتأبها تقلصات مؤلمة في المهبل تجعل الجماع أمراً مستحيلاً، وهي حالة نادرة ترجع أسبابها إلى احتمال وقوع اعتداء جنسي مبكر مصحوب بفرع وخوف مكبوت.

كما تعزى حالات الارتخاء في الرجل إلى أسباب مشابهة في أساسها النفسى، وخصوصاً ما يعترى الشخص من شعور بالنقص وتوهم عدم القدرة الجنسية، وتكرار محاولته للاتصال الجنسى بقصد تعمد الانتصاب وما يعترى ذلك من الفشل الذى يضاعف المشكلة.

ثانياً: إدمان العادة السرية؛

وتبدو هذه الظاهرة بوضوح فى دور المراهقة عند البنين والبنات، نظراً لما يحيط بحياة المراهقين والمراهقات من ظروف تحتم ضرورة تأجيل الزواج الشرعى مدة طويلة، وحدوث الاستمناء فى ذاته لأسباب تجمع الإفرازات الجنسية والتخلص منها أو لغيره من الأسباب لا يعتبر أمراً شاذاً فى ذاته، إذا علمنا أن أكثر من ٧٥٪ من الأشخاص قد زاولوا هذه العادة فى فترة من فترات حياتهم، وأن أغلبهم يتخلص منها بالتدرج.

ولكن الاستمرار على إدمانها وما يحيط ذلك من توهم ضررها وتأييب الضمير والرغبة فى الإقلاع عنها، وانهايار عزيمة الشخص أمام تسلط العادة عليه، وما ينتج عن ذلك من ضروب الصراع والشعور باخطيئة وكتمان كل ذلك ومحاولة التظاهر بما يخالف الواقع، هو الذى يؤدى إلى الشقاء النفسى ومضاعفة الاضطراب.

وتفسر الحالات الشاذة فى هذه العادة على أساس توقف النمو الجنسى عند مرحلة اللذة الذاتية عندما كان الطفل يتلمس اللذة الحسية من أجزاء جسمه فى أيام الطفولة الأولى، وما لقيه الطفل إزاء ذلك من ضروب العنت والمقاومة والتحریم الشديد، ويضاف إلى ذلك ظروف حياة الشخص الحاضرة وافتقارها إلى التفاهم والعطف والإرشاد.

ويدور أن التفسيرات الثقافية لظاهرة العادة السرية Masturbation ، تنتهج سبلاً يشوبها كثير من الغلط والاضطراب والتشويش، مما يؤدى إلى جهل الأبناء أو عدم تبصرهم بحقيقة هذه العادة ومراميتها وعواقبها، وتعثر الآباء وتخبطهم فى مواجهتها عندما تشيع بين أبنائهم فى مرحلة المراهقة.

وقد كانت الفكرة الشائعة قديماً تعتبر الاستمنا من الأمور المخجلة أو المعيبة ومن قبيل الإثم أو الخطيئة، بيد أن هذه الفكرة غدت فكرة باطلة في الوقت الحاضر، وأصبح مرشدو الأمور الجنسية المعاصرون يميلون إلى النظر إلى هذه العادة على أنها ليست شراً خالصاً، ومن ثم فهي في نظرهم ليست مستحبة تماماً وبأى معدل، بل لا بد من الاعتدال في ممارستها ومراعاة الإقلال منها قدر الإمكان، وعلى الرغم من أن هناك تقبلاً كاملاً لحقيقة عدم تسبب الاستمنا في أى ضرر جسمي، يعانى البعض من فكرة مقلقة Nagging idea مؤداها أن عملية الاستمنا ذات عواقب ضارة من الناحية النفسية.

ويعرض بلوس Blos ، وجهة نظر مدرسة التحليل النفسى فى هذا الصدد؛ حيث يرى أن عملية الاستمنا تلعب دوراً ضرورياً- وإن كان وقتياً- فى النمو النفسى الجنسى للفرد، فمن خلال الاستمنا، يربط المراهق خبراته الجنسية التى مر بها فى طفولته بحاضره ومستقبله، وتصبح اللذات الجنسية الطفلية (Infantile sexual pleasure)، ليست هدفاً فى حد ذاتها، بل جانباً من جوانب الفعل الجنسى الغيرى الناضج Mature Heterosexual Act فيما بعد ، ويربط المراهق- بواسطة الخيال والتوهم الذى يعيشه فى عملية الاستمنا -الخبرة الجنسية الانفرادية بأفعال ونشاطات الجنسية الغيرية.

وعلى هذا النحو ، تعزز العادة السرية نمو الفرد وتشجع عليه، أما إذا اكتسبت هذه العادة صفة الاستمرار، وأصبحت وسيلة ضرورية أو لا غنى عنها لتخفيف حدة التوتر، عندئذ ينحرف النمو عن مساره الصحى والصحيح ويصبح الاستمنا أمراً مرضياً.

وبالإضافة إلى وظيفتها فى تكامل أو إكمال الخبرة الكلية بالجنس تساعد عملية الاستمنا على تخفيف التوترات الجنسية بالنسبة للأفراد الذين لا تتوافر لديهم أو تتاح لهم سبل الجنسية الغيرية ومنافذها، ويأتى ضمن هؤلاء الأفراد أولئك الذين يحرصون على مسايرة مقتضيات الواقع الثقافى الاجتماعى

بخصوص إشباع الدافع الجنسي، ويلزمون أنفسهم بأحكام هذا الواقع ومتطلباته في هذه الناحية، ويأتى ضمنهم كذلك أولئك الأفراد الذين يختارون تجنب ممارسة الاتصال الجنسي، مفضلين إرجاء بدء هذا الاتصال إلى أن يستطيعوا إتيانه مع شريك دائم، يجمعهم وياه علاقة حب عميق.

ويمكن القول إن تأثير ممارسة العادة السرية على هؤلاء الأفراد يتحدد سلباً وإيجاباً - إلى حد كبير- في ضوء ما إذا كان أى منهم يعتبر هذه العادة أمراً ضاراً، أو مخزياً، أو شريكاً، أو أنه يرى فيها أمراً طبيعياً وبدليلاً محايداً لنشاط ينبغي إرجاؤه.

ثالثاً: الجنسية المثلية؛

وهى التى يتجه فيها الدافع الجنسي فى غير الاتجاه الطبيعى، فتعشق البنت أنثى أخرى، ويميل الولد أو الرجل إلى الاتصال الجنسي بغيره من الذكور. وترجع بعض هذه الحالات إلى عوامل فيولوجية كاضطراب الغدد الصماء أو إلى شذوذ فى بنية الجسم والجهاز التناسلى، كما أن بعض العلماء يقرر أن صفات الذكورة والأنوثة موجودة فى كلا الجنسين بدرجات متفاوتة، وأن بعض الذكور يكونون بطبيعتهم أميل إلى الأنوثة، كما أن بعض الإناث قد يكونون أميل إلى الذكورة، كما يرى بعض علماء التحليل النفسى أن كل شخص يمر فى حياته بمرحلة يشعر فيها بانجذاب نحو أفراد من نفس جنسه لدرجة قد لا تكون واضحة، وهى مرحلة طبيعية عادية ولكنها عارضة، أما ما يحدث من حالات عشق الجنس الشاذة فترجع إلى ما حدث من تثبيت ووقوف النمو عند هذه المرحلة فى بعض الأفراد لأسباب تربوية مختلفة، كما أن بعض العلماء الآخرين يؤكدون أهمية ظروف الوسط والبيئة وما يحدث للشخص من عدوان يتطور إلى استمرار هذه العادة.

وتتخذ ظاهرة الجنسية المثلية درجات متفاوتة؛ فبعض من يتصفون بهذا الانحراف يشعرون بمجرد وجود هذا الميل الشاذ عندهم بدون أن يسعوا إلى

إشباعه فعلاً، بينما البعض الآخر يملكهم هذا الشعور بصورة تدفعهم للإشباع وضرورة الاتصال الجنسي، كما تصل بعض الحالات إلى درجة من العنف، بحيث تؤدي إلى وجود علاقات مع أفراد من نفس الجنس تصل في قوتها إلى اتخاذ صورة مشابهة للمعاشرة الزوجية العادية.

وتعالج هذه الظاهرة بدراسة ظروف الشخص والعمل على إقناعه بضرورة التعاون على التخلص من هذا الشذوذ، ولكن الحالات الشديدة من هذه الانحرافات تجعل المريض بها في حالة سيئة لدرجة تجعله عبداً لهذا الانحراف، رغم ما قد يتظاهر به من الرغبة في التخلص من علته، ويكون الشذوذ متأصلاً في أعماق نفسه لدرجة تجعل من الصعب عليه أن يتعاون التعاون الصادق مع المحلل النفسي المعالج، ولهذا يتدرج نجاح العلاج في هذه الحالات.

رابعاً: الشذوذ في حب الإيذاء وحب التأذي:

من الأمور الطبيعية التي تساعد على تحقيق الاتصال الجنسي الطبيعي، اتصاف الرجل بالقوة والخشونة والسيطرة، واتصاف المرأة بالضعف والرقّة والجمال والخضوع، غير أن هذه الصفات الطبيعية قد تتخذ مظاهر شاذة في بعض حالات الانحراف الجنسي، كأن يشفق الرجل لذته الجنسية عن طريق توقيع الأذى على الجنس الآخر، والعمل على تعذيبه في قسوة ووحشية، وهذا يسمى بالنزعة إلى الإيذاء أو السادية.

وينظر ذلك المظهر العكسي، وهو حب التعذيب أو الماسوكية الذي يبدو عند الإناث ممن لا يهتمن بالإشباع الجنسي بالجماع في ذاته بقدر ما يهتمن الوقوع بين يدي رجل قوى الشكيمة صلب المراس، يقسو عليهن في غير رفق ويمتصرهن بين يديه القويتين، ويصل هذا الشذوذ لدرجة تجعل المرأة لا تستريح جنسياً إلا بالتألم والضرب المبرح.

هذا وقد تنعكس الآفة بأن توجد حالات من السادية أو حب الإيذاء في بعض السيدات؛ بحيث لا يلدنهن الإشباع الجنسي إلا مع شخص ضعيف مستكين

يحركته فى عنف وقسوة، كما يوجد بعض الرجال ممن يشتقون لذتهم الجنسية مع النساء المترجلات خصوصاً إذا كن قادرات على إيلاهم وتعذيبهم.

على أن ظهور هذه الحالات الشاذة يحمل وراءه تاريخاً مليئاً بالصعوبات النفسية المتعلقة بالدافع الجنسي وموقف الكبار منه فى أيام الطفولة، وما يعترى ذلك من خدش للكرامة والكبرياء؛ مما يؤدى إلى الذلل والعبودية أو إلى العكس فى حالة حب الانتقام والتعذيب وإظهار السيطرة والقوة.

خامساً: الشذوذ فى العرض والاستعراض؛

فالتجمل فى المرأة أمر طبيعى، وله أهمية بيولوجية تساعد على جذب انتباه الرجل واهتمامه، ولكن هذا الميل الطبيعى قد يتطور إلى صورة شاذة بحيث يؤدى بالمرأة إلى حب العرض فتميل إلى المبالغة فى عرض جسمها عارياً بحيث تشتق اللذة الجنسية من مجرد الحصول على نظرات الرجال وتأملهم لمفاتن جسمها، دون أن تشعر بجانب ذلك بأى رغبة فى الإشباع الجنسي الطبيعى، ويمكن أن نلمس هذه الظاهرة فى إحدى درجاتها المخففة فى بعض هاويات الرقص والمغرمات بالعراء.

وينظر ذلك حب المشاهدة وميل الرجل لملاحظة جمال المرأة والأجزاء الحساسة من جسمها، وشذوذ هذا الميل بحيث يكون مجرد التأمل والنظر هو نهاية القصد للإشباع الجنسي، وبحيث يفنى ذلك عن العملية الجنسية ذاتها.

ويلاحظ أن الأشخاص العاديين قد توجد لديهم هذه النزعات ولكن بدرجة معقولة، فلا تؤدى إلى الاقتناع بها عن الفعل الجنسي ذاته، بل تساعد على حدوثه، كما أن أى النوعين قد يوجد عند بعض الرجال أو النساء.

ويفسر الشذوذ فى هاتين الناحيتين على أساس السلوك بطريقة دفاعية يستعصم بها الشخص عن التورط فى الاتصال الجنسي الذى يخشى عدم نجاحه

بطريقة لا شعورية، وأحياناً يرتبط التفسير بعقدة الخوف من الغصبي ومحاولة الشخص الثبت من وجود الأجزاء التناسلية بإطالة النظر إليها أو تعريضها. سادساً: انحرافات أخرى؛

وهناك أنواع أخرى لهذه الانحرافات، مثل اشتقاق اللذة الجنسية عن طريق الأشياء المادية المتعلقة بالجنس الآخر، كأن يهوى الرجل قطعة من ملابس امرأة: كحذائها أو قميصها؛ بحيث يكفى بارتدائه ليشبع شهوته الجنسية، دون الحاجة إلى الاتصال الجنسي الصحيح.

كما توجد أنواع من الشذوذ تبدو في اشتقاق اللذة الجنسية عن طريق الاتصال الجنسي بالحيوانات، وتظهر بعض حالاتها في مناطق الريف، وترجع لأسباب مختلفة، أهمها عدم قدرة الشخص على الاتصال الجنسي الطبيعي بسبب الضعف العقلي أو المرض العقلي أو الحرمان... إلى غير ذلك.

هذا وقد تحدث انحرافات جنسية أخرى أقل خطورة؛ من حيث تعقيد العوامل النفسية فيها، ومن أمثلة ذلك الجرائم الجنسية الخلقية مثل:

١- حالات الزنا.

٢- الدعارة.

٣- الاغتصاب.

٤- هتك العرض.

٥- جماع الأطفال.

٦- جماع المحارم.

٧- جماع الموتى.

الأعراض:

ومن ثم، وفي ضوء العرض المختصر السابق لأشكال الانحرافات الجنسية، يمكن تلخيص أهم أعراض الشذوذ الجنسي في الآتي:

(١) نحو نفس الجنس: الجنسية المثلية (اللواط والسحاق).

(٢) نحو موضوعات مادية: التعلق الجنسي بالأشياء التي يستعملها الجنس الآخر، بدلاً من الشخص نفسه كاللباس أو جزء من جسمه كالشعر مثلاً.

(٣) نحو المومسات: البغاء، والاستهتار والاستسلام الجنسيان.

(٤) نحو اللات: النشاط الجنسي الذاتي المفرط (العادة السرية)، والأدوات البديلة، والترجسية (عشق الذات).

(٥) انحراف الدرجة: الإفراط الجنسي، والشبقية المرضية (الشهوة المرضية)، التقزز والاشمئزاز ونقص الرغبة، والبرود الجنسي (عند الأنثى) والعنة (الضعف الجنسي عند الذكر).

(٦) مظهرية: الاستعراض الجنسي، والرغبة في لبس ملابس الجنس الآخر والتشبه بهم.

(٧) إجرائية: السادية (حب التعذيب للمحبوب)، والماسوكية (حب العذاب من المحبوب) والاحتكاك الجنسي.

(٨) إجرامية: الاغتصاب، وهتك العرض، وجماع الأطفال.

(٩) حيوانية: جماع الحيوان.

(١٠) نافرة: جماع المخارم.

(١١) أخرى: الفرجة الجنسية، والعصاب الجنسي.

الأسباب:

في ضوء الانحرافات الجنسية السابق عرضها، قد نتساءل ما هي الأسباب الكامنة - بشكل عام - وراء تلك المظاهر السلوكية الشاذة!!؟

والإجابة تمثل في الآتي:

(١) الاضطرابات الفسيولوجية مثل : خلل الجهاز العصبي الذاتي، وخلل الجهاز التناسلي، واختلال إفرازات الغدد، والبكور الجنسي أو تأخر البلوغ، والعقم ونقص نمو الخصائص الجنسية الثانوية، والبلوغ الجنسي وما يصاحبه من سوء توافق ونقص في المعلومات والانزعاج والقلق والخاوف ونقص التربية الجنسية أو إخطائها، والعنوسة وتأخر الزواج، والحرمات الجنسي رغم الزواج، والانفصال، والطلاق والتحمل، والحمل غير المرغوب فيه، وعدم الرغبة في الحمل والخوف من الأمراض التناسلية.

(٢) الاضطرابات الوراثية، والاضطرابات الولادية مثل : تغلب عضو جنسي على الآخر.

(٣) العوامل المعنوية مثل: الأمراض المعدية، وأمراض المخ، والأمراض العقلية وموانع الاتصال الطبيعي، والإصابات والعاهات والعيوب والتشوهات الخلقية.

(٤) الأسباب النفسية مثل: الصراع بين الدوافع والفرائض وبين المعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية وبين الرغبة الجنسية وموانع الاتصال الجنسي، والإحباط الجنسي، وخوف الجنس، والكبت، واستحالة الإعلاء، والخبرات السيئة والصادمة، والعادات غير الصحية، ونقص الشعور باللذة، والسعادة في الحياة مما يدفع الفرد إلى الجنس كمصدر للذة.

(٥) الأسباب البيئية: والحضارية والثقافية المرضية، واضطراب التشعة الاجتماعية في الأسرة وفي المجتمع والصحة السيئة، وسوء الأحوال الاقتصادية ووفرة المثبرات الجنسية والضلال.

العلاج:

أما بالنسبة لعلاج الانحرافات الجنسية والخلل فبعم من خلال الآتي:

(١) العلاج النفسي الديني والتحليل النفسي والعلاج الجماعي والمساندة الانفعالية والإقناع والتوجيه والإرشاد النفسي والدفع إلى التحكم في النفس

وضبطها، وإيضاح الأضرار النفسية للانحراف والشذوذ الجنسي وعلاج الشخصية ككل، وعلاج كل الأسباب النفسية خاصة أسباب نقص السعادة.

(٢) إرشاد الشباب بخصوص الزواج، واثارة الرغبة فى العلاج وتأكيد أهمية الإرادة فى العملية العلاجية، وتكوين اتجاهات جديدة أحسن نحو نفسه ونحو مشكلته.

(٣) تحذير الفرد من أخطار الانحراف الجنسي تحذيراً مبنياً على أسباب علمية لا على جرد الخوف، وتشجيع فكرة إدخار واستثمار الطاقة، وتأكيد قوة الإرادة وتفوقها على قوة الغريزة.

(٤) العلاج البيئى (التغيير والتعديل) وتحسين العلاقات الاجتماعية بصفة عامة، وتشجيع الميول والهوايات العملية، وتشجيع العمل اليدوى كمصدر للسُرور واللذة، والتمتع بالفسحة والهواء الطلق.

(٥) التربية الدينية والتربية اخلقية، والتربية الجنسية السليمة.

(٦) العلاج السلوكى (الإشراط السلبى للمثيرات الجنسية للسلوك غير المرغوب بخبرة غير سارة كالقئء أو أى خبرة سيئة أخرى).

(٧) العلاج الطبى: العلاج بالهرمونات والمقويات أو عقاقير تخفيض الدافع الجنسي.

• هنا ووجه دوجلاس توم وصاياا عشراً يشير باتباعها فى العلاج مع الأطفال والمراهقين:

(١) الاهتمام بالتربية الجنسية فى الطفولة والمراهقة فى الحدود الدينية والعلمية.

(٢) تهدئة المخاوف، والإيمان بأن الخطر الذى يهدد صحة الفرد الجسمية والنفسية نتيجة لسوء العلاج أكثر من خطر السلوك المنحرف نفسه.

(٣) فهم الفرد ومعرفته والتأكد مما إذا كان يلجأ إلى السلوك المنحرف كوسيلة للتخفيف من البؤس والشقاء.

- (٤) جمع أدق المعلومات ممن يكون الفرد على صلوات وثيقة بهم.
- (٥) الفحص الجسمى الدقيق الشامل للوقوف على أى أسباب تثير التهيج والانحراف.
- (٦) العمل على النظافة التامة.
- (٧) تجنب الإسراف فى العناق والتدليل وغير ذلك من الأفعال المشيرة.
- (٨) شغل وقت الفراغ بالمفيد من أوجه النشاط.
- (٩) تجنب اللجوء إلى التهديد أو العقاب أو إلى إثارة الانفعالات كى يتغلب الفرد على مشكلات سلوكه.
- (١٠) تذكر أن معظم الأفراد يمرون بمثل هذه الانحرافات بدرجة أو بأخرى وبصورة أو بأخرى، وأنهم يتخلصون منها عندما يتلقون المساعدة والعلاج المناسب فى الوقت المناسب.

المراهقون والتربية الجنسية

إن تفهم حقيقة مشاعر المراهق - ذكراً كان أم أنثى - أمر ضرورى وحيوى، فالجنس مسألة هامة فى حياة الإنسان لا يمكن إغفالها، بل إن نظرية التحليل النفسى أعطت الجنس اهتماماً كبيراً لما له من آثار بالغة على النمو النفسى، والجنس أمر طبيعى لا يففل أو يكبت بل يحتاج إلى تنظيم فى التعبير عنه.

ومن ثم ، يزداد الاهتمام اليوم بالتربية الجنسية للأطفال والمراهقين وكذلك الآباء والأمهات؛ وذلك لما اتضح من قيام صلة وثيقة بين الصحة النفسية للفرد وصحته الجنسية؛ فسوء التوافق الجنسى كثيراً، ما يكون مظهرًا لسوء التوافق العام، والعكس صحيح.

ويقصد بالتربية الجنسية، تلك التي تعين الفرد على التوافق الجنسي السليم الذي يحبذه المجتمع، وتستهدف معونة كل من الولد والبنت بلوغ أقصى درجة من النضج الجنسي في الناحيتين الجسمية والنفسية.

لقد كان الاتجاه القديم لا يزود الطفل أو المراهق بأية معلومات عن الأمور الجنسية، كما كان يكبح الاستطلاع الجنسي لكل منهما في شدة وعنف، وكان يربط الأمور الجنسية بالقلق والأشمئزاز والشعور بالذنب؛ فالأم تظهر الاشمئزاز وهي تنظف أعضاء الطفل، كما كان يعاقب على المخطورات الجنسية بعنف وقسوة، فإن تورط الطفل في نوع من العبث الجنسي كان عقابه أليماً، وإن حاول الطفل أن يرى أمه وهي عارية فالويل له.

فمن الأفكار الخاطئة الشائعة عند بعض الوالدين والمربين ما يلي:

- (١) أن التربية الجنسية تزيد فضول الأطفال والمراهقين وتزيد من اهتمامهم بالأمور الجنسية.
- (٢) أن التربية الجنسية تؤدي إلى التجريب والإفراط في السلوك الجنسي المتحرر من المسئولية.

ومن المسلم به أنه إذا أحيط النمو الجنسي بغلاف من التحريم والتكتم والتمويه، وإذا أغمض الوالدان والمربون أعينهم وأصموا آذانهم وكمموا أفواههم ولم يقوموا بواجبهم في التربية الجنسية لأولادهم - كجزء من عملية التربية بصفة عامة - بحث هؤلاء الأطفال والمراهقون عن مصادر أخرى لإشباع حاجتهم إلى المعرفة في هذا الشأن، وربما اتجهوا إلى ادعاء المعرفة من غير أهل العلم والثقة والأخلاق والضمير، وربما تطوع هؤلاء بهذه المعلومات في غير أوانها، وربما اتجهوا إلى الأفلام الجنسية والصور الجنسية والكتب المثيرة، والنتيجة المؤسفة هي المعلومات الخاطئة والوقوع في التجريب أو اغبرات الحقيقية والشعور بالاشمئزاز والإثم والخطيئة والخوف والقلق والاستغراق في أحلام اليقظة والانحراف الجنسي والاضطراب النفسى.

وقد ظهر أن هذا الاتجاه القديم يشوه أفكار النشء واتجاهاتهم نحو الجنس والأمور الجنسية، وقد يؤدي - كما سبق أن ذكرت - إلى العجز الجنسي أو الانحراف الجنسي أو سوء التوافق الزوجي.

أما الاتجاه الحديث، فيزود الطفل والمراهق بمعلومات كافية عن الوظيفة الجنسية والأعضاء الجنسية وعملية التكاثر عند النبات والحيوان، وتطور الجنين، والغدد الجنسية في دورس الصحة والأحياء، وفي كثير من المدارس الثانوية والجامعات بالخارج برامج تتناول موضوعات الصحة الجنسية الفردية والاجتماعية، والحكمة من الزواج، والأسس النفسية للزواج الموفق، ووجوب مراعاة التقاليد الجنسية والحكمة من ذلك، والعادة السرية، والأمراض التناسلية، وخطورة الحرمة الجنسية على الفرد والمجتمع، وكيف تحافظ الفتاة على أناقتها دون تبرج، وقد يضاف إلى ذلك وسائل منع الحمل وخطورة الإجهاض، ومما يجدر ذكره وتأكيدُه أن مثل هذه المعلومات تثير الانتباه ولا تثير الغريزة.

كذلك يستهدف الاتجاه الحديث إشباع الاستطلاع الجنسي للطفل عن الحمل والولادة والفروق الجسمية بين الجنسين، وكذلك استطلاع المراهق والمراهقة عن الأحلام الشهوية والطمث، كل ذلك في هدوء وصدق ودون لف أو مواربة أو أن نعطي الموضوع اهتماماً زائداً، ودون أن تبدو علينا أمارات الخجل والارتباك؛ فحب الاستطلاع الجنسي يجب أن يشبع لكي يفتقر، ولا شيء يثيره مثل إحباطه، وبدل أن يستمد الطفل أو المراهق الحقائق مشوهة من زميل أو كبير أو خادم، علينا أن نحصنه بالمعرفة الصحيحة كما نحصنه من المرض الجسمي.

فعلى الأب أن يعد ابنه لتوقع الإنماء أثناء النوم في سن المراهقة؛ فهو ظاهرة طبيعية يجب ألا تسبب له قلقاً، وعلى الأم أن تعد ابنتها لظاهرة الطمث وتفسر لها صلتها بإنجاب الأطفال، وتبين لها كيف تعتى بنفسها خلال هذه الفترة، ولنذكر أن كثيراً من المراهقات يصبن بدعر شديد وأعراض نفسية حين يفاجأن بالطمث.

ومن ثم، وفي ضوء ما سبق نلخص أهداف التربية الجنسية في الآتي:

- (١) تزويد الفرد بالمعلومات الصحيحة اللازمة عن ماهية النشاط الجنسي.
 - (٢) تعليمه الألفاظ العلمية المتصلة بأعضاء التناسل والسلوك الجنسي.
 - (٣) إكسابه التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية الخاصة بالسلوك الجنسي.
 - (٤) تشجيعه على تنمية الضوابط الإرادية لدوافعه ورغباته الفريزية وشعوره بالمسئولية الفردية والاجتماعية وتنمية الوعي والثقافة العلمية ومعرفة خطورة الحرية الجنسية عليه وعلى المجتمع.
 - (٥) وقايته من أخطار التجارب الجنسية غير المسئولة التي يحاول فيها استكشاف المجهول أو المحظور بدافع إلهام الرغبة الجنسية المتأججة والمكبوتة لديه.
 - (٦) تكوين اتجاهات سليمة نحو الأمور الجنسية والنمو الجنسي والتكاثر والحياة الأسرية تتمشى مع العلاقات الإنسانية السليمة ومبادئ نمو الشخصية.
 - (٧) تصحيح ما قد يكون هناك من معلومات وأفكار واتجاهات خاطئة مشوهة نحو بعض أنماط السلوك الجنسي الشائع.
 - (٨) تنمية الضمير الحي فيما يتعلق بأي سلوك جنسي يقوم به الفرد بحيث لا يقوم إلا بما يشعره باحترامه لذاته، ويظل راضياً عنه في المستقبل، ولا يضر أحداً، ويتمشى مع التعاليم الدينية والمعايير والقيم الأخلاقية، ويرضى هذا السلوك على نفسه.
 - (٩) ضمان إقامة علاقات سليمة بين الجنسين قائمة على فهم دقيق واتجاهات صحية مع تقدير كامل للمسئولية الشخصية والاجتماعية للسلوك الجنسي.
- وحول من يقوم بالتربية الجنسية، يقول أ.د/ حامد زهران، أستاذ الصحة النفسية:

هناك دراسات تدور حول ما إذا كان من الأفضل أن تترك مسؤولية التربية الجنسية على عاتق المدرسة أو تترك كلية على عاتق الوالدين.

الواقع أن التربية الجنسية عملية يجب أن يعاون فيها كل من :

* **الوالدين:** إذا توافرت النية وصدق العزم واتسع الوقت وتوافرت المعلومات العلمية، ووجهت إليهم عناية خاصة بقصد أعدادهم للقيام بدورهم في التربية الجنسية.

* **المربين:** أو الرواد أو الأخصائيين الاجتماعيين في المدرسة.

* **علماء النفس:** خاصة المرشدون والمعالجون النفسيون، وهؤلاء عليهم رسالة مزدوجة وقائية وعلاجية، مع الأطفال والمراهقين والأزواج، وترى «سينثا ويست» أن على المرشد النفسى بصفة خاصة أن يقوم بدور فعال في التربية الجنسية.

* **الأطباء:** في عملهم العلاجي وبعض المحاضرات.

* **علماء الدين:** في الوعظ والإرشاد الديني.

وفي المدارس بالذات يمكن دعوة بعض المختصين من علماء النفس والأطباء وعلماء الدين وغيرهم، لإلقاء محاضرات وحضور ندوات ومناقشات؛ حيث يتناول كل منهم الموضوع من زاوية، ويحسن في هذه الحالات أن تقدم الاستشارات والأسئلة مكتوبة، وهذا يقلل من الإحراج الذي يشعر به البعض.

* **وهناك بعض صفات يجب أن تتوفر لمن يقوم بالتربية الجنسية هي :**

(١) الإلمام بخصائص النمو في جميع مراحلها والحقائق العلمية الخاصة بالتناسل والحمل والولادة.. إلخ.

(٢) فهم مشكلات المراهقة والقدرة على المساعدة في حلها.

(٣) متابعة الدراسات الخاصة بالموضوع.

(٤) الالتزام بالاتجاه العلمى الخاص الهادئ عند الاستماع إلى التساؤلات وعند الإجابة عنها.

(٥) حسن اختيار الألفاظ والبعد عن الألفاظ العامية.

(٦) الاستفادة بالوسائل المعنية المناسبة.

(٧) أن يكون شعاره (التوجيه الرشيد والتعبير السديد).

(٨) اتساع الأفق ورحابة الصدر وطول البال والحكمة.

(٩) المرونة والخلو من التزمت والآراء والاتجاهات الجامدة.

(١٠) التوافق الجنسى، وأن يكون قد تغلب على مشكلاته الجنسية بنجاح.

(١١) أن يكون قدوة حسنة للناشئين.

وهنا يجب أن نشير إلى ضرورة التربية الجنسية للوالدين والمربين؛ فنحن نعرف أن فاقد الشيء لا يعطيه، ولذلك فمن أول الواجبات أن يشترك الوالدان والمعلمون فى حلقات دراسية جماعية يستمعون فيها إلى محاضرات وأحاديث المختصين ويناقشون ويتبادلون الآراء والخبرة مما يؤهلهم للقيام بمهمتهم، ولذلك يجب أن تكون التربية الجنسية عملية مستمرة، ولا تقتصر على سن معينة، بل تبدأ من الطفولة ثم تستمر خلالها وفى مرحلة المراهقة حتى الرشد وقبل الزواج وأثناءه وبعده.

ومن ثم، فالتربية الحديثة تستهدف أيضاً تنوير الآباء والأمهات تنويراً يخفف من نفوسهم أثر الصراعات الجنسية التى نشأوا هم أنفسهم عليها فكانت سبباً فى موقفهم الصارم المتزمت من الأمور الجنسية وتذكيرهم أن كثرة الشجار والشقاق بين الزوج وزوجته يشوه نظرة الأبناء والبنات إلى الحياة الزوجية وقد يصرفهم عنها. فعلى سبيل المثال: إسراف الأم فى حمل ولدها الصغير وتقبيله وتدليله والاستحواد على كل حبه لنفسها، كل هذا مما ينهى عنه الاتجاه الحديث فى

التربية الجنسية؛ ذلك أن التطور الطبيعي يقتضى أن يتحول حب الولد من أمه إلى الفتاة التى سيختارها زوجة له، فإن ظل الصبى موثقًا برباط عاطفى شديد شاذ بأمه، وقف تطوره الطبيعي عند هذه المرحلة الطفلية فأصبح معرضًا للشذوذ أو العجز الجنسي؛ لأنه يكون قد نضج من الناحية الجسمية ولا يزال طفلًا من الناحية العاطفية، أما الفتاة الموثقة بأبيها برباط لا شعورى عنيف لا تستطيع أن تحب إلا من يشبه أبها من الرجال، أو تشعر بأن جميع الرجال ليسوا أهلاً لها بالقياس إلى أبيها.

ولندكر أن الأم إن لم تقابل جهودها وتضحيتها من الزوج أو المجتمع بالتقدير أو كانت تعاني حرمانًا جنسيًا أو عاطفيًا من زوجها تعلقت بأطفالها تعلقًا شديدًا قد يقيهم أطفالاً طوال الحياة.

* وقد يتبادر إلى الذهن تساؤل هام وضرورى مؤداه:

ماذا يتقدم من معلومات جنسية؟

يمكن أن يتسع مدى التربية الجنسية ليشمل أبسط المسائل الأولية المتعلقة بالصحة الجنسية ويمتد إلى أعقد المشكلات الجسمية والاجتماعية والنفسية التى تتعلق بالسعادة الزوجية وحياة الأسرة.

وفيما يلى أهم الموضوعات التى يجب تقديمها والمعلومات الجنسية الضرورية فى مراحل النمو المعالية:

(١) شرح الفروق التشريحية بين الذكر والأنثى... إلخ.

(٢) دراسة الكائنات الحية وتكاثرها- النبات والطيور والحيوان والإنسان.

(٣) تنمية الفخر بالجنس الذى يتسمى إليه الفرد، واحترام أفراد الجنس الآخر، فالذكر الذى يعرف لنفسه كرامتها وللأنثى منزلتها، بأبى أن يلوث كرامته وكرامتها؛ إنه يكرم نطفته أن يضعها فى حرام، والأنثى تكرم نفسها أن تكون موضع ترفيه للذكور.

(٤) توضيح أن هناك فروقا فردية بين الأفراد فيما يتعلق بالنمو النفسى الجنسى .

(٥) إعداد الأطفال فى مرحلة الطفولة المتأخرة نفسياً لاستقبال التغيرات الفسيولوجية التى تتميز بها مرحلة المراهقة وهى البلوغ، والإمضاء والحيض والاحتلام الجنسى.. إلخ، وباقى التغيرات الجسمية الثانوية عند كل من الذكر والأنثى وباقى التغيرات العقلية والانفعالية، مع تأكيد أن هذه التغيرات طبيعية وعادية وهى علامة الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الأنوثة أو الرجولة.

(٦) توضيح أن هناك فروقا بين الجنسين فى توقيت البلوغ حيث تسبق الإناث الذكور بنحو عام أو عامين.

(٧) معرفة تشريح ووظائف أعضاء الجهاز التناسلى ضمن تشريح ووظائف أعضاء باقى أجهزة الجسم، بحيث تكون معرفة الأسماء والإفرازات فى لغة صحيحة بدلاً من الألفاظ العامية والمتلوية، فمن الأسماء التى وردت فى الدين: «الفرج والمنى والحيض والإتيان والمباشرة والدخول... إلخ» .

(٨) تزويد الفرد بالحقائق عن التكاثر عند الإنسان من الاتصال الجنسى إلى البويضة المخصبة والجنين، والرعاية أثناء الحمل والوضع ورعاية الطفل... إلخ.

(٩) إعداد الفرد لما سوف يسمعه من أحاديث من زملائه أو ما يقرؤه أو ما يراه من الموضوعات الجنسية، وتصحيح ما قد يكون هناك من معلومات وأفكار واتجاهات خاطئة أو مشوهة نحو بعض أنماط السلوك الجنسى الشائع.

(١٠) تعليم الأطفال والمراهقين معايير السلوك بصفة عامة والسلوك الجنسى بصفة خاصة، كتعريفهم الحدود التى ينبغى ألا يتجاوزوها فى سلوكهم باعتبارها واقية لهم من الزلل وتعريفهم أن ثمة سلوكاً لا ينبغى إتيانه علناً، بل فى إطار شخصى خاص.

(١١) تعريف الأطفال والمراهقين آداب الاستئذان وآداب النظر.

- (١٢) التعريف بمشكلات المراهقة والطفولة ووسائل التغلب عليها.
- (١٣) شرح مراحل النمو المتتابعة ابتداء من مرحلة ما قبل الميلاد إلى مرحلة الشيخوخة بمراحل الطفولة والمراهقة والرشد.
- (١٤) تفسير عملية الاتصال الجنسي وتوضيح وظيفتها وغرضها وأنها يقوم بها المتزوجون فقط بغرض التناسل وتكوين أسرهم.
- (١٥) التعريف بالانحرافات والاضطرابات الجنسية، كالإفراط في العادة السرية والجنسية المثلية والاستهتار الجنسي والبغاء... إلخ، وبالأضرار الناتجة عنها وأسبابها وطرق الوقاية منها وعلاجها.
- (١٦) التعريف بالأمراض التناسلية ومدى خطورتها كجزء من دراسة الأمراض المعدية.
- (١٧) تعريف المراهق أن الجنس مقدس في الحلال مدنس في الحرام وأن الامتناع المؤقت عن الاتصال الجنسي وتأجيله ليس ضاراً ولكن له مزايا كثيرة منها احترام الفرد لذاته وتعوده ضبط النفس والتعفف وتحكيم العقل في الشهوة والرضا عن النفس دينياً واجتماعياً.
- (١٨) تعريف المراهق أن العلاقات الجنسية قبل الزواج تسبب المشكلات أكثر مما تحل، وأن الصعاب التي تكتنفها تفقدها الكثير من بهجة الاتصال المشروع في الزواج.
- (١٩) تأكيد أن العلاقات الجنسية نوع من العلاقات الإنسانية الإيجابية البناءة المحترمة التي تتطلب كغيرها من العلاقات مستوى رفيعاً من الشرف والأمانة والاعتبار للآخرين.
- (٢٠) تعريف الشباب بعادات الزواج وتقاليد اختلاط الجنسين واختيار شريك الحياة وفترة الخطوبة.
- (٢١) تعريف المراهقين أن الزواج علاقة متعددة الأوجه بين الذكر والأنثى ولا تقتصر فقط على العلاقة الجنسية.

(٢٢) التعريف بالزفاف وآداب الاتصال الجنسي في الزواج وأسس التوافق الزوجي من كافة النواحي وشرح أسباب الطلاق وانهايار الأسرة والتحذير منها.

(٢٣) تعريف الفرد أن إشباع الدافع الجنسي يجب أن يسير جنباً إلى جنب مع الحاجة إلى تحقيق الذات واحترامها وتربية الضمير وتنمية المسؤولية الاجتماعية والدينية.

وأخيراً أقول: «لابد من التربية الجنسية والتربية الدينية معاً»

يجب أن تسير التربية الجنسية جنباً إلى جنب مع التربية الدينية، وقد اهتمت الأديان السماوية جميعاً، وبالتالي المذاهب والعقائد التي صنعها البشر بالتربية الجنسية، بهدف تهيئة الإنسان منذ نشأته حياة جنسية سليمة؛ وذلك بوضع القواعد والضوابط والتشريعات اللازمة لها وبهدف تهذيب الغرائز البدائية في الإنسان وتغليب العقل على الغريزة.

ولقد أورد الإمام أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين الكثير عن التربية الجنسية وآدابها، إن الدين يعترف بالغريزة الجنسية ويوجهها، ولم يكن الله الذي زود الإنسان بأجهزة التناسل وركب فيها غريزة الجنس ليحرم عليه استعمال هذه الأجهزة بتاتا وكأنها لم تكن، ولم يكن الله ليترك للإنسان حرية التصرف كاملة في هذه الأجهزة بلا ضابط فيكون كالحَيوان؛ إن الدين الحنيف يوجه الغريزة الجنسية إلى الحلال الطيب الذي لا لوم ولا حرمة فيه، وهو الزواج الذي فيه تكريم للمرأة وللرجل وللأسرة وللمجتمع، ويبعدها عن الحرام الخبيث وهو الزنا والانحرافات الجنسية بأشكالها المختلفة مثل اللواط، السحاق... إلخ.

وكان الصحابة وزوجاتهم يستشيرون رسول الله ﷺ فيما يحدث بينهم وبين زوجاتهم من مشكلات جنسية وعاطفية، ورسول الله ﷺ يجيبهم بما يعلمه، وما لا يعلمه ينزل عليه به الوحي في كتاب الله تعالى في رأى قاطع وحاسم وصریح.

إن علماء التربية الدينية ينصحون بالاهتمام بتعليم أحكام الدين وحدود الله فيما يتعلق بالسلوك الجنسي وتشجيع السلوك الديني بصفة عامة. روى في صحيح البخارى: أنه جاءت أم سليم امرأة أبى طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيى من الحق. هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم إذا رأت الماء».

إن الدين يحث على السلوك الجنسي الحلال، فلقاء الأزواج حلال مقدس يباركه الله والأهل والمجتمع وفيه ثواب وإحسان وعفة وراحة نفسية، والدين يصنع الاحتياطات لسلامة الفريضة الجنسية مثل العفة والبعد عن المثيرات كلمة أو صورة أو حقيقة ملموسة، وغض البصر وستر العورة وعدم الخلوة بالأجانب واحترام البيوت وحسن الظن بالناس والبعد عن الأحاديث التي تتناول الأعراض وتغليب العقل على الهوى والشهوة، والدين أيضاً يعالج الانحرافات السلوكية بالفضائل المضادة؛ فهو يعالج الانحراف الجنسي بالعفة، والجهل بالتعليم .. وهكذا، مع ضرورة توافر الإرادة والعزم والاستعانة بالله.

«تلجرو قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

- ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ آبَائِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْتَمُونَ﴾ (٣٥) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُنَّ مِنْ آبَائِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ... [النور: ٣٠، ٣١].

- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِذْهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٢].

«وهي العليث القلبي»

إن الله عز وجل يباهى بالشباب العابد الملائكة، يقول: «انظروا إلى عبدى ترك شهوته من أجلى، أيها الشاب أنت عندى كبعض ملائكتى».

• وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم؛

- «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» .

هؤلاء يجب الاقتداء بهم (نماذج من شباب الإسلام)

إذا أردنا أن نتعرف على المثل الكامل في طفولته ومراهقته وشبابه؛ لتتخذ منه القدوة، فليس أمامنا إلا سيدنا رسول الله ﷺ .

لقد كانت مرحلة مراهقته وشبابه صلوات الله وسلامه عليه طاهرة نقية، مستقيمة زكية، بعيدة كل البعد عن اللهو والعبث، بعيدة عن الشيطان ووساوسه، وعن الهوى وهواجسه؛ فقد عصمه الله تعالى ورعاه، وحفظه من كل سوء، فشرح الله صدره، ولم يجعل للشيطان عليه من سبيل، لقد توفى أبوه وهو فى بطن أمه على أصح الآراء، وأما أمه فقد توفيت وكان عمر الرسول ﷺ إذ ذاك لم يستكمل سبع سنين، فكفله جده عبد المطلب، ثم توفى عبد المطلب وكان عمره نحو ثمانى سنين، وقيل ست، وقيل عشر، وعندئذ كفله عمه أبو طالب.

وبرغم ما كانت تعج به الحياة من حوله من لهو وعبث، ومن تهالك الشباب وتهافتهم على مظاهر اللعب والطرب، فإن شباب رسولنا صلوات الله وسلامه عليه، كان مصوناً من كل دنس، محفوظاً من كل سوء أو شر.

وكان طبعياً أن ينشأ هذه النشأة الطاهرة النقية؛ لأن العناية الإلهية كانت تعدّه لأمر السماء، ووحى الله وتبليغ الرسالة، كما كان دعوة أبيه إبراهيم، وبشرى أخيه عيسى، ورات أمه عندما حملت به من البشارات ما رأت، وشرح الله صدره.

وفيما رواه ابن إسحاق، أن نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : أخبرنا عن نفسك؟ قال : «نعم أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشرى أخى عيسى، ورات أمى حيث حملت بى أنه خرج منها نور أضاء قصور الشام» .

ولقد عاش رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فترة شبابه بالعمل والسعي، واشتغل برعى الأغنام، قال ﷺ: «كنت أرمى الغنم على قراريط لأهل مكة».

وفي كده وجدته، وفي اشتغاله بالعمل رغم كفالة عمه له ما يفيد أهمية العمل، وأن خير ما يأكله الإنسان ما كان من عمل يده، كما أن في العمل ثمرة هامة أخرى بالإضافة إلى نفع الإنسان لنفسه، وتلك الثمرة هي انتفاع الحياة من العمل وازدهار حركة المجتمع بالنشاط فيها والتفاعل معها.

وحفظ الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه من أى عبث أو لهو أو لعب كان يأتيه غيره فى مثل سنة.

قال صلوات الله وسلامه عليه: «ما هممت بشيء مما كانوا فى الجاهلية يعملونه غير مرتين، قلت ليلة للغلام الذى يرمى معى بأعلى مكة: لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب؟ فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت بمكة سمعت عزفاً فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس، فجلست أسمع فضرب الله على أذنى فممت فما أيقظنى إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبى فسألنى فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت مكة فأصابنى مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعده بسوء».

وهكذا كانت العناية الإلهية تحيط بحياة الرسول ﷺ فى كل لحظة من اللحظات، وفى كل زمان ومكان، واشتهر صلوات الله وسلامه عليه بالصادق الأمين، وبكل فضيلة كريمة من الفضائل المثلى، واشتغل بالتجارة، فخرج فى تجارة مخديجة إلى الشام، فكان المثل الكامل فى تجارته، وصدقه وأمانته وإخلاصه فى كل الأمور.

والتصفح لمرحلة الشباب هذه، يرى فيها الطهر والنبل والنشأة المثالية العالية، التى يجد عندها القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة التى يجب على شباب الإسلام أن يقتدوا بها فى حياتهم منتهجين فيها نهج الإسلام، ورسول الإسلام ﷺ.

وتأكيداً على ما سبق يقول أ. د/ أحمد عمر هاشم، أستاذ الحديث ورئيس جامعة الأزهر سابقاً ، فى كتابه «من هدى الشريعة الإسلامية»: .

لقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة فى قوله وفعله وسلوكه، وفى سائر مراحل حياته، فى الطفولة ، وفى الشباب، وفى ما بعد المبعث، كلها حياة نقية خالصة؛ لم تشبها شائبة، وما عرف بين القوم إلا بالأمين.

ولقد تخرج من الرعييل الأول نماذج كريمة، أخذت عنه واتقتت به، واهتدت بهدى الله سبحانه وتعالى، ومن هؤلاء:

على بن أبى طالب: كرم الله وجهه، لقد قام - وهو شاب - بدور فدائى عظيم، حين قدم نفسه قرباناً فى سبيل عقيدته، وفى سبيل الله ورسوله ، لقد بات - ليلة الهجرة - على فراش رسول الله ﷺ ، مع أنه كان على علم بمدى الخطر الذى كان يحدق به من كل جانب ، قائلاً: « والله ما أبالى أسقطت على الموت أم سقط الموت علىّ»، وقد أعطى الرسول ﷺ «عليّ» الراية يوم بدر، وسنه يومها نحو عشرين عاماً.

أسامة بن زيد : اختاره النبي ﷺ وهو فى الثامنة عشرة من عمره أميراً على رأس جيش فيه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ليقاتل الروم، ولما توفى رسول الله ﷺ رأى بعض الصحابة أن ينحوا أسامة فغضب الصديق أبو بكر رضى الله عنه، وقال: أعزله وقد ولاء رسول الله لا ورى، ثم قام فأخذ بزمام الفرس وأسامة على ظهره وسحبه به فاستحى أسامة وقال: يا خليفة رسول الله إنا أن نتركب وإنا أن نزل. قال : لا تنزل ولا أركب أما ترضى لأبى بكر أن يعفر قدمه فى التراب ساعة، ثم نظر أبو بكر رضى الله عنه إلى القائد الصغير - وأبو بكر يومئذ عمره واحد وستون عاماً - فقال للقائد الصغير أسامة: أتأذن لى فى عمر ابن الخطاب ليكون معى فى المدينة؟ ويصدر القائد الصغير أمره برجوع عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

سعد بن أبي وقاص: وهذا هو سعد بن أبي وقاص نموذج فذ في التضحية من أجل العقيدة، حتى وإن تعارضت مع أعز الناس عليه، ها هو ذا لم يبلغ من العمر عشرين سنة، يقول: لما أسلمت وكنت رجلاً باراً بأبي، قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي أحدثت؟، لتدعن دينك أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي! فقلت: لا تفعل ي يا أمي؛ فإنني لا أدع ديني، ومكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب، فأصبحت وقد جهدت، فقلت: والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت هذا الدين بشيء، فلما رأت ذلك أكلت وشربت، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]

وهذا عبد الله بن عباس: كان في شبابه يمثل الذكاء الحاد، والعلم الجاد، يقول ابن عباس: كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لى معهم، فوجد بعضهم من ذلك، فقالوا: يأذن لهذا الفتى معنا، ومن أبنائنا من هو مثله، فقال لهم عمر: إنه من قد علمتم - أى من وجهة ذكائه ومعرفته - قال: فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم، فسألهم عن هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فقالوا: أمر الله عز وجل نبيه ﷺ إذا فتح عليه أن يستغفره وأن يتوب إليه، فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قلت: ليس كذلك، ولكن أخبر الله نبيه حضور أجله فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة موتك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فقال عمر: تلومونى عليه!؟ ثم قال: ما أعلم منها إلا ما تقول.

• وهؤلاء صفوة مخضرة من شباب الإسلام، أدوا مهام فى غاية التضحية، وضحوا بها أروع الأمثلة، إنهم: عبد الله بن أبي بكر، وعامر بن فهيرة، وأسماء بنت أبي بكر.

لما عبد الله بن أبي بكر: فقد قام - فى ليلة الهجرة - بدور الاستطلاع؛ فجمع أخبار الأعداء، وهى مهمة من أخطر ما يكون.

وأما عامر بن فهيرة: فقد مثل الجندية الإسلامية في أسمى معانيها وأدق صورها؛ حيث قام بتوفير الأمان، فرعى غنم الصديق، ليذهب إلى الغار في الليل، ليأخذوا حاجتهم منها، ويعفى بالغنم آثار المشى إلى الغار؛ فيضل عنهم الأعداء.

وأما أسماء بنت أبي بكر: فقامت بدور الفتاة المسلمة وأدت واجب التضحية على أعظم ما يكون؛ حيث كانت تذهب بالطعام لرسول الله ﷺ وأبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهما محاصران متجاهلة بطش وتعذيب وعقاب المشركين، فقد أتت بسفرتيها - أى زادهما - ونسيت أن تجعل لها عصامًا، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة، فإذا ليس لها عصام، فتحل نطاقها ثم تعلقها لذلك سميت ذات النطاقين.

وهذا معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء: وموقفهما المشرف يوم بدر، قال عبد الرحمن بن عوف: «إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن، فكأنى لم آمن بمكانهما إذ قال أحدهما سرًا من الآخر: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه، وقال الآخر سرًا من صاحبه مثله، فما سرني أنى بين رجلين مكانهما! فأشرت لهما إليه، فشدوا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى قتلاه».

أما مصعب بن عمير: فهو من شباب الإسلام، الذين كان لهم دور هام في الدعوة إلى الله ونشر تعاليم الإسلام، فكان أول داعية إلى الإسلام في خارج مكة، عن هبادة بن الصامت، قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً؟ فبايعنا رسول الله ﷺ، على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا ننزى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، قال ابن إسحاق: فلما انصرف القوم، بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير معهم، وأمره أن يقرنهم

القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، وكان يسمى المقرئ في المدينة مصعب، وكان الله قد فتح للإسلام بالمدينة بجهود مصعب وجهاده.

وعندما اختاره رسول الله ﷺ سفيراً للإسلام في المدينة كان في عنفوان شبابه بعد تربية إسلامية صحيحة، ومصعب كان أغنى فتى في قريش يلبس أفخر الثياب ويضع أعظم العطور، ملأ المدينة إسلاماً ودافع عن رسول الله ﷺ باستماتة في غزوة أحد والسهام مصوبة لرسول الله ﷺ ويلتقطها بصدرة ليحمي رسول الله ﷺ ويعزى نفسه بقوله: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، حتى قتل في ثياب قصيرة إن غطوا بها رأسه ظهرت قدماه والعكس، ووقف النبي أمام جثمانه الطاهر باكية، وقال: انظروا ماذا صنع الإيمان بصاحبكم.

أبو دجانة: من شباب الإسلام، قدم جهوداً ضخمة، في ميدان القتال وفي ساحة الجهاد وفي سبيل الله، فأبلى بلاءً حسناً، ذلكم هو: أبو دجانة، ففي يوم أحد أخرج رسول الله ﷺ سيفاً، فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجل فأمسكه عنه، حتى قام إليه أبو دجانة، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، قال: أنا أخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه، وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وحين رآه الرسول ﷺ يتبختر بين الصفين قال: «إنها لمشية يفضنها الله إلا في مثل هذا الموطن».

وروى عن الزبير بن العوام وكانت سنه إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة يقول: غضبت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف وأنا ابن عمته، فمنعه وأعطاه أبا دجانة، فقلت: والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصاة الموت، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله، قال الزبير: فقلت: الله ورسوله أعلم.

الغنساء وأبناؤها: ومن النماذج المشرفة في هذا المجال أيضاً: الغنساء وأبناؤها وذلك في موقعة القادسية، عندما هم المسلمون بفتح فارس، وقد حضرت الغنساء، وأوصت بنيتها الأربعة ليلاً بقولها: «يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة

واحدة، ما هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية. اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شممت عن ساقها، فتيحموا وطيسها، تقربوا إلى الله، وتظفروا بالغنم والكرامة في دار الغلذ والمقامة، فلما أضاء لهم الصبح، باكروا إلى مراكزهم، فتقدموا واحداً بعد واحد، ينشدون تحقيق وصية أمهم لهم؛ حتى قتلوا عن آخرهم، فلما علمت بمصرعهم جميعاً قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».



ومن خلال تلك النماذج السابقة نستطيع أن نعرف على ما كان عليه شباب سلفنا من صبر ومصابرة نتيجة إيمان عميق، وعقيدة صحيحة، وسلوك مستقيم، وما قاموا به من جهاد في سبيل الحق، ومن أجل رفع راية التوحيد فوق ربوع الأرض.

لقد مثلوا نماذج متنوعة، في جوانب متعددة، فمنها نماذج في الجهاد، وأخرى في العلم والتعليم والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، إلى غير ذلك من المثل والمبادئ والقيم والأهداف في سبيل معالم الدين القيم الذي رباهم على الرشد والهدى، وأنشأهم على العزة والكرامة، ووجههم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وأخيراً.. للأباء أقول

مما يشكو منه المراهق المعاصر - وكذلك الفتاة المراهقة - أنه يعيش غربياً وسط أناس لا يفهمونه، ويتحكمون فيه دون أن يوجهوه، ومما يشكو منه أيضاً تلك القيود التي تحد من حريته في إبداء الرأي والتصرف دون رقيب وربما كان أكثر ما يفيظه أنه لا يستطيع أن يفضى بمشكلاته لوالديه لانعدام الثقة المتبادلة بين الطرفين، أو لعدم اهتمام الوالدين.

الواقع أن المراهق يرحب بالمعونة والاقتراحات والنصائح حين تصدر من يثق فيهم ويحترمهم، ويود أن يرى في والديه صديقًا يلتزم مشورته ويؤجج إليه بأسراره ومشاكله ويستمد منه العون في ساعات الضيق.

إنما يؤدي نفسه أن يجد والديه لا يكثران أو يعرضان عنه أو يتحلمان فيه أو يتاولانه بالنقد واللوم دون أن يقدموا إليه توجيهات إيجابية، خاصة فيما يتعلق بمتاعبه الجنسية، وفكرته عن نفسه، ومركزه الاجتماعي المتغير.

فمن واجبات الوالدين في هذه المرحلة أن يفسحا صدريهما إلى ما يعتلج في نفوس الشباب من شكوك وشبهات وأسئلة محيرة بدل أن يصدوهم عنها صلبًا أو يقفا عند مجرد اللوم والإنذار؛ فالعقول المتفتحة تنفر من القسر والزجر لكنها تقبل الإقناع والمجادلة بالحسنى، وعليهما ألا يفرضن تقاليد عصرهما بحذافيرها وبالقدوة وحيدًا لو تنازلا عن شيء من نفوذهما التقليدي كي يعينا المراهق على عملية الفطام النفسي.

والفطام النفسي للمراهق هو تحرره من سيطرة الروابط العاطفية القديمة التي تربطه بالأسرة فتكون عائقًا في سبيل نموه الطبيعي واستقلاله الذاتي؛ فالمراهق غير المفطوم نفسيًا لا يزال يعتمد على والديه في حل مشاكله وفي حمايته من العالم وحتى في الترويح عن نفسه، وقد لا يطيق السفر والاغتراب.

والفطام لا يعني ترك بيت الأسرة، أو قطع الصلة والتراحم بالأبوين، أو تحدى السلطة المشروعة لهما، بل يعني تحرر المراهق من اتكاله العاطفي عليهما، وغير المفطوم لا يصلح أن يكون زوجًا أو أبًا لأنه لا يزال طفلًا يأخذ ولا يعطى.

ومن أخطر عواقب الفطام التواكل، فينتظر الزوج من زوجته، والمرءوس من رئيسه، والمواطن من حكومته، ما كان يتطلبه الطفل من أمه، والفطام عسير على بعض الأمهات والآباء إذ قد يمز عليهم أن يتخلوا عن نفوذهم وأن يصبحوا مجرد آباء وأمهات؛ خاصة أولئك الذين ركزوا ميولهم جميعًا حول الأطفال دون أى

شيء آخر، بل قد يصل الأمر ببعض الأمهات إلى إقامة الصعوبات في سبيل
القطام، عامدات أو غير عامدات، كأن توحى الأم إلى ابنتها بأنه لن يجد امرأة
تعنى به مثلها، أو تسقط لاشعوريا صريعة مرض يضطره إلى البقاء بجانبها.

وليدكر الوالدان أن الهفوات والزلات بعض ضرورات مراحل التطور، خاصة
بعد الحرمان الطويل والضغط العنيف، حتى إذا ما ألف الشباب الحرية ومارسها
واستشعر لذاتها تسنى له أن يفرق بين الحرية والفوضى، بين الاحترام والتطاول،
بين التبجح وإبداء الرأي، بين ما له من حقوق وما عليه من واجبات، بين
الأخلاق والقيود، بين التحضر والتحلل.

ومما يخفض من قلق المراهق وارتبائه ويزيد من ثقته بنفسه ويساعده على
تكوين أفكار صحيحة عن الحياة التي يعيشها، إشراكه في مجتمعات الكبار،
واتاحة الفرص له للإفصاح عن آرائه ومناقشته فيها، ولندكر أن من أسباب
مشاكل شباب اليوم إحساسهم بالعزلة الفكرية عن المجتمع، وشعورهم أنهم كم
مهمل ليس عليه إلا أن يتلقى الأمر ويطيع، إن كثيرا من مشاكل الشباب يرجع
إلى عدم إقامة حوار بيننا وبينهم يخفف ما لديهم من توتر ويساعدهم على حل
صراعاتهم النفسية ويشعرهم بالأمن.

وليدكر الآباء، أن الإسراف في توجيه المراهق أو العطف عليه أو التدخل في
شعونه يقيد حريته ويمنعه من المحاولة والمخاطرة والتجريب، بل قد يؤدي إلى ثورته
وتمرده لأن ذلك يشعره أنه لا يزال ضعيفا.

عليهم أن يعرفوا الأماكن التي يقضى فيها الأبناء أوقاتهم وكذلك زملاءهم،
على أن يقتصروا في تقديمهم وتحرياتهم على المشاكل الهامة لا البسيطة، ولا داعي
لأن يطلبوا من أبنائهم الاستئذان في كل مرة يريدون فيها الخروج من المنزل، أو
أن يسألوهم عن كل قرش ينفقونه، ولندكر أن من أهم الوسائل لمعونة المراهق
على الاستقلال هي مسألة إنفاق نقوده.

ثم إن تصرد المراهق وعناده وتحمديه لا يمكن التغلب عليه بالقوة، والدروس الاخلاقية لا تجدى نفعاً إذا كان اتجاه المراهق نحو الحياة مشوهاً نتيجة ما يعانيه من سخط وقلق، وهذا يتطلب من الآباء حكمة وصبراً طويلاً.

ففهم المراهق يعتبر أمراً هاماً جداً بالنسبة له وبالنسبة للمحيطين به عموماً؛ فهو يمر بمرحلة بالرغم من قصر مدتها إلا أنها تحمل في طياتها الكثير من المهام الضخمة التي ينبغي عليه مواجهتها؛ فهو يجابه بأشياء كثيرة تحدث في آن واحد دون أن يدركها أو يفهمها تماماً، فهناك نمو جسمي مفاجئ وهناك العديد من الدوافع النفسية والاجتماعية، العادية أحياناً والمتهورة أحياناً وتلك التي يراها الكبار غير مناسبة أحياناً أخرى.

والتعامل مع المراهق حتى نساعدته في تحديد شخصيته وتكوين هويته مسألة ليست بالسهلة وإنما مسألة صعبة، تحتاج منا لتفهم وتحتاج منا للتدريب عليها وأخيراً تحتاج منا الصبر والصبر الكثير.

وفيما يلي، نورد بعض النصائح التي نراها هامة عند معاملة المراهق في ضوء ما اتفق عليه علماء النفس:

- (١) تقبل سخط المراهق وعدم استقراره.
- (٢) لا تتصرف بفهم شديد.
- (٣) فرق بين التقبل والتأييد.
- (٤) لا تجمع الأخطاء.
- (٥) ابتعد عما يضايق المراهق.
- (٦) لا تسرع في تصحيح الحقائق للمراهق.
- (٧) ساعد المراهق على اكتساب الاستقلال.
- (٨) من الضروري الابتعاد عن الوعظ والإرشاد.
- (٩) ليكن الحديث مع المراهق بسيطاً محدداً.

- (١٠) لا تستخدم إحياءات عكسية.
 - (١١) ابتعد عن وصف المراهق وتصنيفه.
 - (١٢) احترم خصوصيات المراهق.
 - (١٣) ينبغي تجنب وضع المراهق في مواقف متعارضة.
 - (١٤) ساعد المراهق على اكتساب الخبرات.
 - (١٥) احرص على عدم محاكاة المراهق.
- كما يجب تجنب أساليب التربية الخاطئة والتي تتمثل في :

- (١) القسوة والنبذ.
- (٢) التراخي والتدليل.
- (٣) التذبذب في المعاملة.
- (٤) التلهف والقلق الزائد.
- (٥) الشجار بين الوالدين.

المراجع

- ١- إبراهيم قشقوش: سيكولوجية المراهقة، ط١، الأنجلو المصرية، سنة ١٩٨٠ .
- ٢- إبراهيم نافع: فى بيتنا مدمن كيف نمنع الكارثة، مركز الأهرام للطبع والنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٤ .
- ٣- أحمد عكاشة: ثقبوب فى الضمير (نظرة على أحوالنا)، دار الشروق سنة ٢٠٠٣ .
- ٤- أحمد عمر هاشم: من هدى الشريعة الإسلامية، دار المنار، سنة ١٩٨٧ .
- ٥- أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ط١١، القاهرة، دار المعارف سنة ١٩٩٩ .
- ٦- أحمد عبد الكريم: مدى فاعلية برنامج إرشادى خفض الغضب لدى عينة من المراهقين (دراسة تجريبية)، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، سنة ٢٠٠٥ .
- ٧- آمال عبد السميع: النمو النفسى للأطفال والمراهقين، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ٢٠٠٢ .
- ٨- آمال محمود: مدخل علم النفس، ط٢، الأنجلو المصرية سنة ٢٠٠٦ .
- ٩- الدين والعلم فى مواجهة المخدرات: وزارة الأوقاف، سنة ١٩٩١ .
- ١٠- الدليل الطبى للعلاج من الإدمان: صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطى، سنة ١٩٩٩ .
- ١١- حامد زهران: علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)، ط٥، عالم الكتب، سنة ١٩٩٥ .

- ١٢- رضا عبد الفتاح: مستوى الشعور بالوحدة النفسية لدى المراهقين مكفوفى البصر (دراسة مقارنة) رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، سنة ٢٠٠٤ .
- ١٣- رضا محمد : الآخر كما يدركه المراهق (دراسة استطلاعية)، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس سنة ٢٠٠٥ .
- ١٤- زينب سالم: المراهقون وتدخين السجائر فى المجتمع المصرى، ط١، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، سنة ٢٠٠٥ .
- ١٥- زينب سالم: فى بيتنا مراهق متطرف دينياً، القاهرة ، ط١ ، مركز الكتاب للنشر ، سنة ٢٠٠٦ .
- ١٦- زينب سالم : التطرف الدينى (استطلاع رأى عينة من طلاب وطالبات المرحلة الثانوية فى المرحلة العمرية من (١٤-١٧) سنة، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٩٨ .
- ١٧- زينب سالم: الدوافع النفسية والاجتماعية لتدخين السجائر لدى عينة من طلاب وطالبات المرحلة الإعدادية والثانوية فى المرحلة العمرية من (١٢-١٧) سنة دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، سنة ٢٠٠٢ .
- ١٨- صابر عبد الغفور: الذات وعلاقتها باتخاذ القرار لدى المراهقين، ط ١، القاهرة، مدبولى، سنة ٢٠٠٦ .
- ١٩- عبد الخالق عفيفى: الدفاع الاجتماعى (النظرية - التطبيق)، دون ناشر، سنة ١٩٩٠ .
- ٢٠- عادل الدمرداش: الإدمان مظاهره وعلاجه، عالم المعرفة، سنة ١٩٨٢ .

- ٢١- علا عبد الفتاح: الاحتكاك بإسرائيل وعلاقته بهوية عينة من المراهقين المصريين (دراسة مقارنة)، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، سنة ٢٠٠٥ .
- ٢٢- عابد محمود : دور الصحف الدينية فى معالجة قضايا المراهقين، ط٢، القاهرة، دار المعارف، سنة ٢٠٠٦ .
- ٢٣- عقل حريشة: الغزو الثقافى، بيروت، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، سنة ٢٠٠٦ .
- ٢٤- على رمضان : المراهقون بين الدراما التلفزيونية والقيم الثقافية، ط١، القاهرة، نهضة مصر، سنة ٢٠٠٥ .
- ٢٥- علوية علوان: أسس الصحة النفسية، ط٣، القاهرة، دار الفكر العربى ، سنة ٢٠٠٦ .
- ٢٦- فايز منصور: مشكلات المراهقات، ط١، بيروت، دار الأندلس، سنة ٢٠٠٥ .
- ٢٧- فؤاد بسيونى : ظاهرة انتشار وإدمان المخدرات «دراسة لأبعاد المشكلة»، ط٢، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، سنة ١٩٨٨ .
- ٢٨- كاميليا عبد الفتاح: المراهقون وأساليب معاملتهم ، القاهرة، دار قباء، سنة ١٩٩٨ .
- ٢٩- محمد عامر : المخدرات وخطورها، دار الأندلس للإعلام، سنة ١٩٨٨ .
- ٣٠- محمد شحيمى: دور علم النفس فى الحياة المدرسية، بيروت، دار الفكر اللبنانى، سنة ٢٠٠٥ .
- ٣١- محمود إسماعيل: المراهق والتربية الجنسية، ط١، القاهرة، دار قباء، سنة ٢٠٠٥ .

- 32- ALLPORT ,Gordon: Values and our youth. In Grinder 2003.
- 33- AMBRON, Suean: Child Development. (2 nd Ed) New york, 2005.
- 34- BEEMER, Lynda: Developmental changes in the selfconcepts of Children and adolescents Dissertation Abstracts Iintermational, 32 (ga), 2006 .
- 35- BERNARD, H.W.: Human Development In Western Culture. Boston: AIINY and Bacon, 2005.
- 36- CHARLES , DON C :Psychology of the child in the Classroom New york :Macmillan, 2004.
- 37- COLE, Luella and HaLL, I.N. : Psychology of Adolescence (6 th Ed) New york: Holt, Rinehart and Winston, 2006.
- 38- COLE, Luella and MORGAN, john:psychology of childhood and Adolescence, New yourk: Rinehart and CO, 2003.
- 39- GARDNER, D.B: Development In Early Childhood: the preschool years, new yourk: Harper and Row. 2001.
- 40-GRINDER,R.E: The Concept of adolescence in the genetic psychology of G. stanley Hall child Development , 40, 1999.
- 41- HADFIELD, J.A.: Childhood and Adolescence, London: Pelican, 2001.
- 42- Hall, G . Stanley : Adolescence (2Volumes), New york: Appleton, 2001.
- 43- HSU, F.L.K. et al : culture Pattern and adolescent behavior in Grinder, 2000.
- 44- KELLY, jeffrey: Solving your Child's Behavior problems Boston: Little Brown and Co 2005.
- 45- PELTZ, W.L : Sex education programs in schools American, Journal of Psychiatry, 2002.